

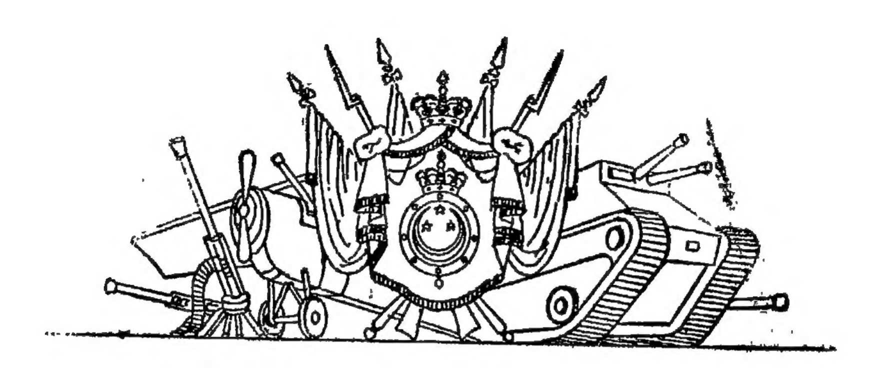
إهـــــداء2005

أسرة الأمير/ عمر طوسون

القاهـرة

ربيع الأول سنة ١٣٥٨ — العدد الخامس — (مايو سنة ١٩٣٩)

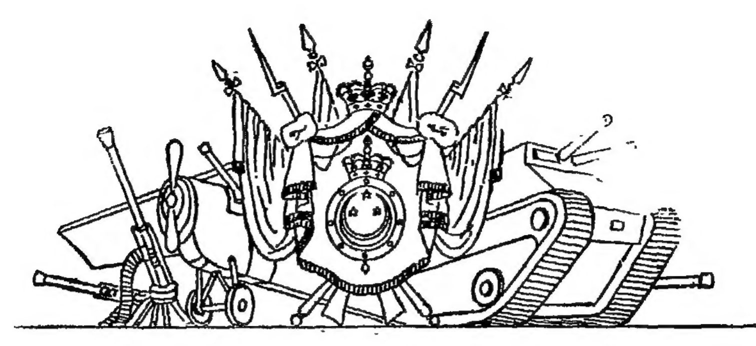
وزارة الدفاع الوطنى



مجلة الجيش المصرى

فنية حربية علمية تصدر كل شهرين مرة

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٩



الادارة
بوزارة الدفاع
الوطنى



الرسائل
تعنون الى ادارة
مجلة الجيش المصرى

فنية حربية علمية تصدر كل شهرين مرة

---

(١) تفتح مجلة الجيش المصرى صفحاتها لنشر ما تجود به قرائح رجال العسكرية المتضلعين فى فنون الحرب والموضوعات التى تترجم من اللغات الأجنبية .

(٢) الموضوعات التى يستحسن تناولها هى الموضوعات العلمية والفنية التى لها اتصال بالشؤون الحربية .

(٣) الرسائل لا ترد الى أصحابها سواء أنشرت أو لم تنشر .

(٤) يجب أن تكون الرسالة مكتوبة من صورتين على الآلة الكاتبة بوضوح تام وأن تذيل باسم واضعها أو مترجمها .

(٥) للصحف والمجلات المصرية أن تنشر ما تشاء نشره من محتويات هذه المجلة .

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٩

إدارة

مجلة الجيش المصرى

رجاء

ترجو إدارة هذه المجلة ممن يرسلون إليها موضوعات للنشر، أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بخط واضح، وأن يسهلوا عليها الاتصال بحضراتهم ، سواء بواسطة التليفون، أو بأية وسيلة أخرى، حتى يتيسر الاستفهام منهم عما يحتاج الى استفهام أو إيضاح،ولذلك كان من المستحسن أن يكتب كل منهم رقم تليفونه فى ذيل مقالته ، فان لم يوجد تليفون ، فليذكر أسهل وسيلة للاتصال به .

حضرات الضباط المحاربين القدماء

الذين يرغبون الحصول على مجلة الجيش المصرى يستطيعون الحصول عليها من نادى ضباط الجيش بالزمالك .

تنبيـــه

ليكن فى علم حضرات القراء أن ما ينشر فى هذه المجلة من الموضوعات الفنية لا يصح الاعتماد عليه إذا خالف ما هو مسطور فى كتب التعليم الرسمية التى هى واجبة الاتباع حتما .

الفهـــرس

صفحة



(حلية الصـــدر)

حضرة صاحب السمو الإمبراطورى ولىّ عهد إيران " محمد رضا شاهپور "

به پیشگاه والاحضرت اقدس همایونی محمد رضا شاهپور ولیعهد ایران
از طرف « مجلة الجيش المصرى » تقدیم شد

ياصاحب السمو الإمبراطورى :

ابتهاجا بهذا اليوم الأغر الميمون ، الرابع والعشرين من شهر محرم سنة ١٣٥٨ الهجرية ، الموافق الرابع والعشرين من شهر اسفند سنة ١٣١٧ الهجرية الشمسية الايرانية ، والخامس عشر من شهر مارس سنة ١٩٣٩ الميلادية الذى تم فيه عقد قران شبل أسد إيران ، ووريث عرش الأكاسرة من آل ساسان ؛ بحضرة صاحبة السمو شقيقة " الفاروق " وسليلة الأمجاد من آل محمد على الكبير ووريث عرش الفراعنة العظام .

تتقدم " مجلة الجيش المصرى " الى حضرتى صاحبى السمو الإمبراطورى بأجمل آيات التبريك وأصدق عبارات التهنئة . ضارعة الى رب المشارق والمغارب أن يجعله قرانا ميمون الطالع وفاتحة عهد سعادة ويمن للأمتين الكريمتين المصرية والإيرانية موثقا ما بينهما من أواصر الأخاء والإخلاص .

مقرونا بالهناءة والبنين للعروسين الكريمين . وللشعبين العظيمين "العروة الوثقى لا انفصام لها" آمين .

كلمة حضرة صاحب السعادة اللواء ابراهيم خيرى باشا

فى حفلة استقبال

حضرة صاحب السمو الامبراطورى ولى عهد إيران

فى نادى ضباط الجيش المصرى

يا صاحب السمو الامبراطورى :

ضباط الجيش يتشرفون بأن يرفعوا الى مقام سموكم الامبراطورى أجمل الشكر والامتنان على تفضلكم السامى باجابة دعوتهم وتشريف ناديهم فى هـذا اليوم السعيد الذى ستظل ذكراه خالدة فى قلوبهم مقرونة بالاجلال وخالص الدعاء عاطرة بآيات الحمد والشكر والثناء .

يا صاحب السمو الامبراطورى :

يرحب ضباط مصر بأكرم وافد ، وأعز قادم ، وأحب ضيف الى نفوسهم . نزل أهلا وحل سهلا، وما أشبه سموكم فى الانتقال من إيران الى أرض الكنانة بطائر ايمن يتردد فى خمائله ، والقمر الزاهى يتنقل فى منازله .

يا صاحب السمو الامبراطورى :

يضاعف سرور الضباط أنهم فى هـذه المناسبة السعيدة يرحبون بضيف مصر الكريم شبل الامبراطورية الإيرانية العتيدة وولى عهدها العظيم .

ويرحبون بزميل من رجال السيف رفيع الشأن . تربطهم به روابط الجندية المقدسة .

ويرحبون بصهر قائدهم الأعلى رب الجيش وحامى حماه . المثل الأعلى الذى نستضيء بسنى هداه ونترسم فى طريق العظمة والمجد خطاه . مولانا الفاروق الذى نعتز به بعد الله .

يا صاحب السمو الامبراطورى :

نتقدم الى مقامكم السامى بالتهنئة الخالصة لمناسبة القران السعيد ونسأله تعالى أن يجعل هذه المصاهرة الميمونة فاتحة يمن وبركة واقبال وأن يوطد بها روابط المحبة والاخاء بين الشعبين الكريمين والأمتين الشقيقتين .

يا صاحب السموّ الامبراطورى :

من دلائل التوفيق أن تجمع العناية الالهية فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر أعيادا ثلاثة هى أعز الأعياد وأحبها إلى القلوب. عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الامبراطورية والدكم العظيم، وعيد استقلال مصر ، وعيد قرانكم الميمون الذى تحتفل به الأمتان المجيدتان و يربط عرش مصر بعرش إيران .

فيا يوم الخامس عشر من هذا الشهر ! يا ملتقى الأعياد . آمنت بأنك سيد الأيام . وغرة فى جبين الدهر . وتاج على مفرق الزمان . يلتقى فيك النيران والشمس والقمر يقترنان . " فبأى آلاء ربكما تكذبان " .

يا صاحب السموّ الامبراطورى :

إن هذه الرابطة السعيدة تعيد الى الأزمان أعرق حضارتين . لأمتين عظيمتين . نشرتا راية العلم والعرفان والعالم فى مهده ثم دارت الأيام ، فإذا هما شعبان قد آخى بينهما الإسلام وانى لأذكر فى هذا المقام كلمة النبى الكريم الباقية على الزمان : " لقد ولدت فى عصر الملك العادل كسرى أنو شروان " .

يا صاحب السموّ الامبراطورى :

يا وارث عرش العز الميامين من آل كسرى . حسبك أن تكون المعنىّ بقول القائل :

قد ورثت المجد عن خير أب   وقبست الدين عن خير نبى
فضممت المجد من أطرافه   سؤدد الفرس ودين العرب

عاش الأمير . عاشت الأميرة

" إلى العلا إلى الأمام "

(يعيش جلالة الملك)

تحيــة الجيش

لحضرة صاحب السموّ الامبراطورى ولىّ عهد إيران

أهــلا وسهلا بالأمير ومرحبا بالبدر حلى صفحتيـه تمام
لو ينطق الحجـر الأصم لزائر حيتك فى صحرائها " الأهرام "
ياصهر " فاروق " وكل مجادة للصهر فهى لصهره اكرام
ضبـاط مصر جنود " فاروق " وهم لحمى البـلاد وعرشها آجام
رفعوا السيوف إلى علاك تحية وكذا التحايا للكرام كرام
" مصر " تفدى " فارسا " بدمائها وفـدى الأحبة ليس فيـه ملام
للأمتين المجد أصبح واحدا والمجد أهل والعلا أرحام
أهلا أمير " الفرس " ترحيب العلا بسناك لا يقوى عليه كلام
أنى حللت لك العلا ولك السنا والعـز والتبجيـل والإعظـام
أرأيت آفاق البلاد جميعهـا شوقا اليك بهـا هوى وهيام
لمـا طلعت على " العراق " تهللت جنبـاته واهــتزت الآكام
و" الشام " إلا الشام ، فهى حفاوة للقـاك كادت أن تطير الشام
و" بمصر " . هاهى مصر! ها هى ماترى! ذاك السرور وهــذه الأعلام
فى مصر إجلال لذاتك عنـده يعيى البيان وتقصر الأفهام
أقبلت فى وجه الربيع كلا كما باه يحيي جانبيـه وسـام
تتشابهان وإنمـا لك روحه ولك الشـذا وله هو الأكمام
هـذا قرانك لا قران شـبيهه هـو لاتحـاد المسلمين سـلام

هو دعوة الاسلام أن يتضافروا والصهر عهـد والولاء زمام
للشرق فى هـذا القران جلالة وكرامة ومهـابة ووئام
إنى لألمح فيـك جبهة فارس باد عليها العز والإقــدام
وأرى لعينك لمحـــة مشبوبة فيها الذكاء الجـاسر المقدام
وأراك أجـــل قامة ممشـوقة يعـــتز لو نسبت له الصمصام
هـذا الجبين تبسّمت فيه العـلا من بفخـــر "فارس" والـعلا بسّام
تاريخ "فارس" فى جبينك مشرق عالى السنا تحنى اليه الهـام
أشبهت "فاروق" الزمان كلاكما حسب معلى زانه الإسـلام
أشـبهته فكلاكما حلو السنا عال على عزم الأمور همـام
لكما على طول الزمان تهانئ تزهـو بها وتفـاخر الأيام

يوزباشى عبد الرحمن حافظ
أركان حرب وزارة الدفاع الوطنى

مقتبسات

من تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية

لحضرة صاحب السمو الأمير الجليل " عمر طوسون "

حكمدارية صمويل بيكر باشا

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٧٣ م



(السير صمويل بيكر باشا)

تمهيـــــد

في سنة ١٨٦٨ م كان أقصى نقطة وصل إليها الحكم المصرى فى جنوب السودان هى " فاشوده " . أما الأقاليم الواقعة جنوب هذه الناحية فكانت إلى بحيرات خط الاستواء العظمى التى يخرج منها نهر النيل ، خارجة عن هذا الحكم ويتردد عليها الرواد والنخاسون ، وكان من بين هؤلاء الرواد الذين ترددوا على هذه النواحى، الرحالة الإنجليزى المسمى "سير صموئيل بيكر" كما كان يتردد عليها فى كثير من الأوقات بعض عصابات مسلحة يستخدمها النخاسون وتجار العاج الذين كانوا يجوبون أرجاءها ويبثون الفزع والجزع أينما ساروا أو حلوا ابتغاء الحصول على متاجرهم البشرية وغيرها .

ومن السهولة بمكان عظيم أن يتصور الإنسان كيف يكون حال البلاد الخالية من أى نوع من أنواع الحكومات المتمدينة وما ينشأ عن خلوها من هذه الحكومات من إقفار القرى وانقراض السكان بسبب سفك كثير من الدماء وانتشار الفوضى وحدوث الخراب إلى غير ذلك مما كان حاصلا بالفعل فى هذه البقاع .

وكانت هذه المنطقة الشاسعة المترامية الأطراف عامرة بعدد وافر من السكان، وكان يحتاج هذا العدد الى حكومة منظمة لتحميه شر النخاسة والطوارئ الأخرى فيستطيع أن يأخذ حظه فى الزيادة والنماء و يستغل الثروة العظيمة التى فى أرضه وينمها .

وكان المغفور له الخديو " اسماعيل " يريد أن يضمن لمصر امتلاك منابع النيل ، فأمر مراعاة للإنسانية والسياسة والاقتداء بجده العظيم "محمد على باشا" بتجهيز حملة لضم الأراضى الواقعة فى جنوب فاشودة لغاية البحيرات الكبرى الى أملاك الحكومة المصرية لكى يقضى على الحالة الهمجية التى فى تلك البلاد ، وليكفل لمصر امتياز مراقبة منابع النيل التى تستمد منه ثروتها وعليه مدار حياتها .

وفعلا تقرر اعداد الحملة وكان إذن لا بد من إيجاد رئيس لها ، واتفق فى أوائل سنة ١٨٦٩ أن سير صموئيل بيكر الآنف الذكر كان فى مصر بمعية البرنس دغال (Prince de Galles) ولى عهد الملكة "فيكتوريا" ونجلها الذى كان يريد القيام برحلة الى الوجه القبلى، وكان سير "صموئيل" هذا قد قام حديثا بزيارة فى تلك النواحى النائية واستكشف بحيرة البيرت نيانزا ، فوقع اختيار الخديوى عليه ، وقد دارت محادثات فى هذا الشأن بينه وبين نوبار باشا أولا ثم مع الخديو، اشترك فيها ولى عهد انجلترا المذكور الذى كان يؤيد تأليف هذه الحملة ويشجع على ارسالها أثناء تلك المحادثات .

وقد تم الاتفاق بين الحكومة وسير صمويل بيكر وحرر عقد بخدمته مدة أربع سنوات براتب سنوى قدره عشرة آلاف جنيه انكليزى ومنح سلطة مطلقة تخول له حتى الأمر بالاعدام ، وإليك ترجمة الأمر العالى الذى صدر بتعيينه رئيسا للحملة المصرية :

نحن اسماعيل خديو مصر

قد أمرنا بما هو آت :

نظرا للحالة الهمجية السائدة بين القبائل القاطنة فى حوض نهر النيل ؛

ونظرا لأن النواحى المذكورة ليس بها حكومة ولا قوانين ولا أمن ؛

ولأن شرائع الإنسانية تفرض منع النخاسة والقضاء على القائمين بها المنتشرين بكثرة فى تلك النواحى.

ولأن تأسيس تجاره شرعية فى تلك النواحى المشار اليها يعتبر خطوة واسعة فى سبيل نشر المدنية ويفتح طريق الاتصال بالبحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء بواسطة المراكب التجارية ويساعد على إقامة حكومة ثابتة .

أمرنا بما هو آت :

تؤلف حملة لاخضاع النواحى الواقعة فى جنوب "غوند وكورو" لسلطتنا ، ولإبطال النخاسة وإيجاد تجارة منظمة ؛

ولفتح طرق الملاحة مع البحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء ؛

ولاقامة خط من النقط العسكرية ومستودعات للتجارة يبعد بعضها عن بعض مسافة ثلاثة أيام للماشى فى أنحاء أفريقية الوسطى ابتداء من غوند وكورو ؛

وقد فوضنا رئاسة هذه الحملة إلى سير " صمويل بيكر " لمدة أربع سنوات ابتداء من أول أبريل سنة ١٨٦٩ وقلدناه حقوق السلطة التامة المطلقة حتى السلطة المتعلقة بحياة واعدام كل من له علاقة بالحملة ؛

وقلدناه كذلك نفس هذه السلطة على كل النواحى التابعة لحوض النيل جنوب غوند وكورو .

وقد سميت هذه الأراضى التى فتحتها مصر وضمتها إلى أملاكها " مديرية خط الأستواء " وكانت حدودها كما يأتى :

فى الشمال : مصب نهر السوباط .

فى الجنوب : أرغنده التى بسطت مصر نفوذها عليها .

فى الشرق : الحبشة .

فى الغرب : مديرية بحر الغزال .

والحد الجنوبى هو أهم هـذه الحدود وهو الذى ينبغى أن تعيره مصر اهتمامها عند البحث فى حقوقها بهذه المديرية .

وقد بسطت مصر نفوذها أيضا على بعض البلاد المجاورة لهذه المديرية مثل " أوغندة" السالفة الذكر "والأنيورو"،ثم جاءت انجلترا واستولت كذلك على هاتين المملكتين وضمت الى الأولى مديرية خط الاستواء بعد اقتطاعها من الأملاك المصرية .

وكل هذه البلاد لم تفتحها مصر دفعة واحدة بل بالتدريج وفى عهود حكمدار بين متعددين كما سنبين ذلك فيما بعد .

سـنة ١٨٦٩ م

إعداد الحمـلة على هـذه المديرية

بعد أن تم تعيين"سير صموئيل بيكر Sir Samuel Baker"حكمدارا لمديرية خط الاستواء أخذ يعمل بجد ونشاط فى ترتيب الحملة على هذه المديرية واختيار المساعدين له من ذوى الكفايات إذ كان يعلم حق العلم أن نجاح مثل هذا العمل يتوقف على هذين الأمرين .

وكان الوقت لديه قصيرا بحيث لا ينبغى التفريط فى ذرة منه ، لأن السنوات الأربع المحددة لخدمته ، كما سيرى فيما بعد ، ربمـا لا تفى بالقيام بعمل كهذا متشعب الأطراف لا سيما إذا راعينا ما تستلزمه مثل هذه الحملة من الرحلات الطويلة وما تحتاج اليه من الزمن لقطع المسافات الشاسعة عدا ما يطرأ فى أثناء ذلك من العقبات .

ولمـا كان مفوضا تفويضا تاما من جناب الخديو فقد أمر بانشاء باخرة بدولابين قوتها ٣٢ حصانا بخاريا وحمولتها ٢٥١ طنا . وأخرى برفاسين ذوى ضغط شديد وقوتهـا ٢٠ حصانا بخاريا وحمولتها ١٠٨ أطنان . وثالثة أيضا برفاسين ذوى ضغط شديد وقوتها ١٠ أحصنة وحمولتها ٣٨ طنا، كما أمر بإنشاء مركبين من الحديد طول الواحد ٣٠ قدما وعرضه ٩ أقدام وحمولتـه ١٠ أطنان . وأوصى بعمل آلات بخارية لقطع الأخشاب ونشرها مع مرجل " قزان " يزن ٨٠٠ رطل .

وكل ما ذكر كان يحتم نقله من الاسكندرية إلى غندوكورو أى مسافة ٤٨٠٠ كيلو متر على ظهور الجمال وعلى متون السفن ومن بين ذلك مسافة بضع مئات من الأميال فى فيافى بلاد النوبة .

وعند ما تم تجهيز هذه البواخر سميت الأولى "الاسماعيلية" والثانية "الخديو" والثالثة "نيانزا".

أما الباخرة " الاسماعيليـــة " فجهزت بعد سفر سير صموئيل بيكر أعنى فى غضون حكمدارية "غوردون باشا Gordon Pasha" وقد استعملت للقيام بالخدمة ما بين "غندوكورو" والخرطوم فكانت تقطع هذه المسافة فى ظرف عشرة أيام ، واشتركت فيما بعد مع أسطول الحكومة فى الدفاع عن الخرطوم حينما حاصرها جيش الدراويش فى سنة ١٨٨٤ م وأسرها هؤلاء عند ما استولوا على تلك المدينة ، وعلى ظهر هذه الباخرة اجتاز المهدى النيل من أم درمان إلى الخرطوم عند أول زيارة له لهذه المدينة بعد سقوطها فى يده .

وتم تركيب الباخرة "الخديو" فى عهد حكم سير صموئيل بيكر عند ما كان يقوم برحلة فى جهة الجنوب فى أقليم "الأونيور Ounyoro" وهى التى نقلته فى عودته من هذه الجهة الى الخرطوم وكان ذلك عند انتهاء مأموريته .

و بعد سير صموئيل بيكر عاد غوردون باشا الى "غوندوكورو Gondokoro" على ظهر الباخرة المــذكورة ثم أمر بفكها وحملها الى " دوفيليــه Doufilé " فوق شلالات " فولا Fola " حيث أعيد تركيبها وخصصت للقيام بالخدمة فى النهر بين هذه النقطة وبحيرة "البرت نيانزا" و بداخل البحيرة نفسها ، لأن هذه الشلالات تعوق الملاحة مباشرة بين "غندوكورو" والبحيرة . وظلت هكذا تعمل فى هذه المنطقة حتى بعد سفر أمين باشا ثم خربها الدراويش عند استيلائهم على " دوفيليه " .

أما الباخرة " نيانزا " فأمر غوردون باشا بنقلها فوق شلالات فولا المذكورة وتركيبها هناك لتأدية نفس العمل الذى كانت تقوم به الباخرة " الخديو " فكان حظها فى النهاية كحظ هذه .

ولقــد طاف "جيسى باشا Gessi Pacha" الطليانى (أولا) فى سنة ١٨٧٦ م بمركبى الحديد و"ميسون بك Mason Bey" الأمريكى (ثانيا) فى سنة ١٨٧٧م بالباخرة "نيانزا" حول شواطئ بحيرة نيانزا باسم الحكومة المصرية ، فكانا هما السابقين لكل انسان فى التطواف حول تلك الشواطئ.

وكانت جماعة الانكليز الذين صحبوا سير صموئيل بيكر تتألف من الليدى بيكر زوجه ومن الملازم "جوليان ألين بيكر Julien Alleyne Baker" ابن أخيه من رجال البحرية الملكية ومستر "أدوين هجنبوثام Edwin Higginbotham" المهندس الملكى ومستر "وود Wood" السكرتير والطبيب

"جوزيف جيدج Joseph Gedge" ومستر "ماركو بولو Marcopolo" رئيس مخازن الحملة ومترجمها ومستر "ماك وليام Macwilliam" رئيس مهندسى البواخر ومستر "جارفس Jarvis" رئيس بنائى البواخر ومستر "هوايتفيلد Whitfield" ومستر "سامسون Samson" و"هيتشمان Hitchman" ومستر "رمسول Ramsall" من بنائى السفن والمراجل "القزانات" وغيرهم . وكان مع هذا المجمع أشان من الخدم .

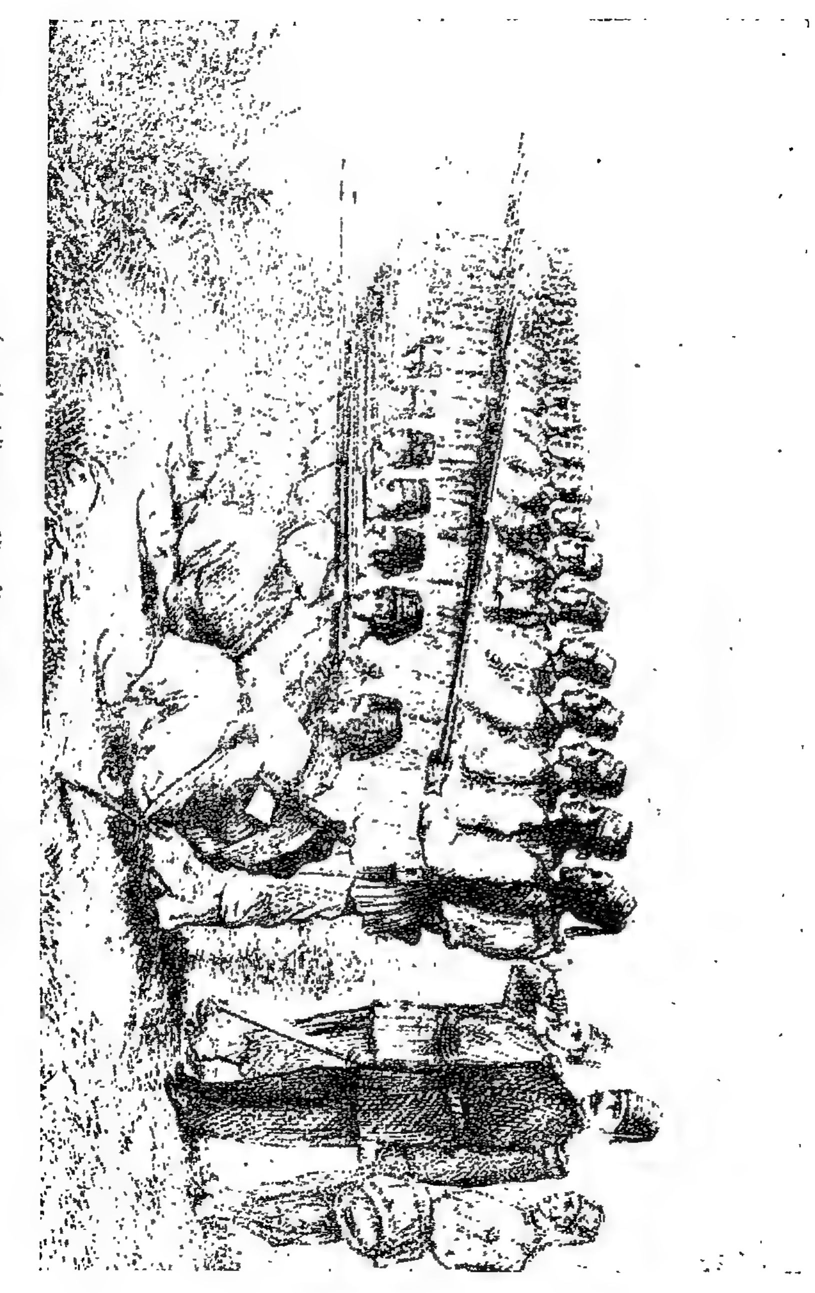
وكان من المقرر أن تتألف القوة العسكرية التى سترافق هذه الحملة من ١٤٠٠ جندى من البيادة و ٢٥٠ من السوارى الباشبوزق و بطاريتين من المدافع وأن تتجزأ البيادة الى أورطتين احداهما مصرية والأخرى سودانية وأن يكون رجالها من خيرة ارجال . وكان فى الأورطة السودانية ضباط وجنود خدموا بعض سنوات فى بلاد المكسيك فى الجيش الفرنسى تحت قيادة المارشال " بازين " .

راجع كتابنا " بطولة الأورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك " .

ولما كانت الحالة تستدعى القيام بأعمال فى مناطق لا تصلح إلا قليلا للسوراى رئى أخيرا ترك الـ ٢٥٠ من السوارى فى الخرطوم .

وكانت المدافع من النوع الجبلى ذى الماسورة الحلزونية "ششخانه" وهى مصنوعة من الشبه "البرنز" ووزن ماسورة المدفع ٢٣٠ رطلا ووزن القذيفة ٨ من الأرطال . وكانت دار صناعة "وولو يتش L'arsenal de Woolwich" تبرعت لهذه الحملة بمائتى صاروخ من "هال Hall" وزن الواحد رطلان ، وبخمسين بندقية من طراز " سنيدر " مع خمسين ألف ظرف للبنادق المذكورة .

وكان يجب أن يتجمع الجنود ومعهم الذخيرة فى الخرطوم و ينتظرون فيها مقدم سير صمويل بيكر . وكانت جنود هذه الحملة تحت إمرة أمير الآلاى "رءوف" بك الذى ترقى فيما بعد إلى رتبة باشا وتعين حكمدارا عاما للسودان ومعه فيها البكباشية أحمد رفيق افندى وعبد القادر افندى والطيب عبد الله افندى ، والأول من عنصر تركى — حضر حرب القرم مع النجدة المصرية — راجع كتابنا " الجيش المصرى فى حرب القرم " . وكان فى هذه الحملة يقود الأورطة المصرية وقتل فى أثنائها . والثانى مصرى الجنس وألقيت إليه مقاليد قيادة حرس صمويل بيكر الخصوصى وقد فاضت روحه فى غضون حرب الانكليز مع العرابيين فى سنة ١٨٨٢ م . أما الثالث فكان سودانيا وألقى على عاتقه قيادة الأورطة السودانية .



(حرس سير صمويل بيكر اثناء سيره خلفهم قائدهم الكابتن عبد القادر افندى)

قيام الحملة

قرر سير صمويل بيكر أن تسافر الحملة منقسمة ثلاثة أقسام . وكان قد تقرر فيما سلف أن تبارح ست بواخر من القاهرة فى شهر يونيه . وقوات هذه البواخر تتراوح بين ٤٠ و ٨٠ حصانا بخاريا . كما كان مقررا أن يسافر أيضا فى الوقت نفسه خمس عشرة سفينة شراعية وخمس عشرة سفينة ذهبية ، فتكون جملة ذلك ٣٦ مركبا تصعد النيل إلى الخرطوم أعنى تجتاز مسيرة ٢٨٣٠ كيلومترا مقلة المهمات والذخائر .

وكانت الأوامر قد أعطيت إلى "جعفر مظهر" باشا حكمدار السودان العام بأن يعدّ فى الخرطوم فى ميعاد معين ٢٥ مركبا شراعيا و٣ بواخر وأن يهيىء فى الوقت نفسه الجمال والخيول اللازمة للنقل برا بحيث يكون ذلك مجهزا عند قيام الحملة للسفر .

وبهذه الكيفية عند ما يصل الأسطول الذى سافر من مصر الى الخرطوم تكون قوة الحملة البحرية مؤلفة من ٩ بواخر و٥٥ مركبا شراعيا متوسط حمولة كل منها ٥٠ طنا .

وتولى مستر "هجنبوثام" أمر تسيير النقليات فى صحراء النوبة من كروسكو إلى الخرطوم وفعلا سلم سير صمويل بيكر لهذا الضابط البارع قطع البواخر وآلاتها مفككة ووضع تحت تصرفه المهندسين والسواقين الانجليز .

وكان يجب أن تبارح البواخر الست والأسطول الصغير مياه القاهرة فى ١٠ يونيه حتى يتيسر لها أن تصعد شلالات وادى حلفا فى وقت ارتفاع مياه النيل عند الفيضان ، لكن نظرا لغياب الخديو فى أوروبا لم تقلع المراكب من مراسيها إلا فى ٢٩ أغسطس .

ولما وصلت إلى الشلال الثانى كانت المياه قد انخفضت فلم تتمكن من اجتياز الممر وأمسى مرورها غير متيسر إلا فى الفيضان القادم .

وهكذا ذهب اثنا عشر شهرا هباء منثورا ووجد سير صمويل نفسه وهو لم يزل فى بادئ الأمر محروما من هذه المعونة التى لايمكن تقدير فائدتها .

ثم نشأ عن احتفالات قناة السويس صعوبة أخرى جرت أيضا إلى تأخير لامفر منه . ذلك أن الخديو بما هو معهود فيه من السخاء وكرم الضيافة قام باستعدادات هائلة من أجل هذه الاحتفالات وأمر بحجز كل مركب صالح للملاحة .

ووصل إلى القاهرة قطار يجر ٤١ عربة بها أجزاء بواخر ومراجل وآلات وغير ذلك وأنزل مشحونة فى ١١ سفينة كبيرة بالأجرة ، فكان ذلك سببا فى أن سير صمويل بيكر لم يجد بعد مشقة عظيمة الا باخرة قوتها ١٤٠ حصانا بخاريا لتجر هذا الأسطول الصغير إلى "كروسكو" حيث يجب أن يشرع فى اختراق الصحراء. ولم يظفر سير صمويل بيكر بهذه الباخرة إلا بعد مخابرة الخديو نفسه .

وقد أتيح له فى نهاية الأمر أن يرى كلا من مستر هجنبوثام والطبيب جيدج مسافرين ومعهما المهندسون والسواقون الانجليز . وقطرت الباخرة "المنيا" سلسلة المراكب الطويلة هذه المكوّنة من ١١ سفينة وقاومت بقوّتها عزم تيار النيل الشديد .

وكان لا بد من حمل مجموعة الآلات الثقيلة هذه بما فيها باخرتان ومركبان من الحديد حمولة كل منهما ١٠ أطنان مسافة ٤٨٠٠ كيلومتر تقريبا منها نحو ٦٥٠ كيلومترا فى صحراء النوبة المحرقة.



(قطار من الإبل ينقل أجزاء السفن البخارية وغيرها فى صحراء العطمور بين كروسكو وأبى حمد نقلا عن كتاب الاسماعيلية لسير صموئيل بيكر)

وقد سافر القسم الأول بأحماله الثقيلة فى ٢٩ اغسطس سنة ١٨٦٩ م مع المراكب الشراعية ليصل مباشرة الى الخرطوم بعد صعود الشلالات . ولم يتجاسر سير صمويل أن يرسل فى هذه الطريق المحفوفة بالمخاطر أية قطعة من قطع البواخر إذ أن ضياع أى مركب يكون محملا بقطع من أجزاء البواخر كان ممكنا أن تكون عاقبته فقد كل أمل فى نجاح الحملة .

وصول سير صمويل بيكر الى سواكن واستقباله فيها

وتجمعت ساقة الجيش فى ٥ ديسمبر سنة١٨٦٩ فى السويس. ومن هذه المدينة أبحر سير صمويل بيكر مع تلك الساقة على ظهر المركب الحربى المصرى "سنار" وفى ظرف أربعة أيام ونصف وصل الجميع الى سواكن حيث ألقت المراكب مراسيها فى آمان وسلام وأنزلت بدون حدوث أى عارض محمولها من الخيول البالغ عددها ٢١ رأسا .

وكان فى استقبال سير صمويل بيكر "ممتاز" بك محافظ سواكن وهو ضابط جركسي الأصل ذو ذكاء شديد انعقدت بينهما أواصر الصداقة بما أظهره له من العطف أثناء رحلته الأولى .

والترمت ساقة الجيش أن تلبث فى سواكن أسبوعا تحت انتظار الجمال و بعد مسيرة ١٤ يوما اجتازت الـ ٤٥٠ كيلو مترا فى أرض صحراوية ووصلت إلى بربر التى على النيل حيث وجدت باخرة وذهبية نقلتاها الى الخرطوم فى بحر ٣ أيام ومقدار هذه المسافة ٣٢٠ كيلو مترا. ولم تستغرق هذه الرحلة ابتداء من السويس سوى ٣٢ يوما بما فى ذلك مدة الوقوف عن السفر .

سنة ١٨٧٠ م

وصول الحملة الى الخرطوم

وكان قد مضى ستة أشهر مذ أعطى سير صمويل بيكر الأوامر الخاصة بسفر السفن والمؤونة . ولشد ما كانت دهشته عند ما علم أن تعليماته تركت نسيا منسيا وأنه وإن كانت عساكره قد صارت على قدم الاستعداد للسفر غير أنه لا توجد سفينة واحدة مجهزة لنقلها . وقال له جعفر مظهر باشا الحكمدار العام انه استحال عليه جمع السفن المطلوبة ولذلك اشترى له بيتا لاعتقاده أنه سيظل فى الخرطوم هذا العام فلا يسافر إلا فى الفصل الثانى .

ولم يجتز أى مركب بخارى من تلك المراكب التى أبحرت من مصر إلى الشلالات وعدلت الخمسة عشر مركبا الكبيرة التى كان قد عوّل على أن يشحن فيها الجمال عن محاولة صعود الشلالات ورجعت إلى القاهرة . أما المراكب الصغيرة فهى التى اجتازتها ولا ينتظر أن تصل الى الخرطوم قبل عدة شهور .

ووصل إلى الخرطوم القسم الأول الذى كان معه كل المهمات التى سبق أن أرسلها من القاهرة والذى كان سير صمويل فوض قيادته الى شخص سورى .

وعلم سير صمويل بيكر أن مستر هجنبوثام و بصحبته الطبيب جيدج و جماعة الانجليز وكل العمال المصريين سلكوا طريق الصحراء ومعهم البواخر والآلات محملة على ظهور نحو ألف جمل . وأن القسم الثالث بقيادة مستر ماركو بولو وصل الى سواكن بعد قيام ساقة الجيش ببضعة أيام ، أى أن كافة الأوامر التى أصدرها سير صمويل بيكر الى ضباطه تم تنفيذها فى الوقت المناسب .

وأخيرا بعد إلحاح كثير وضياع زمن طويل شرع الحكمدار جعفر مظهر باشا فى العمل غير أنه اشترى سفنا عتيقة ودفع فيها ثمن مراكب جديدة ولم يفحصها مندوب الحكومة إلا فحصا سطحيا عند التسليم . (يتبع)



محاضرة عن مؤتمر الصليب الأحمر الدولى

ألقاها بنادى ضباط الجيش ، حضرة البكباشى أحمد عبد النبى افندى قومندان مدرسة علم الصحة
فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٨

حضرات أصحاب السعادة والعزة :

سادتى :

أتيحت لى الفرصة فى العام الماضى أن أشترك مع القسم الطبى الملكى بالجيش البريطانى فى مناوراته العامة وأن أستمع لبعض محاضراته الخاصة مع بعض زملائى من أطباء الجيش ، فأيقنت أن فكرة إلقاء المحاضرات كثيرة الفائدة فى الجيوش، وأن لا غنى عنها، حتى نرقى بجيشنا الفتى الذى يستمدّ القوّة من قائدنا الأعلى جلالة مولانا الملك "فاروق الأول" حفظه الله ، وجعل أيامه أيام يمن وإقبال .

ولقد زاد هـذه العقيدة رسوخا فى نفسى ما لاقيته من تشجيع حضرة صاحب المعالى وزير الحربيـة والبحرية وحضرة صاحب السعادة وكيل الوزارة وصاحب السعادة رئيس أركان حرب الجيش قبل مبارحتى القطر لتمثيل مصر فى مؤتمر الصليب الأحمر الذى عقد فى لنـدن فى شهر يونيه المـاضى .

لهـذا لم أجد موضوعا يليق بافتتاح فصل محاضراتنا هذا العام أكثر من أن أحدّثكم عن أعمال ذلك المؤتمر الذى اشتركت فيه أربع وخمسون دولة اجتمعت فى صعيد واحد ، ولا قصـد للجميع إلا تخفيف الويلات وتلطيف الكارثات .

سادتى :

ليست فكرة عقد المؤتمرات بالشىء الجديد المستحدث ولا هى بالبدعة، فطالمـا حلت المشاكل وتفاهمت الدول على كثير من شؤونها العامة فى اجتماعات دولية يقصدها المؤتمرون من أقصى الممـالك وقد امتلأت حقائبهم بالمذكرات ورءوسهم بالأفكار والأبحاث فلا يكادون ينتهون من عملهم حتى يبين نتيجة بحثهم ممحصة واضحة .

سادتى :

شرفتنى الحكومة المصرية بانتدابى مع زميلىّ الفاضلين، الدكتور محمود ماهر بك والدكتور محمد بك عبد المنعم رياض، لتمثيلها فى مؤتمر الصليب الأحمر السادس عشر . كما مثل الدكتور ماهر بك جمعية الهلال الأحمر المصرية . وقد أخذنا فى درس الموضوعات المطروحة للبحث ومن بينها معاهدة جنيف التى عقدت فى عام ١٩٢٩ لتحسين حال الجرحى والمرضى ولحماية علامة الصليب الأحمر . ولقد سعى زميلى لدى سعادة عبد الحميد بدوى باشا فى إصدار القوانين الخاصة بذلك لأننا توقعنا أن نسأل فى المؤتمر عن هذه القوانين . وقد تفضل بدوى باشا بوضع مشاريعها وأحالها إلى اللجنة التشريعية قبل سفرنا . شددنا الرحال وبيدنا ذلك السلاح الذى يثبت أن مصر ساهمت بنصيبها فى ذلك العمل الجليل .

ولقد كنا نودّ أن تفوّضنا الحكومة فى دعوة المؤتمر القادم للانعقاد بالقاهرة عام ١٩٤٢ ولكن قرارا لم يتخذ فى ذلك قبل رحيلنا . لهذا أسفنا كثيرا لما تقدّمت السويد لدعوة المؤتمر السابع عشر فى بلادها وقد قبلت دعوتها وقد رأينا أن نتبين استعداد مندوبى الدول لقبول عقد دورة من الدورات القادمة بمصر إذا وافقت الحكومة المصرية على ذلك ، وقد سرنا أن لاقى تساؤلنا ترحيبا عظيما ، فحبذا لو وافقت الحكومة على دعوة المؤتمر بمصر عام ١٩٤٦ ، فسوف نفيد كثيرا منه .

سادتى :

إسمحوا قبل أن أحدثكم عن أعمال المؤتمر وعن لجانه أن أذكر لكم أن الضابط يحار فى اختيار اللباس الذى يرتديه فى مختلف المناسبات فى المؤتمرات . لهذا اتصلت بسكرتارية المؤتمر بعد استشارة سفارتنا بلندن لمعرفة ذلك فأرسلوا لى كشفا مفصلا . ففى هذه الحفلة يلزم ارتداء (Bon jour) والقبعة العالية ، وفى تلك يجب ارتداء الفراك ، وفى هذا الاستقبال يجب ارتداء كسوة التشريفة الكبرى بالنياشين ، وفى مناسبة أخرى يمكن ارتداء بذلة الطابور بالسيف والنياشين .

كل هذا جميل وحسن ولا مندوحة من الخضوع لأوامر البروتوكول ، ولكن القبعة العالية الـ (Tcp Hat) حقا كانت مشكلة المشاكل .

جهزناها وأمرنا لله ، ولكن بشرتنا السمراء لم توافق على وضعها على رءوسنا فاتفقنا ثلاثتنا على الاضراب . وقررنا ارتداء طربوشنا فكان لنا ما أردنا ، وامتزنا من بين مندوبى جميع الدول بتغطية رءوسنا ، فكان ذلك دعاية جميلة لفتت الينا الأنظار فأقبل الكل يحدثوننا عن بلادنا الجميلة ، بلد الشعر والخيال كما يقولون . وقدمنا لجلالة الملكة "Mary" التى حدثتنا عن مصر ، والفضل فى كل ذلك للطربوش . إذا فليحى الطربوش .

أعمال المؤتمر

دعينا قبل انعقاد المؤتمر بيومين لتسلم المذكرات التى أعدّت له ، فهالتنا كثرتها وحمل كل منا مازنته ١٠ كيلوجرامات من المطبوعات التى تنافست الدول فى تقديمها وكم كان ألمنا عظيما أن رأينا نصيب مصر ضئيلا ، وضئيلا جدا ، بضع صحائف ليس فيها إلا القليل . فالى الأمام يامصر إلى الأمام .

وقد وضع المؤتمر برنامجا ابتدائيا قسمت بمقتضاه الجلسات إلى قسمين :

القسم الأول ويسمى مجلس المندوبين

يمثل كل حكومة فيه ثلاثة من مندوبيها لا فرق بين أمة وأخرى ولا بين مندوبى الجمعيات والحكومات فالكل سواء لهم حق المناقشة . كما أن مندوبى اللجنة الدولية لجمعيات الصليب الأحمر بجنيف ومندوبى الاتحاد الدولى للاسعاف أخذوا أماكنهم بين سائر المندوبين . وبديهى أن البحث دار فى هذا القسم على مسائل عامة طرحت للبحث بصفة رسمية ، وقد شمل هذا القسم أيضا اجتماعين لمجلس المحافظين وهم رؤساء الوفود واجتماعين عامين لجميع المندوبين .

القسم الثانى وقد قسم الى أربع لجان

اللجنة الأولى :

سميت باللجنة العامة ومهمتها بحث المسائل ذات الصفة العامة من جدول المؤتمر وقد مثل مصر فيها كل من : الدكتورين محمود ماهر بك وأحمد عبد النبى .

اللجنة الثانية :

سميت باللجنة القانونية ومهمتها بحث المسائل القانونية البحتة كما يستفاد من اسمها ومثل مصر فيها : الدكتور محمد بك عبد المنعم رياض .

اللجنة الثالثة :

سميت بلجنة الإسعاف والإنقاذ ، وقد مثل مصر فيها : الدكتور أحمد عبد النبى .

اللجنة الرابعة :

وسميت بلجنة التعليم ومهمتها بحث ما يمكن أن يقوم به الصليب الأحمر من أعمال الثقافة سواء للصغار أو الكبار ونشر المعلومات الخاصة بالوقاية والصحة العامة والأمن والتدريب على أعمال التطوع، وقد مثل مصر فى هذه اللجنة كل من : الدكتورين محمود ماهر بك والبكباشى أحمد عبد النبى .

إسمحوا لى بعد هذا أيها السادة أن أذكر طرفا من أعمال كل لجنة :

اللجنة الأولى

تناولت هذه اللجنة بحث المسائل الآتية :

(أولا) تقرير اللجنة الدائمة التى تتشكل عند انعقاد كل مؤتمر ومن أهم ما تختص به تحضير المؤتمر الذى يليه .

(ثانيا) خلاصة التقارير المقدمة من الجمعيات المختلفة .

(ثالثا) تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وهو تقرير مطول تناول أعمال الانعقاد فى أمريكا والحبشة وأسبانيا والصين و بحث فيه المجتمعون إمكان إيجاد مستودعات لمهمات الاسعاف فى بعض الممالك المختلفة، ولكن الرأى استقر على أن يحتفظ بمستودع عام كبير بجنيف يبادر بإرسال النجدات لمختلف الأقطار وأن تقوم الجمعيات المحلية بمد يد المعونة فى مواطن الكارثة حتى يأتيها المدد من جنيف .

(رابعا) تقرير اتحاد الجمعيات .

(خامسا) تقارير لجنة إدارة الإيرادات الناتجة من هبتى جلالة امبراطور اليابان وقيمتها ١٧٠٠٠ جنيه وجلالة امبراطور ألمانيا السابق وقيمتها ٥٠٠٠ جنيه .

(سادسا) تقرير عن مؤسسة (Nightingale) وهى التى أنشئت فى لندن فى سنة ١٩٣٤ والتى دعى لزيارتها أعضاء المؤتمر كما سيجيء آنفا .

(سابعا) تقرير اللجنة الدائمة لدراسة الأدوات الطبية .

(ثامنا) تقرير [illegible] المكلف بإدارة أموال اللجنة الدولية للصليب الأحمر التى بلغت ٤٥٠٠٠ جنيه فى [illegible] سنة ١٩٣٧ وقد طلب المقرر زيادتها إلى ١٥٠٠٠٠ جنيه حتى تستطيع اللجنة [illegible] القيام بواجباتها .

ولقد فاجأنا ممثل أمريكا بأن حكومته مستعدة فى حالة تقرير زيادة هذا المبلغ أن تدفع مبلغا يوازى مجموع ما تدفعه دول العالم أجمع . أفلا يجدر بنا أيها السادة أن نبادر بزيادة نصيب مصر من هذه الاعانة ، والمعروف أنها لا تضن بمال على أعمال الانسانية ؟

اللجنة الثانية

طالت مناقشات هذه اللجنة التى جمعت فطاحل رجال القانون والتشريع واحتدم فيها الجدل كل يريد أن يؤيد وجهة نظره ، وتناول بحثها ما يأتى :

(أولا) تنقيح معاهدة جنيف، وقد قدم الوفد اليونانى مشروعا يقضى بالاقتصار على الصليب الأحمر على قاعدة بيضاء ، وحقا لقد أبلى ممثلنا فى هذه اللجنة القانونى الضابط الدكتور عبد المنعم بك رياض بلاء حسنا فى هـذا المضمار مبينا أن الهلال الأحمر بالنسبة لمصر وتركيا ، والشمس والأسد بالنسبة لإيران ليس لهما اتصال بأى اعتبار دينى ، و بعد جدل طويل كسب مندو بنا قضية مصر ؛ واحتفظنا بهلالنا الأحمر بعد أن أثبتنا أن الحكومة عاملة على حمايته من سوء الاستعمال .

(ثانيا) بحثت اللجنة إمكان النص على إنشاء مدن صحية يمتنع إطلاق النار عليها زمن الحرب لتكون ملجأ المرضى والضعفاء والجرحى . فتقرر بحث ذلك فى بلجنة دولية تضم الخبراء العسكريين .

(ثالثا) بحثت اللجنة إمكان تطبيق معاهدة جنيف على الحروب البحرية . فتقرر بحث ذلك فى مؤتمر سياسى قادم .

اقترح الوفد البريطانى جمع معاهدتى جنيف ولاهاى فى معاهدة واحدة ، ففضلت اللجنة بقاءهما منفصلتين محافظة على كيانهما .

اللجنة الثالثة

كان منوطا بهذه اللجنة دراسة الموضوعات الآتية :

(أولا) تقرير اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولى للاسعاف .

(ثانيا) أعمال الاسعاف فى الكوارث وأوقات الشدة ، وينقسم البحث فى هـذه إلى الاقسام الآتيـة :

(ا) علاقة الحكومات بجمعيات الصليب الأحمر .

(ب) تقرير لجنة الخبراء عن متطوعى الاسعاف من أطباء وممرضين .

(ج) وظيفة لجنة الصليب الأحمر الدولية .

(ثالثا) أعمال الاسعاف الخاصة :

(ا) الاسعاف فى الجهات القاصية .

(ب) الاسعاف الجوى (Highways) .

(ج) الاسعاف البحرى فى المناطق الجبلية والمناجم .

(رابعا) تعاون جمعيات الصليب الأحمر مع حكوماتها .

(أ) فى زمن السلم .

(ب) فى وقت الحروب .

ولقد تدارست اللجنة جميع هذه الموضوعات بإسهاب وشرح مندوبون كل دولة ما تقوم به جمعياتهم من مختلف الأعمال ، وما تقدمه للإنسانية من الخدمات ، وما تستعد به لزمن الحرب ، الأمر الذى أثار إعجابنا . فلقد اتضح لنا أن تلك الجمعيات تقوم بكثير من أعمال المستشفيات العامة عندنا .

وقلما تخلو قرية من قراهم من وجود فرع من فروع الصليب الأحمر التى أنشئت بكل المعدات الطبية ، ولما جاء دور ممثل مصر ، شرح للمؤتمرين أن أعمال الإنقاذ عندنا تقوم بها الهيئات الآتية :

(أولا) جمعية الهلال الأحمر ، ولها مستشفى حديث يتسع لحوادث قسم كبير من عاصمة القطر ولها مدرسة لتخريج الممرضات المتطوعات .

(ثانيا) جمعية الإسعاف العمومية ، ولها فروع فى أغلب عواصم المديريات والبنادر والقرى الكبيرة .

(ثالثا) نقط إسعاف مصلحة الحدود ، ودائرة أعمالها محصورة فى الطريق الصحراوية التى تقع فيها بعض حوادث السيارات .

وإن جميع هذه الهيئات متضافرة تقوم بما يقوم به الصليب الأحمر فى البلاد المختلفة ، وفى الاستطاعة أن تقوم بنصيب أوفر ، لو توفر لديها المال ، وقام جمهورنا بمد يد المساعدة ، شأن البلاد الأخرى .

وقد بحث المؤتمرون فى إمكان توحيد المهمات والأدوات الطبية فى فروع الصليب الأحمر فى جميع أنحاء العالم ، فاستحسن الجميع هذا الرأى ، ووعدوا بدراسته فى جمعياتهم التى توالى دراسة موضوع الإسعاف .

ولقد تليت علينا أمنية لجنــة الخبراء الدولية التى تمدها الجمعيات المختلفة بكافة المعلومات التى تطلبها ، وأن تبعث إليها بنمــاذج لمــا يستجد لديها من الأجهزة والأدوات لإمكان تعميمها .

كذا عرضت اللجنة لتعميم جماعات الإغاثة التى تنحصر أعمالها فى الفيضانات والزلازل والحرائق والانفجارات وما شاكل ذلك من الكوارث ، والحصول على متطوعيهـا من خريجى مدارس الممرضين والممرضات ، ومن جمعيات الصليب الأحمر . وعمل كشوف بأسماء الأطباء والممرضين المتطوعين ، وبأسماء المحال التجارية التى بها المهمات التى تلزمها ، وأسماء الجمعيات التى تساهم فى مساعدتها ، وما يستطيع أن يقوم به كل متطوع من الخدمات .

وقد لوحظ ضرورة قصر أعمال المتطوعين العــاديين من غير الأطباء على الاســعاف الأولى الضرورى خشية من تجسيم الإصابات ، وخصوصا فى حالات الصدمة التى تحتاج إلى عناية فائقة .

واتفقت الآراء على أن تهيأ نقط الإسعاف الثـابتة بكل ما يجعلها وحدات متحركة تستطيع الانتقال كما هى إلى مواطن الكارثة ، وأن تكون مهماتها صالحة للاستعمال فى جميع الأوقات .

وطلب مندوب فرنسا النص على عدم تدخل الحكومات بطريق مباشر فى أعمــال الصليب الأحمر . وأقرت اللجنة ذلك رغم معارضة الكثيرين ممن طلبوا إحالة الموضوع إلى لجنــة خاصة لدراسته .

وقد طلب بعض الأعضاء ألا تزيد المسافة بين فروع الصليب الأحمر عن عشرة كيلومترات فاعترض الكثيرون على ذلك. وأبان مندوبا مصر والهند أنه لا يمكن اتخاذ ذلك كقاعدة . وأخيرا رئى أن يترك لكل مملكة أن تعمل ما تراه ملائمــا لها .

الاسعاف بالطائرات

تكلم مندوب السويد عن وسائل الاسعاف بالطائرات فذكر أنه يوجد لديهم سبع طائرات تحمل كل منها مريضين نائمين ومريضا جالسا وطبيبا . وأنها قامت بنقل ٩٠٥ مرضى خلال ١٩٣٧ وقد قامت الحكومة بشراء هذه الطائرات بمساعدة الأهالى. ولكنها تتولى الانفاق عليها وصيانتها.

وتكلم المندوب المصرى فبين ما يقوم به الطيران الملكى المصرى من المساعدة فى نقــل المرضى والمصابين ونقل الجراحين للجهات النائية لإجراء العمليات العاجلة والبحث عن المفقودين مع عدم وجود طائرات مخصصة لذلك . وقد استطاع القسم الصحى بالجيش بهــذه الوسيلة أن يطهر مياه الصحراء الغربية التى تنقلها البواخر من الاسكندرية فى مرة من المرات ، حيث ثبت تلوثها . فاطرى المندوبون ذلك .

وقد علمنا أن دولة بولندا تملك ثمانى طائرات للاسعاف . وأنها تقوم بكثير من الأعمال المجيدة وأن سيدة فرنسية تساعدها ماليا مساعدة متوالية . مع أن فرنسا لاقت كثيرا من الصعوبات فى هذا السبيل ، فقد أصبح لديها الكثير من طائرات الاسعاف ومائتا ممرضة تمرن على الطيران .

معونة الصليب الأحمر البريطانى للخدمة الطبية بالجيش

يقدّم هذه المساعدة هيئتان :

الهيئة الأولى — جماعة المتطوعين للاسعاف (Voluntary Aid Detachments) وتتكون من رجال ونساء درسوا دراسة خاصة تؤهلهم للعمل فى زمن الحرب و ينقسمون الى قسمين :

(أ) جماعات متحركة تعمل فى ميادين القتال .

(ب) جماعات ثابتة تعمل فى المستشفيات .

الهيئة الثانية — الخدمة الطبية بالجيش الاقليمى .

وفيها يمرن المتطوعون والممرضات على أعمال الميدان .

الخدمة الطبية فى الحرب الصينية

استطاع عمدة لندن أن يجمع ١١٠٠٠ من الجنيهات لهذا الغرض اشتريت بها المعدات الطبية والأغذية التى أرسلت للصين . مع المتطوعين من الأطباء والممرضين وأبيح لجمعيات الصليب الأحمر المختلفة الحصول على ما تحتاج اليه . وقد ساهمت شركات الملاحة البريطانية فى هذا العمل الانسانى وتنازلت عن مصاريف نقل تلك المعونة . وقد أخبرنى مندوب هـذه البعثة أنه تكونت ثلاث وثلاثون جماعة جراحيـة تتألف كل منهما من ٥ جراحين و١٠ ممرضات و ٥ ممرضين و ٥ عمـال "صناعية" وجهاز كامل للاشعة . وأنها قامت بأجل الخدمات . وأصبح أمر تعميمها فى الجيوش منظورا اليه بعين الرضا .

مؤسسات الصليب الأحمر البريطانى

أيها السادة :

يحسن بى فى هذا المجال أن أشير الى عيادة الأمراض الروماتزمية التى تديرها جمعيـة الصليب الأحمر البريطانية بلندن ، فقد أعدت على أحدث طراز ، وجهزت بكل وسائل العلاج الحديثـة من حمامات طبية وكهربائية وضوئية ، ويشرف عليها أطباء اخصائيون أكثرهم متطوعون ويستطيع الفقير أن يعالج فيها بالمجان ، بينما يدفع القادر أجرا معتدلا يتناسب مع مركزه يساعد الجمعية على تغطية بعض نفقاتها . وهذا مثل من تعاون الانسان مع أخيه الانسان .

كما يجب ألا ننسى مستشفى مشوهى الحرب الكبرى الذى تديره الجمعية فى ريتشموند من ضواحى لندن ، وهو مستشفى كبير فخم يشرف على نهر التاميز يعنى فيه باللاجئين البائسين عناية بالغة تنسيهم آلامهم وهم يشغلون أوقاتهم بالمطالعة والدرس ومشاهدة أفلام السينما بالمستشفى، والصلاة، وعمل الأشغال اليدوية البسيطة، كالتطريز والكراسى والفرش ويتناولون أجرا بسيطا على عملهم يدخل السرور على نفوسهم . ويسمح لهم بالتجول فى عربات خاصة "كراسى متحركة" فى حديقة المستشفى ، وفى الأماكن المجاورة ، فلا يشعرون بالسأم .

اللجنة الرابعة

عمل هذه اللجنة تعليمى محض ، انقسم البحث فيه الى موضوعين :

(الأول) التعليم فى حدود الصليب الأحمر . ويدخل فى ذلك تعليم وسائل الاسعاف .

(الثانى) تهيئة الرأى العام لفهم ودراسة أعمال الصليب الأحمر .

فأما عن الموضوع الأول فقد ذكر أن الغرض من التعليم ألا تحصر أعمال الاسعاف داخل حدود المملكة الواحدة. بل الواجب أن تشعر جميع الجمعيات بمسئولياتها الدولية ووجوب تضامنها مع الجمعيات الأخرى لتخفيف آلام الجنس البشرى ، والحض على السلام والمحبة والوئام ، بين جميع الشعوب . وتعزيزا لتلك الروح تعقد الجمعيات ما يسمى بأيام أو أسابيع الصليب الأحمر لبث الدعاوة للانضمام اليها، مستعينة فى ذلك بجميع وسائل النشر والاذاعة من عمل مهرجانات ، وإلقاء محاضرات ، والكتابة فى الصحف وما ماثل ذلك .

وليس أدل على فائدة تعاون الجمعيات المختلفة من وجود مؤسسة فلورنس نيتنجيل بلندن التى تلتقى فيها ممرضات الشعوب المختلفة . فتنشأ بينهن الصداقة والمحبة ويتدارسن مايقوم به الصليب الأحمر فى مختلف أنحاء المعمورة . ولا بأس من أن أذكر لمحة عن هذه المؤسسة التى أنشئت عام ١٩٣٤ فى ميدان منشستر رقم ١٥ بلندن تخليدا لذكرى السيدة (Florence Nightingale) التى تعتبر أول سيدة تقدمت لتنظيم العناية بالجرحى والمرضى فى الحرب وكان أول ميدان صلت فيه حرب القرم فى مبدأ النصف الأخير من القرن التاسع عشر . وقد ساهم الكثير من الدول فى هذه المؤسسة بحاجات جديرة باسمها، واختصت كل دولة بحجرة من حجراتها فأثثتها بأثاث وطنى صميم ، فهذه غرفة للصين، وتلك لليابان ، وأخرى لألمانيا، وثانية للمجر وثالثة للهند، أو لأسبانيا وهكذا . ولقد دعينا لزيارة هذه الدار فأحسنت وفادتنا، وكنا نرى نزيلة كل غرفة ترتدى الزى الوطنى، وهى تباهى به . وتمنينا لو أن لنا فى هذه الدار غرفة مصرية توفد اليها ممرضة من ممرضاتنا فى كل عام فسوف لا يكلفنا ذلك أكثر من ٢٥٠ جنيها سنويا . وهو مبلغ زهيد لا يقاس بالفائدة التى تجنى من ورائه .

سادتى :

أعود بكم الآن الى موضوع تعليم الاسعاف ، فقد رئى مع عدم المساس بما تتطلبه الحالات المحلية كاختلاف الطقس وتباين العادات والأخلاق فى الممالك المختلفة أن توحد الدراسة للمتطوعات فيعقد لذلك دراسات اولية نظرية تستغرق من ثلاثين الى خمسين ساعة ، تعقبها دراسة عمليــة فى العناية بالمرضى وعمل الاسعافات ودراســة علم الصحة . وليس من المحتم أن تلحق المتطوعات بالمستشفيات لهذا الغرض .

أما عن الموضوع الثـانى وهو تهيئة الرأى العام لدراسة أعمال الاسعاف ومساعدتهـا ، فيرمى الصليب الأحمــر الى تنوير الأذهان . وجمع الاكتتابات بشتى الطرق لتقــديم المساعدة للجيوش فى الحرب . وتلبية نداء الانسانية عند الكوارث . ولهذا يجب أن تعمل الجمعيات على كسب ثقة الشعوب من غير تمييز بين الأجناس والديانات .وأن تولى أعمال البر باجندة طبقا لبرامج موضوعة ولا يخفى أن أحسن اعلان عن الجمعيات هو ما يشاهده الجمهور من أعمالها النافعة .

ويستعين الصليب الأحمر على الاعلان بالوسيلتين الآتيتين ؛

(الأولى) عمل مجلات خاصة تبين للجمهور ما تقوم به الجمعيات فى المحيطين الأهلى والدولى .

(الثانية) تعليم الناشئين والناشئات من تلاميذ المدارس اتقاء أخطاء الحريق وأعمال (الصليب الأحمر للصغار) ومن أول أغراض هذه الوسيلة تحسين صحة الصغار بمختلف الألعاب وتلقينهم مبادئ علم الصحة . وقد لوحظ أثر ذلك فى نقص عدد المرضى العاديين بين هؤلاء التلاميذ .

ويبث المسئولون روح التعاون بين الصغـار . فيشجعون على جمع الاكتتابات لأغراض الخير داخل وخارج حدود المملكة .ويحاطون علما بما يصيب الشعوب من خير أو شر . إثارة لعواطفهم وتحفيزا لهمتهم .

ومما يثير الاعجاب حقا اتساع نطاق أعمال الصليب الأحمر للصغار فى بريطانيا العظمى وكندا واليابان وغيرها .

وكم كان جميلا أن نرى عنــد تشرفنا بمقابلة حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيـا العظمى خيمة صغيرة نصبت فى حديقة قصر بكنجهام . وجعلت بها نقطة اسعاف يقوم بالخدمات فيهـا المتطوعات اللاتى كان بينهن بعض الصغيرات من متطوعات "الصليب الأحمر" .

وبمناسبة ذكر هــذا الاستقبال نقول إننـا تشرفنا بمصافحة كل من حضرة صاحب الجلالة البريطانية وجلالة الملكة الوالدة مارى .

كما دعينا لحفلة استقبال باهرة استقبلنا فيها نيابة عن الحكومة معالى وزير الدفاع وكريمته ودعانا عمدة لندن الى حفلة ساهرة أخرى فى الـ (Guild Hall) وهى حفلة لن ننساها مدى الدهر إذ نعمنا بمشاهدة آثار لندن النادرة المصنوعة من الذهب الخالص وشاهدنا استقبالا تاريخيا كنا نرى فيه الاشراف بملابسهم التقليدية الجميلة وهم يستقبلون وفود الدول ويمرون بهم بين صفين من اللوردات عند تقديمهم لسعادة المدير .

وكانت آخر حفلة دعينا لها حفلة صلاة الشكر التى أقيمت فى كاتدرائية القديس "سانت بول" شكرا لله على نجاح أعمال المؤتمر .

الخلاصــــة

سادتى :

أرانى أطلت عليكم الحديث ولكن قبل أن أختتم كلمتى أرجو أن أشير الى بعض ملاحظات استخلصها المندوبون المصريون إبان انعقاد المؤتمر وهى تتلخص فيما يأتى :

(أولا) ضرورة إيجاد صلة وثيقة بين "جمعية الهلال الأحمر" المصرية والقسم الطبى بالجيش المصرى ، إذ أن مرسوم تكوين جمعية الهلال الأحمر قد نص صراحة على أنها تضع نفسها تحت تصرف الجيش المصرى فى وقت الحرب ، فلا أقل إذن من أن تمثل وزارة الحربية فى مجلس ادارة الهلال الأحمر ، وأن تتعاون الهيئات على إيجاد احتياطى من الأطباء للجيش طبقا لمشروع تضعه وزارة الحربية .

(ثانيا) أعتقد أنه آن الأوان لتخصيص طائرات من طائرات سلاح الطيران الملكى المصرى لأعمال الاسعاف، وهذا المشروع كما أعلم معروض على ذوى الشأن بالوزارة ، كما يجب أن تجمع جمعية الهلال الأحمر الاكتتابات بشتى الوسائل لشراء طائرتين تخصصان للاسعاف ، وان فى كرم المصريين ونخوتهم مايكفل نجاح ذلك .

(ثالثا) يجب أن تتعاون وزارة المعارف العمومية مع الهلال الأحمر المصرى على البدء بتكوين شباب الهلال الأحمر على غرار الـ (Junior Red Cross) وتحبيب المرشدات والكشافة فى الانضمام اليه .

(رابعا) يجب توجيه الدعوة للقادرات والقادرين للتطوع فى أعمال الاسعاف والاغاثة وأن يساهم الجميع فى تقديم المساعدة المالية الواجبة . إذ أن الحكومة لاتستطيع مهما أوتيت من مال أن تموّل كل مشروع عام .

أصحاب السعادة والعزة

سادتى :

أشكركم جزيل الشكر على تفضلكم بالحضور لسماع هذه الكلمة المتواضعة راجيا أن أكون قد وفقت فيها وان نرى من تعضيدكم لنا مايشجعنا على وضع حجر صغير فى بناء نهضتنا المباركة ان شاء الله .

بكباشى أحمد عبد النبى

قومندان مدرسة علم الصحة العسكرية

الجغرافيا وأهمية دراستها

تمهيـــــد

إذا ألقينا نظرة فى حالة العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية قبـل إثارة الحرب الأوروبية العظمى ووقتنا الحاضر لتبين لنا عظم الفارق وتغييرحالة العالم من جميع نواحيها ، فوسائل المعيشة وطرق المواصلات ونقل الأخبار والاتصال ووسائل الانتقال ومعدّات القتال وغيرها ، فى تغيير متواصل وتقدم مستمر بفضل الاختراعات الحديثة وتسابق الدول وتنافسها فى جميع هذه الميادين.

و إن هذا التقدم قد شمل جميع نواحى الحياة وقت السلم والحرب ، واذا درسنا عوامل هذا التقدم نلمس ما للجغرافيا من أثر فعال على حياة الشعوب ومستقبل الأمم ، وما للموقع الجغرافى من أهمية وأثر ، فقد يكون هـــذا الموقع سبب تقـدم الدولة ورقيها ، وسيادة شعبها ، أو سبب تأخرها واضمحلالها واستعباد شعبها .

ولا يتبادر للذهن أن دراسة الجغرافيا قاصرة على مجرد معرفة أسماء الدول ومواقعها وأشهر بلدانها وأهم حاصلاتها ، بل هى أهم من ذلك وأعظم ، فدراسة الجغرافيا موضوع متعدد النواحى متشعب الطرق تختلف طريقة دراسته باختلاف وجهة نظر الدارس وغايته ومأربه ، فدراسة الرجل السياسى تختلف عن دراسة الزارع والتاجر والرجل الحربى .

ويشمل دراسة علم الجغرافيا دراسة الظواهر الطبيعية والعوامل الجوية وأسباب تباين المناخ واختلاف درجة الحرارة وعوامل سقوط الأمطار ودراسة المعالم الطبيعية من جبال وأنهار وصحارى وغيرها ودراسة أنواع الحدود وأشكالها وسعة الأقليم وموارده النباتية والمعدنية والصناعية والتجارية وموقعها الجغرافى وما له من أثر على جميع العوامل السابقة .

حقيقة إن دراسة العوامل الجغرافية تختلف تبعا لوجهات النظر المختلفة لمن يدرسونها وإن ما يهم بعض الدول دراسته قد لا يهم البعض الآخر ، فمثلا دراسة حدود الهنـد الشمالية وبلاد أفغانستان والتبت لا يهتم الضابط المصرى بها كما يهتم بذلك الضابط البريطانى أو الروسى ، إذ أن لممـالك هؤلاء الضباط مصالح متوافقة أو متنافرة فى هذه الأقاليم .

هذا وإن من أول واجبات الضابط أن يعنى بدراسة جغرافية بلاده وممتلكاتها ثم يدرس بعد ذلك الممـالك المحيطة بها والتى يحتمل أن تشترك معها فى الحروب محالفة كانت أو معادية .

ولنا فى التاريخ عبرة لكثير من القواد الذين فشلوا فى حروبهم لغير ما سبب سوى عدم دراستهم دقائق جغرافيــة مسرح الحرب، وكم من جيش ذهب ضحية عدم إلمـام ضباطه بالجغرافيا الحربية للاقليم الذى يحاربون فيه .

وإن فشل الحملة المصرية بقيادة "هكس" باشا لا ترجع الى مهارة قوات المهدى التكتيكية أو تفوق تسليحهم، بل ترجع إلى تأثير العوامل الجغرافية وجهل قادة هذه الحملة بطبيعة الاقليم وموارده .

وإذا تتبعنا سلسلة انتصارات نابليون لوجدنا أن معظمها كانت فى شمال إيطاليا و إقليم النمسا و بروسيا ، أى فى الأقاليم التى ألم بجغرافيتها ودرسها دراسه تامة، ووقف على طبيعة أرضها ، وعرف أخلاق أهلها وعاداتهم وميولهم ، وأن انهزام نابليون فى حملته ضد روسيا يرجع للعوامل الطبيعية ولاهمال دراسة هذه العوامل. وقد قال نابليون الحكمة المأثورة عنه (يجب على قائد كل وحدة مهما صغرت أن يلم بجغرافية وطبيعة أرض البلد التى سيحارب فيها) ولا تقتصر دراسة الضابط لجغرافية بلاده وقت وجوده بالجيش العامل ، بل يجب مواصلة البحث والدراسة عقب إحالته إلى المعاش أو الاستيداع .

ولنا فى أعاظم القواد خير قدوة نذكر منهم المـارشال "فون هندنبرج" الذى اكسبته الحرب الأوروبية العظمى شهرة تذكر وكان قد أحيل الى المعاش قبل نشوبها، فهل تراه ترك الدراسة وقبع فى عقر داره ؟ كلا ، بل تفرغ لدراسة حدود بروسيا الشرقية وتعرف مزايا البحيرات المـازورية وقيمتها من الوجهة الحربية وما لها من المزايا التدافعية .

ورغم ما لعلم الجغرافيا من أهمية خاصة تميزه عن بقية العلوم الأخرى ، نرى كثيرا منا يهمـل دراسة هــذا العلم ولا يعيره ما هو جدير به من عناية وتقدير، ويرجع معظم ذلك الى الطريقة التى كانت تتبع فى دراسته، فقد كان كل اهتمامنا موجها الى أن نحفظ عن ظهر قلب التعاريف الجغرافية مثل البوغاز والبرزخ أو الجزيرة وشبهها ، وأسمـاء الأنهار والجبال والمدن الشهيرة فى الممـالك المختلفة، وأشهر حاصلات ومصنوعات الدول وغير ذلك من المعلومات المتعددة التى كنا نجيد حفظها لغرض واحد وهو تمضية الامتحان ثم تنسى هذه المعلومات بمجرد الانتهاء من الامتحان ، وقل أن تجد من يميل لدراسة الجغرافيا رغبة فى هذا العلم كما يميل الكثيرون لدراسة العلوم الأخرى من رياضيات أو علوم أو تاريخ أو غيرها .

أما ممـالك أوروبا فتراها تعنى بدراسة علم الجغرافيا وتنظر اليه كعلم جوهرى له أثره من الوجهة العمرانية والسياسية والاقتصادية والحربية والتاريخية، ووضع لذلك الكثير من المؤلفات الجغرافية وتأسست الجمعيات الجغرافية العلمية. وتعد المؤلفات الجغرافية الفرنسية أدق وأرقى المؤلفات وأغناها مادة وأغزرها موضوعا .

ويعنى بدراستها فى مدارس أركان الحرب بفرنسا أما المؤلفات الجغرافية الألمانية فأكثر بيانا وأوسع شرحا ولكنها أصعب دراسة وأدق مادة وترجع صعوبتها الى سمو الغاية التى ترمى اليها . وهى تعد بمثابة دائرة معارف مملوءة بالأرقام والجداول يجد بها الطالب كل ما هو فى حاجة اليه من احصائيات ومعلومات جغرافية ولم تقتصر عناية الدول على نشر المؤلفات أو تأسيس الجمعيات الجغرافية بل يعنون كثيرا بارسال البعثات العلمية الجغرافية لتقوم بالبحوث والاستكشاف. وفضلا عن كل ذلك نرى أن الدول كثيرا ما ترسل ضباطا بصفة غير رسمية للممالك التى ينتظر محاربتها ويخصص لكل ضابط جزء يقوم بدراسته دراسة جغرافية تامة ثم يعود الى بلاده . وقد عرف جميع مابهذا الجزء من الطرق ومجارى المياه والممرات والقناطر وغير ذلك مما له قيمته من الوجهة الحربية.

الجغرافية وأقسامها :

الجغرافية علم يشمل دراسة الأرض كوكب سيار ودراسة تكوين سطحها وتوزيع الماء واليابسة. عليها والحيوان والنبات والحاصلات المعدنية. ثم دراسة اختلافات المناخ وتباين الحاصلات وتعدد اجناس البشر وغير ذلك من المواضع التى تؤثر على الكائنات الحية ومن هذا يتضح تشعب وتعدد المواضيع الجغرافية الواجب دراستها والالمام بها وقد أدى هذا الى تقسيم علم الجغرافية الى عدة أقسام وقد اتفق أكثر علماء الجغرافيا على تقسيمها الى الأنواع الاتية :

(١) الجغرافية الطبيعية .

(٢) الجغرافية السياسية .

(٣) الجغرافية الاقتصادية .

(٤) الجغرافية الحربية .

١ — الجغرافية الطبيعية :

وتبحث فى تكوين سطح الكرة الأرضية وما اشتملت عليه من تضاريس وأنهر وغيرها من الهيئات التى كونتها الطبيعة وليس للانسان دخل فيها وأسباب اختلافات المناخ وعوامل سقوط الأمطار وهبوب الرياح والعواصف وغيرها من الحالات والظواهر الطبيعية المحضة .

٢ — الجغرافية السياسية :

وتبحث فى دراسة تقسيم العالم الى دول وحكومات وتقسيم تلك الى مقاطعات وأقاليم وأنظمة تلك الحكومات وتنظيم موارد ثروتها وحاصلاتها .

٣ — الجغرافية الاقتصادية :

وتبحث فى دراسة المملكة من الوجهة الاقتصادية والصناعية والمالية ودرجة تأثير ذلك على رخاء حالة الشعب وما تنتجه الأرض من المزروعات . وماتخرجه من معادن وما يقوم به الأهالى من الصناعات .

٤ — الجغرافية الحربية :

أما الجغرافية الحربية فتبحث فى تقدير مدى تأثير وجود أو عدم وجود بعض المعالم الطبيعية على سير العمليات الحربية وكذا دراسة حدود المملكة وشكلها وتكوينها وتأثيرها على تعبئة القوات الحربية وتحركاتها ثم دراسة موارد المملكة ومركزها الجغرافى ، ومن هذا يتضح أن دراسة الجغرافية الحربية تشمل جميع أنواع الجغرافية من طبيعية وسياسية واقتصادية وأن التاريخ الحربى يثبت أن كل موضوع من المواضيع التى ذكرت له أثره الخاص على سير العمليات الحربية التى حدثت فى العصور السالفة والتى قد تحدث مستقبلا .

ولا يغرب عن البال أن لعلم الجغرافيا بوجه عام والجغرافيا الحربية بوجه خاص، تأثيرا عظيما على تكوين الممالك والدول يفوق أى علم آخر وأنه العلم الذى لا يتأثر ماديا بالاختراعات الحديثة أو تغيير فى التسلح أو المهمات أو غيرها .

وإذا ألقينا نظرة على أى قطر من أقطار العالم ودرسنا تاريخه الماضى والحاضر، نجد أن لموقعه الجغرافى أثراخاصا فى تاريخه وتكوينه ، ومن هنا نشأت أفضلية الجغرافيا على التاريخ، لأن التاريخ من وضع وإنشاء الانسان، ولأن الحوادث هى التى تملى التاريخ وتؤثر عليه بينما الجغرافيا هى التى تؤثر على الانسان والحوادث .

ويجب أن لا ننسى وجود أماكن معينة تعتبر مسرحا دائما للعمليات الحربية بحكم موقعها الجغرافى ، وأن تربة أراضى بلجيكا متشربة بدماء الجيوش الأوربية فى العصر القديم والحديث وكما أن موقع الاقليم الجغرافى يؤثر عليه من الوجهة الحربية، فله أيضا تأثيره الخاص من الوجهة العمرانية من حيث مزروعاته وحيواناته وحاصلاته وقاطنوه .

فاذا قارنا مثلا جغرافية أعالى النيل أى الاقاليم الاستوائية وجبال الحبشة ذات الغابات والجبال بجغرافية دال النيل ذات السهول والوديان، تبين لنا فى الحال اختلاف بين سكان أعالى النيل وسكان داله ، فللاقليم تأثيره الخاص على الجنس البشرى ، كما له تأثيره الخاص على النباتات والحيوانات فنمو أشجار النخيل أو إقامة النمر فى أصقاع "لابلاند" يعد مغايرا لقانون الحياة مغايرة معيشة سكان "لابلاند" فى اقليم "التبت" . وهذا أمر طبيعى وهو وجود الشىء فى غير موضعه وهو ما يسمى بالبيئة ونعنى بالبيئة جغرافية الاقليم الذى يعيش فيه .

دراسة الجغرافيا الحربية

إن الغرض الذى أرمى اليه هو شرح أهمية الجغرافية الحربية واظهار طريقة دراستها وارتباطها ارتباطا وثيقا بعلم التاريخ الحربى وفن الاستراتيجية والتكتيك "فن سوق القوات وقيادتها" ، ومن الواضح أنه يجب قبل الاقدام على أى تحرك استراتيجى دراسة عدة مسائل دراسة تامة أهمها :

(١) كيفية تحرك القوة المراد إرسالها لمسرح القتال .

(٢) كيفية تموين هذه القوة .

(٣) الأماكن التى ينتظر أن يحشد فيها العدو قواته .

(٤) ما هى أكثر مواقعه ضعفا وتعرضا .

(٥) ما هى طبيعة أرض مسرح القتال .

وما شابه ذلك من الأسئلة ، أنه من السهل الاجابة على هذه المواضيع اذا ما درسنا جغرافية المملكة المعادية والمتحابة ، وطبيعة مسرح الحرب وطرق المواصلات المؤدية اليه دراسة جغرافية وافية من الوجهة الحربية ، وقارنا دراسة تاريخ المملكة الحربى بدراسة معالمها الموجودة ، ولنستخلص من ذلك أسباب فشل أو نجاح بعض المعارك وتأثير المعالم الجغرافية على ذلك .

ومن هذا نشأ ارتباط دراسة الجغرافيا الحربية بالتاريخ الحربى وفن سوق القوات وتحركاتها وقيادتها "فن الاستراتيجية والتكتيك" ويجب أن تتمشى دراسة هذه المواضيع الثلاثة جنبا إلى جنب وأن تكون دراسة الجغرافية الحربية أساس هذه الدراسات إذ بدونها لا تقوم دراسة الموضوعين الآخرين على أساس ثابت .

لا جدل أنه من الواجب أن يراعى عند انتخاب قائد أى حملة حربية أن يكون ملما بجغرافية الأقليم الذى ستجرى فيه العمليات الحربية ، و إن لهذا الالمام والمعرفة بطبيعة الأرض ميزة لا تقدر تبعا لما للمعالم الطبيعية من أثر على سير العمليات الحربية ، فدراسة طبيعة مسرح الأرض ترشدنا إلى كيفية إعداد جيشنا وتعبئته وتموينه ، وتدلنا على ما إذا كانت طرق المواصلات المؤدية الى مسرح القتال صالحة أو غير صالحة وهل هى فى حاجة الى تمهيد أو الى غير ذلك من العوامل التى تحددها دراسة الجغرافية الحربية للاقليم ، وأن القائد الذى يهمل و يتغاضى عن دراسة هذه العوامل يتحمل مسئولية هذا الاهمال .

ولا يقتصر الأمر على دراسة طبيعة مسرح الحرب، بل يجب أيضا أن تدرس موارده ومواصلاته وهل هو قاحل أو خصب، وما نوع مناخه، وهل صيفه شديد الحرارة أم معتدلها، وهل شتاؤه محتمل أو قارس مما يعيق التحرك على الطرق، ويسبب تجمد مياه الأنهار والبحيرات، ويعيق الملاحة فيها بينما يسهل الانتقال عليها وهل به فصل ممطر، وهل مطره شديد مما يتلف الطرق ويسبب الأوحال ويعطل التحرك ؟

وإن دراسة موارد الأقاليم لاتقل أهمية عن دراسة معالمها الطبيعية، وقد تضاعفت هذه الأهمية نظرا لزيادة تعداد الجيوش وحاجتها لكثير من المواد الضرورية، وتشمل هذه الدراسة معرفة منتجات الأقليم الزراعية والصناعية والمعدنية، وأهم حرف الأهالى، والإلمام بأخلاقهم وطباعهم وميولهم السياسية .

وإذا درسنا التاريخ الحربى وحللنا انتصارات أعاظم القواد فى العصور القديمة والحديثة وجدنا أن لدراسة جغرافية الأقاليم أثرا عظيما فى انتصاراتهم .

وقد نصح نابليون أعاظم قواده بأن يقرؤا ثم يعيدوا قراءة تاريخ أعاظم القواد وعملياتهم الحربية وما كان يقصد بدراسة هـذه التواريخ القديمة المقارنة بين القوس والنشاب وبين البندقية أو بين عربة فرعون الحربية والسيارات المدرعة، لا بل قال (يجب على كل قائد أن يعرف أولا أرضه) أى يجب أن يدرس ويفحص جغرافية مسرح الحرب، بجميع الحروب التى نجح فيها نابليون حصلت وأديرت فى الأقاليم التى درس جغرافيتها دراسة كافية وينطبق هذا على عمليات (ستون وول جاكسون) فى واى "شيناندوه" (أميركا)، واللورد كتشنر فى حملة السودان، وهندنبرج فى البحيرات الماسورية وغيرهم من مشاهير القواد .

فتمشيا مع قول نابليون (إنه يجب على كل قائد أن يعرف أولا طبيعة أرضه)، أصبح من الضرورى أن يدرس الضابط جغرافية البلاد المجاورة وكذا التى ينتظر أن يشتبك معها فى القتال فيدرس ما بها من معالم طبيعية كالصحارى والجبال والأنهار والمستنقعات وغيرها، وتأثير ذلك على سير العمليات الحربية ثم يدرس الحدود وشكلها وقيمتها من الوجهة الحربية والطرق المؤدية إليها .

ومما سبق يمكن القول بأن دراسة الجغرافيا العسكرية لأقليم ما تشمل دراسة ما يأتى :

(١) الحدود .

(٢) المناخ وغيره من الظواهر الجوية .

(٣) المعالم الطبيعية وأثرها على العمليات الحربية .

(٤) الهيئات الصناعية وأثرها على العمليات الحربية .

(٥) المركز الجغرافى .

(٦) الموارد والحاصلات والصناعات .

(٧) طرق المواصلات ووسائل النقل .

هـذه هى أهم المواضيع الواجب دراستها ، وسأشرح فيما يلى ما لكل من الأثر على العمليات الحربية .

(للموضوع بقية)

يوزباشى محمد عثمان
أركان حرب الحرس البيادة الملكى



قناة السويس وحدودنا الشرقية

بقلم اليوزباشي محمد مجدى الزارع بمدرسة ضباط الصف

شغلت الصحف العربية والأفرنجية طوال شهر ديسمبر الماضى بما أسمته مطالب لايطاليا فى قناة السويس وقرأت بامعان كثير كل ما نشر من هذه الأحاديث وساءلت نفسى بعد ذلك، هل يدخل هذا الموضوع الهام ضمن المواضيع السياسية التى لا يجوز للرجال العسكريين أن يكتبوا عنها أو يبحثوا فيها؟ والواقع أن تفكيرى لم يطل كثيرا حتى أيقنت أن الموضوع يتصل اتصالا دقيقا بالدفاع عن البلاد وأن من واجبى الوطنى أن أنتهز هذه الفرصة لأبحثه من جميع نواحيه، قد يبدو لأول وهلة أن لا علاقة بين مطالب الايطاليين فى قناة السويس والدفاع عن حدودنا الشرقية، والحقيقة أن الدفاع عن القناة يرتبط ارتباطا وثيقا بالدفاع عن تلك الحدود، إذ أن من مقتضيات هذا الدفاع أن تسيطر مصر على قناة السويس سياسيا وعسكريا .

إن مصر صاحبة القناة أولا وأخيرا، وقد تحملت من أجل إنشائها لخير العالم تضحيات كثيرة فى الأنفس والأموال ومصر تنتظر بفارغ صبر شهر نوفمبر ١٩٦٨ لكى تستقل بقناتها ويوم ذلك لا يمكن أن يطلب منها أكثر من أن تكون أمينة على القناة باعتباره ممر بين أوروبا وآسيا وأفريقيا، فإلى أن يحين ذلك اليوم الذى تؤول فيه الينا، يجب أن تبقى القناة تحت السيطرة المصرية وحدها فلنبحث عما تتركه المطالب الايطالية الأخيرة من الأثر فى استقلالنا بالقناة وسيطرتنا عليها . لقد جالت فى خاطر الايطاليين فكرتان كما أجمعت على ذلك الصحف : (الأولى) تحويل شركة القناة من شركة مساهمة بين حملة أسهمها إلى شركة انتفاع بين الدول التى تنتفع بالقناة، (الثانية) اعطاء ايطاليا كرسيا أو اثنين فى مجلس إدارة الشركة وتخفيض رسوم المرور فى القناة بحيث لا تزيد أرباح الشركة عن مصاريف الصيانة مضافا اليها ٧٪ من رأس المال، فمن الوجهة المصرية لا خلاف فى أن مصر وحدها هى التى تملك التغيير فى طبيعة الشركة، ولها أن تقبله أو ترفضه على ضوء المحافظة على مصالحها الحيوية والدفاع عن البلاد، هذا عن الفكرة الأولى، وأما الثانية فللحكومة المصرية الحق أيضا فى اعطاء ايطاليا كرسيا أو اثنين فى مجالس الإدارة، على أنه يجب أن تفكر الحكومة قبل قبول هذا الطلب، لأن كل توسع فى التمثيل يترتب عنه إدخال نوع من النفوذ السياسى ولا تستطيع مصر الحرة المستقلة أن تقف مكتوفة اليدين أمام نفوذ كهذا لا بد وأنه يضر حقوقا لمصر حينما تؤول إليها القناة فيجب الحذر من التوسع فى تمثيل الدول وعلى الأقل يجب طلب زيادة تمثيل مصر فى نظير هذا التوسع، وبهذه المناسبة نذكر أن مجلس إدارة الشركة يتألف الآن من ١٩ عضوا من الفرنسيين وعشرة من الانجليز واثنين من المصريين وواحد هولندى .

تمنيت لو أن تكون شركة القناة مصرية لحما ودما، كما أنها تجرى فى أرض مصرية، وأن تكون أسهمها جلها إن لم تكن كلها، فى أيدى المصريين وأن تكون أرباحها لنا، قد تكون تمنياتى هذه أو معظمها ما يشبه الأحلام، ولكنها أحلام يجب أن تكون، ويجب أن تتحقق فلنعمل لذلك جميعا حكومة وشعبا ... ...

مما ذكر نرى أن التهاون فى المطالب الايطالية تخسر مصر بسببه حقوقا مادية وأدبية مما يترتب عليه ضعف السيطرة على القناة سياسيا وعسكريا وبالتالى يترتب عليه ضعف دفاعنا فى الحدود الشرقية .

عند ماتشتبك ايطاليا فى حرب مع انجلترا ستفكر الأولى فى الاستيلاء على المضايق التى تتحكم فى طريق الهند ومن هذه المضايق "قناة السويس" كما أن انجلترا ستسرع إلى هذه القناة فتغلقها أو بعبارة أصح توعز إلى حليفتها مصر بغلقها قاصدة بذلك تعطيل المواصلات الايطالية فتفصل الامبراطورية الايطالية عن عاصمتها روما، فلا يسع ايطاليا عند ذلك، انقاذا لمصالحها الحيوية إلا أن تهاجم مصر من الغرب، فان لم تستطع ذلك، لأن مصر ستكون على استعداد كامل لصد غارتها بما استكملته وستستكمله من وسائل الدفاع، فسنرى عندئذ أن قناة السويس عامل عظيم من عوامل النصر أو الهزيمة فى الحرب، لهذا قلنا فى مستهل هذه الكلمة بأن مصر يجب أن تسيطر عسكريا على القناة فضلا عن سيطرتها السياسية .

ويجرنا الحديث عن القناة إلى وسائل الدفاع عن حدودنا الشرقية، فلقد قرأت فى الصحف منذ بضعة شهور عند ماظهرت التقديرات الصحيحة لبناء الثكنات العسكرية واتضح أنها باهظة جدا بالنسبة لما قدر لها إبان المحادثات، أن الانجليز إنما ارتفعوا بالتقديرات إلى هذا الحد لأنهم وضعوا فى تصميم بناء الثكنات إقامة حصون عظيمة وهذا كلام يتصوره الرجل الذى يجهل فن إدارة الحرب أنه معقول أو مقبول تحت عامل الجهل بأبسط قواعد ذلك الفن أو تحت عامل سياسى والواقع أن الدفاع عن القناة لايمكن أن يكون من الغرب وأن عمل استحكامات دفاعية فى غرب القناة هو وضع مقلوب ولا يتفق مع القواعد السليمة للدفاع إذ يجعلنا نتسائل، هل ستنشأ هذه الاستحكامات للدفاع عن القناة ضد المصريين أم ضد المغيرين عليها من الشرق ؟ على أن بعض الخبراء العسكريين يرون أن الدفاع عن القناة هو من شأن الأسطول وحده فلا يحتاج إلى جنود مطلقا فالسفن الحربية فى القناة وفى طرفيها تستطيع أن تحمى القناة تماما .

هذا فيما يختص بالدفاع عن القناة أما الدفاع عن حدودنا الشرقية فقديما قال نابليون إن الصحارى هى أشد المواقع التى تعرقل سير الجيوش وتحمى حدود المملكة وتليها الجبال وأخيرا الأنهار العظيمة، وعلى هذه القاعدة اعتبرت صحراء سينا أنها وقاية كافية لمصر ضد أى غارة على الحدود الشرقية، ثم تليها وقاية أخرى وهى قناة السويس، ولكن اتضح من التاريخ العسكرى أن جيوشا جرارة تمكنت

من اجتياز هذه الصحراء مما دل على أن الصحراء لم تعد مانعا يصعب على الجيوش الحديثة التغلب عليه . كان اجتياز هذه الجيوش فى وقت لم يتقدم فيـه سلاح الطيران الحربى الى الدرجة التى وصل إليها فى الوقت الحاضر، فأضاف بذلك عاملا جديدا يجعل الصحراء عديمة الجدوى كمانع دفاعى، وقد ذكر الكولونل " وافل " فى مؤلفه عن حملة فلسطين الحربية أن وضع قوات على امتـداد قناة السويس البـالغ طوله مائة ميل كان إسرافا فى القوات ، وأن أفضل وسائل الدفاع وأكثرها اقتصادا ما كان على حدود فلسطين الجنوبية وبذلك يمكن السيطرة على صحراء سينا .

إن المسافة بين " رفح " و" العقبة " وهى طول حدودنا فى الشرق تبلغ ١٣٠ ميلا ولا شك أن عمل خطوط دفاعية على طول هذه المنطقة يكلفنا مصاريف باهظة، وقد أشار السير "ارشبالد مورى" عند ما ولى قيادة التجريدة المصرية سنة ١٩١٥ بأن تكون القاعدة الاستراتيجية للدفاع عن مصر من الشرق واقعة بين "العريش" و" القسيمة" ويبلغ طولها ٤٥ ميلا، وذلك مع وجود قوة خفيفة الحركة بالعريش أو بالقرب منها لتهديد جنب أى قوة تتقدم على الطريق الأوسط أو الطريق الجنوبى فى صحراء سينا وتمنع أى تقدم عبر حدود مصر .

والسبب فى تفضيل احتلال الجزء من العريش إلى القسيمة هو لأن هذه المنطقة — ويطلق عليها اسم الطريق الشمالى — بها كثير من المـاء الصـالح للشرب رغم ملوحته القليلة وهى المنطقة الوحيدة القريبة من القناة والتى يتيسر للعـدو أن يجمع بهـا قوات كبيرة تبقى مدة طويلة . فلو أخذنا برأى السير ارشبالد مورى وهذا ما أراه جديرا بالاعتبار ، فالدفاع عن الحـدود الشرقية يقتضى الآتى :

(١) انشاء خط دفاعى بين العريش والقسيمة، وبهذه المناسبة نذكر أن فرنسا أنشأت خطا دفاعيا حربيا على حدود تونس وطرابلس بلغ من المناعة حدا لا يمكن لدولة أخرى الاستيلاء عليه وحوّل تونس إلى قلعة حصينة .

(٢) وضع قوة ميكانيكية خفيفة فى العرش لعمل استطلاع وداوريات استكشاف إلى العقبة .

(٣) وضع قوة من سلاح الطيران فى العريش للغرض المذكور .

(٤) وضع نقط ثابتة للمراقبة على الحدود بين القسيمة والعقبة .

(٥) انشاء قاعدة بحرية فى العريش أو بالقرب منها ووضع جزء من الأسطول البحرى بها.

ولن أختتم هـذه الرسالة قبل أن أقول بضرورة الاهتمام بالدفاع عن حدودنا الشرقية كما نهتم بحدودنا الغربية وأن لاتقصر جهودنا فى جهة واحدة . حقيقة أن شـبح الاعتداء علينا يبدو الآن من الغرب أكثر منه فى الشرق، ولكن العـالم يستقبل فى كل عام بل وفى كل يوم قلقا واضطرابا جديدين والتنافس الدولى القائم الآن بشدة ينذرنا و ينذر العالم أجمع بشر مستطير، والدول العظمى تسعى كل منها إلى زيادة نفوذها فى البحر الأبيض المتوسط الذى شاءت الطبيعة أن نكون أقرب الناس اليه . هـذا التنازع على السلطة والنفوذ فى البحر الأبيض لايمكن أن يسـتقر على حال إلا بحرب عامة . فالعالم مقبل على مشاكل ومفاجآت لاندرى معها هل تظل مصر مطمئنة نحو حدودها الشرقية ، أم تفاجأ بشبح فى الشرق أشد خطرا من شبح الغرب ؟

وفقنا الله ووفق حكومتنا السنية إلى مافيه رفعة الوطن والذود عن كيانه فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك قائدنا الأعلى .

محمد مجدى الزارع

يوزباشى بمدرسة ضباط الصف



الحرب ومسئولية الحكومة

تمهيد

إن أول ما يرمى إليه الطالب عند دراسته أى علم أو فن هو الوقوف على مبادئ هذا العلم أو الفن والإلمام بأسسه وقواعده، وإن الطرق الصحيحة لدراسة أى موضوع هو فحص العناصر الأولية التى يتركب منها هذا الموضوع، كل على حدته، وأن تبدأ الدراسة على أسس ثابتة ومبادئ قويمة .

وقد يتخيل الطالب بنفسه هذه الأسس والمبادئ من الوجهة النظرية، أما من الوجهة العملية فعليه أن يدعم هذه الأسس بتجاربه الشخصية واختبارات غيره من مشاهير الرجال، وإن هذه الخبرة التى يكتسبها الطالب من تجاربه الشخصية وتجارب غيره لهى أهم ما يحتاجه ويتطلبه الطالب الحربى، لأن إدارة الحرب ما هى إلا فن أنشئ من اختبارات وتجارب المعارك السالفة التى يتطلب الإلمام بها دراسة طويلة مستمرة، وإنه ما لم يتخلل هذه الدراسة القيادة الفعلية للقوات فى الميدان فانها لا تثمر إلا نظرية علمية محضة ولا تؤدى للحنكة والمهارة فى قيادة القوات .

ولا جدل أن المعرفة العلمية المحضة لنظريات الحرب ومبادئه ما كانت ولن تكون يوما من الأيام الغرض الأسمى للرجال الحربيين، وأن مهارة قيادة القوات فى الميدان التى تنتج من قرن المعرفة بالعمل هى كل ما يرمى إليه القائد، ولذا يجب على الرجل الحربى أن يبدأ دراسته على ما وضعه سلفه من الرجال والكتاب الحربيين، ويدعم هذا بالتمرين والتدرب على قيادة القوات فى الميدان .

ولا تختلف دراسة الحرب عن دراسة أى فن أو علم آخر، فعلى الطالب أن يعرف أولا : ما هى الحرب، ومسئولية الحكومة فى إثارتها، وأسباب إثارتها، وما هى عوامل نجاحها أو فشلها وطريقة دراستها ؟

ما هى الحرب ؟

الحرب هى نضال مسلح بين فريقين مختصمين يرمى كل منهما إلى إملاء إرادته على خصمه قوة واقتدارا . فالحروب تنشب وتنتهى ومثلها كمثل الجراح الدامية تؤلم طالما لم تلتئم، فاذا ما التأمت وتم شفاؤها ينسى الإنسان ألمها ومتاعبها، ومرجل الحرب دائم الغليان، ولا بد من تحمل متاعب الحروب عاجلا أو آجلا، فبعض المتحاربين يفنى وينقضى والبعض الآخر يتحمل ويشفى ويعيش، ثم تضمد جراحنا، ونمكث مترقبين غليان مرجل الحرب مرة أخرى، ولا أعدو الحقيقة إذا ما قلت إن تاريخ الحروب سلسلة حلقات متشابهة غير منقطعة .

وقد اتفقت آراء كثير من الكتّاب فى الوقت الحاضر على أن الجهاد للحياة وضرورة بقاء الأصلح يكونان أساس العلاقة بين جميع الأجناس البشرية ، وأن المعاملات بين الأفراد والأمم تنظم لدرجة كبيرة طبقا لهذا المبدأ ، وأن الحياة تزاحم فى الحقيقة مع الحياة لضرورة بقاء الأصلح .

والأصلح هم أولئك الذين يسهل عليهم أكثر من غيرهم الحصول على معيشتهم فى الحالات والظروف التى هم فيها . وفضلا عن الجهاد والتنافس بين مجاميع الأمم والأجناس يوجد دائما تنافس بين أفراد الدولة الواحدة وقد يصل هذا التنافس فى بعض الأحيان لدرجة من الشدة يشابه فيها التنافس بين الأمم . ولكنه ينظم عادة باتفاق بين الأفراد طبقا لقواعد معينة وقوانين خاصة تسن وتعدل بتشريع الأفراد ، وتدار وتسرى بارادتهم عن طريق التقاضى الشخصى ، وتدعم بواسطة مجموع القوة المدنية والحربية للدولة ، وقد بدأت العلاقات البشرية فى الحقيقة وغرضها الاحتفاظ بالنفس ، ثم تدرجت إلى غرض الرغد فى العيش ومثل الفرد فى حياته الفردية ومنازعاته كمثل الأمم فى حياتها ومنافساتها إذ بينما تتولد منازعات فردية تتولد أيضا منازعات دولية . ولكن قوانين الدولة ونظمها عملت على تسوية تنازع الأفراد وتناصرهم الطرق السلمية . ولكن لم توجد إلى الآن طريقة لإنهاء المنازعات الدولية بالوسائل السلمية . فمثلا عند الاشتغال بمسألة حيوية ، كسلامة الدولة والاحتفاظ بالكرامة الأهلية أو المطامع الاستعمارية يصل الجهاد للحياة بين الأمم لدرجة شديدة ، ويتولد تنافس عنيف ويصبح الحكم الفصل للقوة . وقد قال مستشار الامبراطورية الألمانية فى أغسطس سنة ١٩١٤ (اننا فى حاجة والحاجة لا تعرف قانونا) .

وقال الرئيس " دوفر " : يحوط الأمم دائما قتال محتمل الوقوع وكثيرا ما تنشأ منازعات بين الأمم قد تسوى بالوسائل السياسية أو التحكيم أو الرجوع الى عصبة الأمم . ولكن قد ينشب أحيانا موضوع يظن كلا الطرفين المتنازعين أهميته وحيويته . ولا يرغب كلاهما تعديل سياسته لتتلاقى مع سياسة الطرف الآخر . فإذا لم يقبل أحد الطرفين التسليم بأغراض الطرف الآخر ينشب حينئذ ما يسمى بالحرب للوصول الى النهاية التى لم يكن الوصول إليها بالوسائل السلمية . وبمجرد نشوب الحرب يستمر العداء ، ولا ينتهى حتى يتغلب أحد الطرفين على الآخر ويصبح أحدهما غير قادر على مواصلة الحرب . أو حتى يتحقق أحد الطرفين المتنازعين أو كلاهما أن ليس هناك أمل من الوصول إلى نتيجة حاسمة عن طريق القتال وأن القلم أصبح الوسيلة الوحيدة لإنهاء الحرب فى ميدان السياسة بدلا من ميدان المعركة . وهذا ينطبق على تعاريف " كلاوزفتز " للحرب بأنها نزاع بين المصالح لا يمكن حسمه إلا بإراقة الدماء وهو ما يميزها عن بقية المنازعات الأخرى .

ويحسن بدلا من مقارنتها بأى فن أن تشبهها بالتنافس التجارى الذى يعد تصادما بين مصالح البشر وتناحرهم وخير من ذلك أن تشبهها بالسياسة الدولية التى لم تخرج عن أن تكون نوعا من التنافس التجارى ولكن بمقياس كبير . وفضلا عن ذلك فالسياسة الدولية هى الوعاء الذى

تتواجد فيه الحرب وتستتر فيه معالمها فى حالاتها الأولية . كما تتواجد مميزات الكائنات الحية فى جراثيمها. ويعتبر "كلاوزيفتز" أول من عرف الحرب بأنها أقصى صورة للتنافس البشرى أى أنه قد أدى للأمم ما أداه "دارون" للأفراد. اذ بين أن الحرب ما هى الا تنازع لبقاء الأقوى، ولكن بالنسبة للأمم لا بالنسبة للأفراد .

فالحرب كانت ولم تزل حقيقة واقعية دائمة فى تاريخ العالم ومهما أتى به المستقبل من التغيرات فلا تزال الحرب الملجأ الأخير والعامل الحاسم فى المعاملات الدولية . فعند ما ينشأ اختلاف هام فان استخدام القوة عادة أو التلويح باستخدامها يحددان المسألة .

هل الحرب فن أو علم ؟

يقول بعض الكتاب الحربيين إن الحرب علم ، ويقول آخرون إنها فن ويبعدها آخرون عن العلم والفن ، وما زال الجدل قائما عن الدرجة الصحيحة الواجب وضع الحرب فيها . ومع هذا التباين فليس هناك كبير صعوبة فى تحديد ذلك إذا عرفنا ما هو الفن وما هو العلم، وأيهما ينطبق على الحرب .

لا جدل أن " المعرفة " تختلف عن العمل اختلافا بينا لايدع مجالا للخلط بينهما فكل شيء تكون الغاية منه " العمل " يسمى فنا ، كفن التصوير وفن الموسيقى . وكل شيء تكون الغاية منه " المعرفة " يسمى علما كعلم الحساب أو الجغرافيا ، ففى الفن تعدل الأشياء لتلائم غرضا موضوعا ، ومقصدا معينا والغرض من إثارة الحرب هو الوصول إلى غاية معلومة ومقصد معين . وفضلا عن أن الجانب الأكبر من الكتاب الحربيين يقول بأن الحرب فن ، فالحقيقة التى لا جدال فيها هى أن الحرب فى جملتها ليست فنا بالمعنى المقصود بالفن ، وليست علما بالمعنى المقصود بالعلم. إذ أن جزءا منها يندمج تحت تعريف الفن ويندمج الجزء الآخر تحت تعريف العلم . فالجزء العلمى من الحرب يشمل تنظيم الجيوش وتسليحها واعدادها للقتال. أما الجزء الفنى فيشمل إدارة القوات وقيادتها .

وأن "كلاوزيفتز" لمحق فى قوله " يجب أن لاتندمج الحرب فى دائرة نفوذ الفنون ، أو العلوم بل يجب ادماجها فى دائرة نفوذ الحياة لاجتماعية . فالحرب فى أسمى معنى لها ظاهرة اجتماعية تؤثر على جميع نواحى الحياة الأهلية . وتدعو لاستخدام جميع موارد الدولة استخداما تاما مثمرا . وأن التغييرات التى تؤثر على الحياة الأهلية تؤثر أيضا على طبيعة الحرب .

مسئولية الحرب والحكومة

من المسلم به أن لكل أمة متمدينة حكومة موكلا اليها من قبل الأفراد حق العناية بالمصالح الأهلية والذود عنها بكل الوسائل الممكنة . وأن موقف الحكومة تجاه غيرها من الدول فى المعاملات الدولية يعرف " بالسياسة الخارجية ".

وتتأثر السياسة الخارجية للدولة بثلاث عوامل أساسية : الموقع الجغرافى للدولة ، مدى المصالح القومية ، قوة الأمة ورغبتها فى تدعيم حقوقها . لأن مثل السياسة الخارجية بالنسبة لغيرها كمثل المتقاضيين يدعى كل منهما أن الحق فى جانبه . وأن العاملين الأولين يعينان الأمم التى ترتبط وتتعامل معها والتى يعد من الأهمية العظمى أن تتنافر سياستنا وسياستهم . وتتوقف على السياسة الخارجية للدولة صداقة أو عداوة بقية الأمم .

ولا جدل أن سياسة العداء تحدث بلا ريب حذر ومقاومة الجانب المقصود من هذه السياسة وتبعث أيضا مخاوف الدول التى تتأثر من نجاح هذه السياسة العدائية. وقد قال البرنس " ليكنوسكى" سفير ألمانيا فى لندن سنة ١٩١٤ (إن السياسة البحرية الألمانية وسياسة مراكش وسياسة سربيا وتركيا أوجدت الشعور الذى عمل على إنشاء التعاهد بين انجلترا وفرنسا فى المدة التى سبقت الحرب العظمى . وأن المركز الممتاز الذى نالته ألمانيا على ضفاف البسفور معضدا بارسال البعثة الحربية أثار بالطبع مخاوف روسيا) .

ومن جهة أخرى فالسياسة الضعيفة غير الحازمة التى تتبعها أية حكومة بقصد المحافظة على السلام، قد تشجع على عكس ذلك وتساعد على هضم حقوق الأمة . وتعمل على تقويض الغرض الذى وجدت من أجله .

ويجب أن تكون الحرب الملجأ الأخير ، والوسيلة النهائية التى تتبعها الحكومة . ويعضدها الرأى الأهلى العام فى المحافظة على شرف الدولة وصيانة ممتلكاتها والمصالح الحيوية لافرادها و بما أن نتائج الحروب غير معروفة الأثر. يجب ألا تثار الحرب الا عند ما تصل المنافسة السياسية والتجارية أو الاستعمارية الى درجة تفضل فيها النهاية المجهولة عن الحالة السليمة الراهنة المعلومة . وعند ما يحس أن عبء التسليح المتسبب عن هذه المنافسة شديد الوطأة لدرجة تجعل من الواجب استخدام القوة لتخفيف وطأته . وعند ما يعتقد أن الحرب المدمرة المهلكة أقل ضررا للمصالح القومية من حالة السلم الراهنة الغير المشرفة .

ومن هذا نرى أن الغرض من اشعال الحرب هو المحافظة على المصالح الأهلية وتميتها . و يجب أن يبقى فى أيدى حكام الدولة حق التوجيه العام للحرب حتى اذا ما وجد تغير فى الأمر يكونون فى موقف يصممون فيه على الأغراض الواجب اكتسابها وأنسب المواقع المنتظر أن تدور رحى الحرب فيها وأن يكون لهم الميزة والأولية من الوجهة السياسية ، مع بذل عناية خاصة لتنفيذ جميع الحاجيات البحرية ، والبرية ، والجوية . وتعد الحكومة السلطة الوحيدة التى لها حق فرض الضرائب على موارد الدولة ، وحق عقد القروض الأهلية وهى وحدها التى لها حق تدبير وترتيب العمليات البحرية والبرية والجوية ، وتوحيد جميع الجهود اللازمة للحصول على النصر .

و يمكن اظهار مسئولية الحكومات أثناء اشتعال الحرب من قول رئيس الوزارة الفرنسية سنة ١٩٢٧ حيث قال (إن واجبنا كحكومة هو واجب غاية فى البساطة . ولنا فى قوادنا وجيوشنا العظيمة المتحمسة خير آلة للسلم . تلك الآلة التى صهرت وطرقت تحت مطرقة الحرب . ان واجبهم فى مسرح الحرب هو ادراك وتنفيذ الأغراض الاستراتيجية لقوات الحلفاء . وواجبنا نحن كحكومة هو مراقبة وملاحظة أن هذه الجيوش لا ينقصها شيء هى فى حاجة اليه . وعند ما تخيرت الحكومة القائد العام لقيادة القوات للنصر ، منحته الحرية التامة من الوجهة الاستراتيجية واعداد وتوجيه العمليات الحربية) .

ومن هذا نستخلص أنه مع ما للحكومة من الحقوق والواجبات ، يجب أن تنحصر إدارة المعارك الحربية برا و بحرا وجوا ، فى أيدى القواد المختصين الذين يفوض اليهم أمر إدارة هذه العمليات ولكن يجب على القائد فى نفس الوقت أن ينفذ هذه العمليات بطريقة لا تتعارض مع سياسة حكومته ولو أنه من الصعب البت فيما اذا كانت الاعتبارات الحربية والاعتبارات السياسية هى المتسيطرة على تكوين الخطة الحربية . ويتضح الدور الذى تلعبه المسئولية السياسية والحربية عند وضع الخطة من الاطلاع على المكاتبات التى دارت بين " ولنجتون " ولورد " ليفربول " وزير الحربية أثناء حرب شبه الجزيرة بشأن الدفاع عن البرتغال سنة ١٨١٠ والتفسير الذى ذكره مستشار الامبراطورية الألمانية دكتور فون " بتمان هولويج Von Bethman Holweg " عن أسباب غزو بلجيكا سنة ١٩١٤ حيث قال (كان الرأى العسكرى يقول بأن نجاح الهجوم الغربى يتطلب اجتياز البلجيك التى ضمنت حيادها بروسيا و بقية الدول) . وهنا تصادمت المصالح السياسية والحربية لأن عواقب مهاجمة البلجيك كانت واضحة ولم تغب عواقب هذا الهجوم عن أحد ولم تكن خافية عن نظر رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية الجنرال فون "مولتكى" الذى أعلن أنه اتخذ هذه الخطة للضرورة الحربية المحضة . ولقد وفقت نظريتى طبقا لهذا الرأى ووصفتها فى البلاغ النهائى المرسل لبلجيكا وذكرت أن هذا العمل السياسى اتبع لتنفيذ تصميم اعتبر لازما من الوجهة الحربية .

الاعتبارات الغير الحربية :

تدار الحرب كما هى الحال فى أى نزال يتضمن جهادا جسمانيا ومعنويا وعقليا . تبعا لاعتبارات قد لا تكون حربية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .

ففى سنة ١٨٠٩ كان أمام بلشبونة طريقتان. إما مهاجمة القوات الفرنسية التى كانت تحت قيادة "فيكتور Victor" المرابطة بالقرب من "مريدا Merida" وتلك التى كانت تحت قيادة "صولت Soult" المحتلة "ابورتو Oporto" وقد تكلم نابير عن خطة ولنجتون فقال إن مهاجمة فيكتور من الوجهة الاستراتيجية أوفق وأنسب . ولكن كان صولت يحتل إقليما خصبا تؤخذ منه المؤن الأساسية لحيوانات الجيش و به ثمانية مدن فى المملكة ويهتم بها البرتغاليون . و يتأثرون لسقوطها و يلحون فى المحافظة عليها ولذا صمم ولنجتون لهذه الاعتبارات الغير الحربية على مهاجمة هذه القوات الفرنسية المحتلة "ابورتو") .

و يدرك جميع القواد الحربيين تمام الإدراك أنهم يعتمدون على تأييد شعبهم والمعونة الأهلية من وطنهم ولذا يجب أن يشتروا هذه المعونة باحداث نتائج يعدها الأهالى المدنيون انتصارات لجيوشهم الظافرة .

وتعد حملة "سالونيكا" سنة ١٩١٥ مثلا لحالة سارت فيها الاعتبارات السياسية وفق الاعتبارات الحربية بصرف النظر عن صواب ذلك أو خطئه . ففى خريف هذه السنة عزمت بلغاريا على الإدلاء بدلوها بين دلاء دول الوسط وفى هذه الحالة صمم الألمان على سحق الصرب وفتح مواصلات مباشرة مع تركيا التى كانت تعانى ضغطا كبيرا فى الدردنيل وكان لا يتسنى لصربيا أن تحشد فى ميدان الحرب أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل ولا يتسنى للحلفاء مساعدتها إلا إذا اجتازت القوات التى ترسلها لمعونتها بلاد اليونان فى سالونيكا ، فوق منطقة جبلية غير متمدينة . وقد انتهزت دول الوسط فرصة تردد دول الحلفاء فى اتباع الطريق المناسبة . وحشدوا فى منتصف سبتمبر قوات تقرب من ٢٠٠,٠٠٠ على حدود صربيا الشمالية وعبئت قوات بلغاريا على حدود صربيا الشرقية . وفى ٢٨ سبتمبر صرح وزير الخارجية البريطانية واعدا أصدقاءه فى البلقان بكل مساعدة ممكنة . وفى هذا الوقت كان الألمان والنمساويون يطوقون مدافعهم على المواقع السربية الممتدة على الدانوب . وانتظرت بلغاريا حتى يتم تعبئة جيوشها ثم تعلن الحرب وقد أصبح من الواضح كما دون فى مذكرة أركان الحرب البريطانية العامة فى ٩ أكتوبر أن الوقت قد مضى على إرسال مساعدة فعالة إلى سربيا . ولكن كان الرأى السائد من الوجهة السياسية أنه إذا تركت اليونان ورومانيا دون أية مساعدة ضد الضغط الألمانى قد تضطران للانضمام لدول الوسط وأنه عند ما تجد سربيا نفسها منفردة دون أية مساعدة من الحلفاء قد تضطر للخضوع والتسليم . ومع ذلك فقد استمرت ممانعة هيئة أركان الحرب البريطانية

العامة فى إرسال حملة عسكرية لسالونيكا ولكن اضطرت الحكومة البريطانية تحت تأثير تهديدات الجنرال " جوفر " بالاستقالة ما لم يتعاون الانجليز تعاونا فعالا فى إرسال حملة لسالونيكا واحتمال سقوط الحكومة الفرنسية التى شكلها مسيو " بريان " لغرض مساعدة سربيا ، إلى الرجوع إلى تصريح ٢٨ سبتمبر الذى كان يتضمن إرسال ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل من قوات الحلفاء الى جهات البلقان بناء على مطالبة الشعبين البريطانى والفرنسى لحكومتيهما بالقيام بهذه المساعدة لحلفائهم فى البلقان وهذا الرجوع إلى تصريح ٢٨ سبتمبر دليل على تسيطر الاعتبارات السياسية على الاعتبارات الاستراتيجية . وأن القوات البريطانية والفرنسية لم تنجح فى إسداء مساعدة مادية فعالة للسربيين بل عملت على حجز قوات من الحلفاء فى سالونيكا وحواليها . وكما لاحظ الجنرل " فالكنهاين " القائد العام للقوات الألمانية فى ذلك العهد بأن هذا العمل من جانب الحلفاء كان فى صالح ألمانيا من الوجهة الحربية العامة (إذ أن ما يقرب من ٢٠٠,٠٠٠ الى ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل بقوا مغلولى الأيدى فى هذا الإقليم النائى بينما كان مسرح الحرب بالجبهة الفرنسية أولى بهم) واستمر الحلفاء على اتباع هذه السياسة ومحاربة القوات البلغارية وبعض القوات الألمانية والنمساوية والتركية التى أرسلت لمساعدة القوات الأولى . وقد بلغت قوات الحلفاء فى هذا الميدان ما يقرب من ٦٥٠,٠٠٠ يقاتلها حوالى ٤٥٠,٠٠٠ من قوات الوسط ولكن اضمحلال بلغاريا سنة ١٩١٨ تبعا لطول مدى الحرب وانهزامات ألمانيا فى الميدان الغربى برر إرسال الدول الغربية لبعض قواتها إلى هذا الميدان

إذن فللاعتبارات الغير الحربية تأثير على سير العمليات الحربية من الوجهة الاستراتيجية . ومن الأمثلة على ذلك الحملة البريطانية المصرية فى فلسطين ، ففى ربيع سنة ١٩١٧ رد السير " مورى " الذى كان وقتئذ قائدا للقوات البريطانية فى القطر المصرى على سؤال من حكومته بأنه من الضرورى وجود خمسة فرق مشاة ٥٠,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ مقاتل لنجاح التقدم ضد الجيش التركى المدافع عن فلسطين ولاحتلال بيت المقدس . وفى ٣٠ مارس عند مابلغت القوة التى تحت قيادة السير مورى ثلاث فرق وكانت فرقة رابعة فى دور التنظيم وصلته تعليمات من الوزارة البريطانية باتخاذ الخطوات اللازمة لهزم القوات التركية الواقعة جنوب بيت المقدس . ثم احتلال المدينة . فأجاب السيرمورى أن عملا كهذا يحتاج لخمس فرق بخلاف الرد تبعا للمركز العام فى هذه الجهة يعتبر أن تحت متناول يده العدد الكافى من القوات فصدع السير مورى بالأمر وقام بهجوم ضد مواقع الأتراك فى غزه من يوم ١٧ إلى ٢٤ أبريل ولم تنجح القوات البريطانية فى هذا الهجوم .

يوز باشى محمد عثمان

أركان حرب حرس المشاة الملكى

هل تحتاج مصر الى قوة بحرية

إذا دار البحث حول البحرية تسربت أفكار الباحثين الى تصور أسطول عظيم مكون من مدرعات وطرادات كبيرة تسير بتشكيلات منتظمة لمطاردة عدو مماثل فى القوة ومن الطبيعى أن تتسلسل تلك الأفكار الى العبء الملقى على مالية الدولة لتكوين وصيانة هذا الأسطول وينتهى التفكير أخيرا بالتساؤل .

هل من الضرورى أيجاد بحرية وهل من الممكن الاستغناء عنهـا بتقوية سلاح الطيران و إنشاء طوابى ساحلية ؟

وتناولت المقامات البريطانية أخيرا بحث هذا الموضوع وواجهت نفس هذه الأسئلة . والآن وقد أتى دور مصر للتفكير فانها ستجد نفسها أمام هذه المشكلة بعينها ، إلا أنه علاوة على الأسئلة السالفة الذكر يتردّد هذا السؤال .

هل فى مقدور مصر إنشاء أسطول ؟

دفعت القومية كثيرين للرد على تلك الأسئلة، فمنهم من أصر على إنشاء أسطول ومنهم من رأى أن المـالية لاتسمح به ، ومنهم من رأى الاستغناء عنه كلية .

ونرى أنه من الضرورى تناول هـذا الموضوع بالبحث الفنى حتى يتمكن المفكرون من تكوين آراء شخصية مبنية على أساس علمى .

ليس من المحتم على كل دولة تحتاج لقوة بحرية أن تنشئ أسطولا مكونا من مدرعات وطرادات كبيرة لأن كل دولة تحتاج الى أسطول يتناسب وموقفها الدولى، ولمـا كان لكل من المدرعة والطراد منافعها الخاصة فالدول التى يلائمها هذا النوع من البوارج هى التى تجعل عماد أسطولها منها .

ولولا ذلك لمـا وجدنا قوة بحرية فى هولاندا والسويد والنرويج وتركيا واليونان و يوغوسلافيا وايران بينما ميزانية كل من هـذه الدول لاتزيد عن الميزانية المصرية وهى لاتحتمل القيام بالإنفاق على أسطول مكون من مدرعات وطرادات كبيرة، الا أنهم يرون أنفسهم فى حاجة الى أسطول يفى بحاجتهم فكونوا أسطولا مناسبا قوامه المدمرات والغواصات وواضعات الألغام .

والباحث المدقق يرى أن مجرد وجود قوة بحرية لدى هـذه الدول لايحتم احتياج مصر الى قوة بحرية ممـاثلة لهـا .

والواقع انه من الصعب جدا لغير الاخصائيين البارزين أن يثبتوا بأدلة قاطعة أن هناك ضرورة لوجود سلاح بحرى بالرغم من استكمال سلاح الطيران حيث ان نتيجة المناورات المشتركة بين الأساطيل والطائرات المختلفة للدول من الأمور السرية المحتفظ بها لدى الرياسة العامة الا أن هناك بعض معلومات تعلن من آن لآخر يمكن الفهم منها أسباب وجود القوى البحرية لدى الدول .

و بالإشارة إلى ما سبق ذكره فان الرأى العام فى انجلترا تناول البحث فى موضوع الاستغناء عن قوة بحرية عظيمة نظرا لاعتقادهم بأن سلاح الطيران القوى فى إمكانه التغلب على الأساطيل والقيام بوظائفها ، فاجتمع على أثر ذلك مجلس الدفاع الامبراطورى وهو مكون من اخصائيين لديهم كافة المعلومات الدقيقة الغير موجودة حتى لدى القواد العاديين وقرر استبقاء وتقوية الأسطول لأنه لا زال فى نظره هو العماد الأول للدفاع عن الامبراطورية وتعليقا على هذا القرار كتب الفيس أميرال "س. ف . أسبورن "C.V. Usborne" وقال أن اللجنة وجدت إن ٠,٨ فى المائة من القنابل التى تلقى من الطائرات على سفن متحركة تصيب الهدف وفرض جنابه أن هذه النسبة خطأ ! ؟ وقال (حتى إذا كانت ثلاثة فى المائة فانها ليست خطرا عظيما) .

و إذا علم القارئ أن المدرعات والطرادات بنيت لتتحمل ثلاث قنابل أو أكثر من الجو ، وأن العدو المهاجم تصحبه طائرته المستعدة لمقاتلة الطائرات المهاجمة لتدمير أسطوله فهم القارئ سبب اعتبار تلك النسبة خطرا .

وكثيرا ما سمعنا فى خلال السنوات الأخيرة أن إحدى الدول تجهز طيارين فدائيين يلقون بأنفسهم على الأساطيل المعادية وطائراتهم محملة بالمفرقعات .

كما سمعنا منذ سنوات أن دولة أخرى تنوى إعداد توربيد داخله فدائيين يطلق على السفن المعادية فيحكم الفدائى اتجاه التوربيد على السفن المعادية فيصيبها حتما .

ولو أنى أعتقد أن تلك الفكرة ليست متوطنة بيننا كسلاح سوف نستعمله ضد أعدائنا إلا أنى أريد أن أذكر أن القائد البريطانى المذكور والاخصائيين غيره وجدوا أنه نظرا لاستحالة تدريب الفدائيين على عملهم هذا لأسباب بديهية وحيث إن الأعمال الحربية التى لا يسبقها تدريب قليلة النجاح ، وحيث إن نفسية الفدائى فى أثناء تأدية عمله وعلمه بأنه سيلاقى حتفه حالا يفقده صوابه العقلى فى معظم الأحيان ، وحيث إن الطائرة السائرة على خط سير مستقيم نحو مدفع مضاد كطائرة الفدائى أثناء سقوطها صوب السفينة المعادية عرضة للاصابة بكل سهولة بواسطة المدفع المتعدد الفوهات (Multiple Pompom) ، وحيث إن التوربيد الذى داخله فدائى وجب أن يسير على سطح الماء لكى يرى الهدف وعليه يصبح عرضة للاصابة بكل سهولة من المدافع المضادة وجب علينا استبعاد تلك النظرية عند التفكير فى إنشاء قوتنا البحرية .

و إذا أضفنا إلى ماسبق ذكره الدروس المـاثلة أمام أعيننا فى الحرب الاسبانية الأهلية حيث لم تفلح طائرات قاذفات القنابل فى تدمير أو إصابة أى بارجة متحركة بل كل ما تمكنت من عمله هو إما إغراق سفن تجارية غير مسلحة أو اصابة سفن حربية راسية سلمنا بأن تغلب سلاح الطيران على الأساطيل لم يحن وقته بعد .

تعذر قيام سلاح الطيران بواجبات الأسطول

اليك بعض الأخطار التى ستتعرض لهـا المملكة المصرية من الوجهة البحرية من اشتراكها فى حرب مقبلة :

(أولا) ضرب الموانى المصرية بقنابل البوارج المعادية .

(ثانيا) سد البواغيز والطرق المؤدية للموانى المصرية بالألغام .

(ثالثا) تربص الغواصات المعادية بالقرب من الموانى المصرية لإغراق السفن الداخلة والخارجة منها . وهذا يشل حركة التجارة والتموين .

(رابعا) انزال الجيوش المعادية الى السواحل المصرية المكشوفة خلف خطوط الدفاع للقيام بحركة التفاف أو لاحتلال مواقع هامة كآبار الزيت على سواحل البحر الأحمر مثلا .

فى الخطر الأول :

فى أوائل الحرب العظمى قامت فصيلة من الطرادات الخفيفة الألمـانية بالاعتداء على ساحل بريطانيا الشرقى وتمكنت من العودة دون أن يلحق بها الأسطول البريطانى .

وفى الحرب الاسبانية الأهلية قامت الطرادات الموالية للثوار بضرب ملقا وكانت وقتئذ حصنا بحريا فى أيدى الحكوميين .

وفى الحرب الصينية اليابانية تقوم بوارج اليابان بدك الحصون الصينية قبل انزال الجند للبر .

وفى الحرب المقبلة يجب انتظار مثل هذا الاعتداء على الساحل المصرى واتخاذ العدة للدفاع، والدفاع يتطلب ما يأتى :

(١) الاستكشاف ليـلا ونهارا لمراقبة قدوم السفن المعادية و إعطاء الإنذار الى الحصـون والموانى التى يتجه العدو نحوها، وعلى قواتنا البحرية أن تكون سريعة تتمكن من السير خارج مرمى مدافع العدو ولكن على مرأى منه، ومن البديهى أن سلاح الطيران لا يمكنه القيام بهذا الاستكشاف فى جميع الأوقات ، فالطائرات لا يمكنها التحليق فى جو مضطرب . ثم انها عديمة الفائدة ليلا عندما تنعدم قوة الرؤية وتسير الأساطيل وأنوارها مطفأة .

هـذا علاوة على واجبات سفن الاستكشاف من استدراج العدو الى حقل من الألغام أو الى كمين من السفن الحربية الخفيفة أو للاقتراب من حصون قوية الخ ... مما لا يمكن لسلاح الطيران أن يقوم به .

(٢) بث حقول من الألغام فى مناطق معينة لمنع اقتراب البوارج المعادية من الموانى المصرية إلا من الطرق المعرضة لمدافعنا وهذا لا يمكن لسلاح الطيران القيام به .

(٣) مناوشة البوارج المعادية ، وهذا أيضا لا يمكن لسلاح الطيران القيام به إلا بكيفية محدودة جدا كما سبق ذكره .

(٤) وضع الشباك على مدخل الموانى لمنع غواصات العدو من دخولها وهذا لا يمكن لسلاح الطيران القيام به .

(٥) إنشاء الطوابى الساحلية عند مدخل الموانى وفى الأماكن الاستراتيجية ولكن هذا لا يغنينا عن بحرية كما سيأتى ذكره .

فى الخطر الثانى :

بلغت إيرادات الدولة فى سنة ١٩٣٥ حوالى ٣٤ مليون جنيه منها ١٤ مليون جنيه من الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع الواردة من الخارج .

وعليه إذا أقفلت بواغيز الموانى المصرية بالألغام تعذر علينا تموين الدولة بالمواد الأولية علاوة على نقص ٤١٪ من موارد ميزانية الدولة .

وبث الألغـام يمكن تنفيذه ليلا أو نهـارا من سفن حربية أو تجارية لا تثير الشبهة أو من الغواصات دون أن ترى .

وعليه يجب اتخاذ العدة للدفاع والدفاع يتطلب ما يأتى :

(١) منع السفن من بث الألغام ، فاذا كانت سفن حربية وجب محاربتها وحيث إن السفن الحربية المنوط بهـا بث الألغام فى العادة صغيرة . فأمر محاربتهـا لن يتطلب منا بناء بوارج كبيرة لهذا الغرض .

ولمنع السفن التجارية من أداء هذا العمل يجب تفتيشها ومراقبتهـا ، وتستخدم سفن الاستكشاف القائمة بالحراسة خارج الميناء فى منع الغواصات من بث الألغام إذ يمكنها بمـا فيها من الساعات المـائية أن تعين مواقعها وتهاجمها قبل أن تتمكن من أداء عملها ولا يمكن لسلاح الطيران القيام بمحاربة السفن الحربية أو الغواصات إلا نهارا وبكيفية محدودة جدا ، كما سبق ذكره ، ولا يمكنه على الاطلاق تفتيش السفن التجارية .

(٢) التقاط الألغام المبثوثة فى الطرق المؤدية للموانى، وهذا أمر لا بد منه رغم الاحتياطات السابقة الذكر، وتقوم بهذه المهمة السفن لاقطات الألغام التى تقوم بتنظيف البواغيز كل صباح ولا يمكن لسلاح الطيران القيام بهذه المهمة .

فى الخطر الثالث :

فى الحرب العظمى أعلنت البحرية الألمانية ما سمى "حرب الغوّاصات" على السفن التجارية البريطانية، وكان المقصود من ذلك إحداث مجاعة فى انجلترا التى لم يكن بها وقتها إلا ما يكفيها من المؤونة لمدة ستة أسابيع ، ولولا التدابير البحرية الشديدة التى اتبعتها بريطانيا لدرء هذا الخطر لاضطرت إلى التسليم .

وفى الحرب الاسبانية الأهلية قامت الغوّاصات الموالية للجرال "فرانكو" بما سمى (القرصنة فى البحر الأبيض المتوسط) وأغرقت سفنا تجارية كثيرة لدول مختلفة كانت تحمل مؤن وذخائر إلى الحكوميين كما اعتدت على بعض السفن الحربية الأجنبية بما اضطر الدول لعقد مؤتمر "نيون" لمنع القرصنة وترتب عليه وضع حد لهذه الأعمال بما اتخذ من التدابير البحرية الشديدة .

وفى الحرب المقبلة يجب توقع حصول مثل هذا الاعتداء على السفن الخارجة والداخلة من والى الموانى المصرية واتخاذ العدة للدفاع .

والدفاع يتطلب مايأتى :

(١) عمل دوريات من سلاح الطيران : فالطائرات يمكنها رؤية الغواصات وهى على عمق ٥٠ قدما تحت سطح البحر ومن ثم وجب علينا الانتفاع بسلاح الطيران فى ذلك إلا أن هذا قاصرا على ساعات النهار وفى أحوال جوية ملائمة .

(٢) تكليف سفن الاستكشاف بالانصات فى السماعات المائية ومهاجمة الغواصات لاغراقها أما بصدمها قبل أن تغوص أو إلقاء قنابل مائية (Depth Charges) فوقها ويتعذر على سلاح الطيران القيام بذلك خصوصا بالليل .

(٣) عدم السماح للسفن التجارية للسفر بمفردها إلا تحت مسئوليتها وعمل الترتيب اللازم لقيام قوافل (Convoys) محروسة بسفن خاصة (Escorts) كل يومين .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن عدد السفن التجارية التى ترسو بموانى اسكندرية وبور سعيد والسويس سنويا يزيد عن خمسة آلاف (تقويم سنة ١٩٣٨) أى بمعدل أربعة عشر سفينة داخلة ومثلها خارجة يوميا وهذا العدد يكفى لقيام القوافل كل يومين على الأكثر .

ولايمكن لسلاح الطيران القيام بمرافقة قافلة من السفن وحراستها ليلا ونهارا فى جميع الأحوال الجوية لأسباب بديهية .

(٤) ارسال سفن مجهزة بمدافع موضوعة خلف ساتر متحرك للبحث عن الغواصات بحيث لايدل شكلها على وظيفتها ، وللاقتراب منها دون اثارة الشبهة ثم اغراقها بالمدافع ويطلق على هذا الصنف من السفن ("Q" Ships) ولايمكن لسلاح الطيران القيام بهذه المهمة فان الغواصة تغوص مباشرة قبل دنو الطائرة منها الى عمق يتعذر رؤيتها فيه .

فى الخطر الرابع :

فى الحرب العظمى وجه الحلفاء حملة عظيمة على شبه جزيرة غاليبولى الواقعة عند مدخل بوغاز الدردنيل اشتركت فيها جيوش وأساطيل الحلفاء ولولا استعداد الحصون التركية وبث الألغام فى البوغاز لاقفاله مما سبب غرق عدد من قطع أساطيل الحلفاء وكذلك اشتراك السفن الحربية التركية فى مناوشة العدو واغراق بعض سفنه مع يقظة الجيش التركى لتمكن الحلفاء من تنفيذ خطتهم .

وفى الحرب الصينية اليابانية نزلت القوات اليابانية إلى الأراضى الصينية بجوار " كانتون " بفضل مساعدة الأسطول اليابانى والحصار القائم على السواحل الصينية وعدم وجود سفن حربية صينية لمناوشة الأسطول المعادى ولاعطاء الانذار الكافى للجيوش الصينية لمواجهة الجنود التى تنزل إلى البر .

وفى الحرب المقبلة يجب اتخاذ العدة للدفاع ضدّ أى اعتداء مماثل لهذا والدفاع البحرى يتطلب ما يأتى :

(١) الاستكشاف ليلا ونهارا لمراقبة السفن المعادية وإعطاء الإنذار إلى الحصون والموانى التى يتجه العدو نحوها الخ ... كما سبق ذكره فى الخطر الأول حيث تبين أن سلاح الطيران لا يمكنه القيام بهذه المهمة فى جميع الأوقات .

(٢) انشاء الطوابى الساحلية بالقرب من الموانى وفى الأماكن الاستراتيجية ولكن هذا لا يغنينا عن البحرية كما سيأتى ذكره .

(٣) بث الألغام عند الشواطئ التى تسهل نزول جند الأعداء فيها ويمكنه منها القيام بحركة تكتيكية مفيدة له ولا يمكن لسلاح الطيران القيام بهذه المهمة .

(٤) مناوشة أسطول العدو أثناء قيامه بانزال الجند ، ويمكن لسلاح الطيران الاشتراك الفعلى فى هذه المهمة حيث ستضطر البوارج إلى الوقوف أثناء إنزال الجند إلا أن الغواصات تكون ذات أثر فعال فى مناوشته فى هذه الحالة خصوصا إذا تمكنت من الإفلات من سفن الحراسة ثم أنه يجب الاعتماد على الأسطول البريطانى الحليف لتدمير الجزء الأكبر من أسطول العدو .

المساعدة المنتظرة من الأسطول الحليف

تتسابق الدول المختلفة فى التسلح وكل دولة تختار الطريق الذى تستحسنه فمنها مثلا من لا يوافق على بقاء سلاح الفرسان بينما يرى الاخر بقاء الحصان وسيلة للنقل .

وكذلك فى البحرية نجد بعض الدول تبنى مدمرات ذات مدافع من عيار ٥٫٥ بوصات بينما لا تضع بريطانيا أكثر من عيار ٤٫٧ بوصات .

وهنا أيضا لا يمكن الإثبات بأدلة قاطعة أيهما أفضل وسنضطر أن ننتظر نتيجة الحرب القادمة لكى نضع حدا لهذا الاختلاف .

وليس حجم المدافع فى البارجة بالأمر الهام فحسب بل هناك عوامل أخرى أهمها (The man behind the gun) واقصد بذلك الضباط والبحرية الذين يؤلفون قوة البارجة .

وإذا نظرنا إلى هذا العامل وحده يمكننا فى الحال أن نعلن تفوق بريطانيا بحريا على أى دولة أخرى .

غير أن الامبراطورية البريطانية مترامية الأطراف وأساطيلها موزعة على أرجائها الشاسعة أما الجزء الذى يهمنا فهو المعين للخدمة بالبحر الأبيض المتوسط ويسمى (Mediterranean Fleet) ويختلف عدد القطع المؤلف منها حسب الحالة الدولية .

وتحافظ وزارة البحرية البريطانية على تفوق هذا الأسطول من جهة البوارج الكبيرة على أى أسطول آخر فى البحر الأبيض .

إلا أن الغواصات والمدمرات التابعة للدول الأخرى فى هذا البحر تزيد بكثير عن القطع المماثلة البريطانية مما لا يدعو إلى الارتياح فعند تنفيذ قرارات مؤتمر "نيون" اشتركت معظم مدمرات وطرادات أسطول البحر الأبيض المتوسط البريطانى والفرنسى تعاونهما بعض القوات الجوية فى مطاردة الغواصات فلم تنجح إلا بعد عناء شديد .

والغواصات تقوم بعملها منفردة ومن ثم وجب على الأسطول الحليف أن يكون لديه مدمرات وسفن أخرى تفوقها عددا تخصص لمحاربتها .

و إذا أضفنا إلى ذلك أن مناطق النفوذ البحرية البريطانية بالبحر الأبيض المتوسط متعددة وكلها تعتمد على قيام الأسطول البريطانى بأعمال الاستكشاف و بث حقول من الألغام الدفاعية وتطهير مياهها من الألغام وغيرذلك مما سبق إيضاحه تبين للباحث أن ما سيخصنا من المساعدة البحرية سيكون ضئيلا .

حقيقة أنه ينتظر أن تكون ميناء الاسكندرية مرفأ حربيا للأسطول البريطانى فى زمن الحرب وحقيقة أنه أينما يوجد الأسطول توجد سفن الاستكشاف ولاقطات الألغام لحمايته ولكن هل الاسكندرية هى ميناء المملكة المصرية الوحيد ؟ وهل يمكث الأسطول البريطانى فى مرفأ واحد خلال الحرب بأكلها ؟ ألا يجوز أن ينتقل الميدان الرئيسى إلى غرب البحر الأبيض المتوسط ؟ ما ذا يكون مصير الاسكندرية عندئذ ؟ وما مصير الساحل المصرى المكشوف خلال حرب طاحنة من غير قوة دفاعية مستديمة .

يرى الباحث مما تقدم أن تفوق أسطول الحليف فنيا لا يبرر قيامه بمعجزات وأن كل ما يمكن انتظاره من المساعدة إنما هو :

(١) مراقبة حركات بوارج العدو الكبيرة ومنعها من الاعتداء على السواحل المصرية .

(٢) اقتفاء أثر الغواصات المعادية إلى حد محدود لا يلائم احتياجات المملكة المصرية .

(٣) المحافظة على حرية الملاحة فى قنال السويس .

(٤) التقاط الألغام من البواخر أحيانا عند ما تتوفر السفن لهذا العمل .

(٥) أعمال الاستكشاف خارج الميناء الذى يقوم بها أسطول الحليف .

(٦) مراقبة وحراسة قوافل السفن فى ذهابها من و إلى الموانى الرئيسية .

(٧) بث بعض حقول من الألغام فى المواضع الرئيسية .

(٨) وضع الشباك عند مدخل الميناء الذى يقيم به الأسطول لمنع دخول الغواصات المعادية وتعليقا على ذلك نقول :

(١) لا تزال الفرصة سانحة لبوارج العدو السريعة المتوسطة الحجم للاعتداء على الساحل المصرى عند ما يكون الأسطول الحليف بميدان آخر .

(٢) ان اقتفاء أثر الغواصات المعادية غير مجد لدرجة تدعو إلى الارتياح .

(٣) ان أعمال التقاط الألغام من البواغيز غير منتظم .

(٤) ان أعمال الاستكشاف لا تشمل كل الموانى المصرية الهامة وليست مستديمة فى جميع الأوقات بل قاصرة على مدة رسو الأسطول الحليف لها .

(٥) ان أعمال المرافقة والحراسة قاصرة على الخطوط الرئيسية فقط .

(٦) ان وضع حقول من الألغام للأغراض الدفاعية لا يمكن أن يكون إلا بدرجة محدودة

الطوابى الساحلية

قد يبدو لأنصار الاستغناء عن السلاح البحرى أن إنشاء طوابى على طول الساحل المصرى قد تكفى لحمايته ومن ثم يمكن الاستغناء عن الأسطول .

ولكن يغيب عن نظرهم أن هذه الطوابى ستكون ممتدة على ساحل طوله ١٣٠٠ ميل بحرى أو حوالى ٢٤٠٠ كيلو متر وهى المسافة بين السلوم والقصير وهذا يستلزم بناء عدد عظيم من الطوابى . والطابية الساحلية فى العادة مسلحة بأربعة مدافع من عيار ست بوصات والمرمى الفعال لمثل هذه الطابية يبلغ عشرة أميال بحرية ولكى تكون كل نقطة على الساحل المصرى واقعة تحت تأثير المدافع المذكورة لزم بناء الطوابى على أبعاد لا تزيد عن عشرين ميلا بحريا وعلى ذلك يكون تكاليف المدافع وحدها دون الذخيرة وبناء الحصون ستة ملايين من الجنيهات على الأقل ولقد أدخلت فى السنين الأخيرة تحسينات كثيرة على تصميات المدافع والذخيرة وتلى التحسينات بعضها بسرعة مضطردة حتى أصبح تغيير المدافع واجبا من آن لآخر مما يزيد كثيرا فى صيانة وتجديد الطوابى الساحلية .

وإذا تصورنا معركة بين طراد خفيف وطابية ساحلية وجدنا أن الطراد يفوق الطابية فى عدد المدافع وغالبا فى قوتها كما أن الطراد هو هدف متحرك يصعب إصابته بينما الطابية هدف ثابت معلوم يسهل تسليط النيران عليه أضف إلى ذلك أنه طبقا للنظام السالف الذكر لن يقع الطراد تحت تأثير أكثر من طابية واحدة فى وقت واحد وإذا أسكتت هذه الطابية أصبح طول الثغرة المتسببة فى خط الدفاع الساحلى أربعين ميلا بحريا .

وتأييدا لبعض هذه الحقائق يجدر بنا ذكر خطة توغل اليابانيين فى بلاد الصين حيث تسبق القوات البحرية الجيش صعودا على نهر " اليانجستى " وتمهد السبيل للتقدم بدك الحصون الصينية المقامة على ضفتى النهر .

فيتبين من كل هـــذا أن إنشاء خط من الطوابى الساحلية يمتد من السلوم الى القصير لا يبرر تكاليفه الباهظة ولا يقينا من اعتداء العدو .

إلا أن إنشاء طوابى ساحلية عند مدخل الموانى المصرية فى الأماكن الاستراتيجية أمر لا بد منه ، فهنا يمكننا توزيعها بحيث تقع السفن المعادية تحت تأثير نيران طابيتين على الأقل ، ونظـرا لقلة عددها سيكون فى مقدورنا تسليح بعضها بمدافع أكبر عيارا ، كما ستتمكن من إجراء عملية التجنيد والصيانة عند اللزوم وبذلك نتق الى حد كبير اعتداء بوارج العـدو على الموانى المصرية ونعرقل نزول الجيوش المعادية على الأماكن الاستراتيجية .

وعندئذ يتبقى لدينا العمليات الدفاعية الآتية بدون تنفيذ :

(١) اقتفاء أثر الغواصات المعادية بالقرب من المياه المصرية لدرجة تدعو الى الارتياح .

(٢) التقاط الألغام المبثوثة بانتظام .

(٣) الاستكشاف المنتظم خارج الساحل المصرى لمراقبة قدوم السفن المعادية وإعطاء الإنذار الى الحصون والموانى والجهات الساحلية التى يتجه العدو نحوها حتى يتمكن الجيش من اتخاذ العدة لمواجهة أى جنود تنزل الى البر — وكما سبق ذكره — لاستدراج العدو الى حقـل من الألغام أو الى كمين من السفن الحربية الحليفة أو للاقتراب من حصون قوية الخ .

(٤) مرافقة وحراسة السفن التجارية على الخطوط الملاحية الفرعية ما بين الموانى المصرية وبعضها .

(٥) بث حقول من الألغام فى المناطق الاستراتيجية كما سبق تفسيره .

(٦) تفتيش ومراقبة السفن التجارية أثناء دخولها وخروجها من الموانى .

والآن أصبح بديهيا أنه لا يمكننا القيام بهذه العمليات الدفاعية بصفة مستديمة إلا بعد إنشاء قوة بحرية مصرية .

الأسطول المصرى

يترتب تكوين الأسطول المصرى فى المستقبل على مقدرة الميزانية المصرية وعلى قوى أساطيل الدول المجاورة وعلى التعديلات التى تطرأ على التسلح الدولى من آن لآخر وعلى مقدار المساعدة التى يقدمها الأسطول الحليف ، وعليه يتعذر تحديد ونوع عدد القطع اللازمة للأسطول المصرى بصفة

نهائية . أما إذا تناولنا البحث بصفة إجمالية وسلمنا بأن الأسطول الحليف كفيل بضمان حرية الملاحة بالقنال بما فيها بور سعيد والسويس فيمكننا تلخيص احتياجنا فيما يلى :

١ — لاقطات الألغام :

وتبلغ حمولة الواحدة ما بين ٥٠٠ و ٨٠٠ طن مسلحة بمدفع أو اثنين من عيار أربع بوصات ومدفع آخر ضد الطائرات للذود عن نفسها ضد اعتداء تقوم به غواصة أو طائرة وتبلغ سرعتها ما بين ١٣ و ١٧ عقدة، ومتوسط ثمن الواحدة يقرب من الستين ألفا من الجنيهات ، وتقدر تكاليفها السنوية بحوالى عشرة الاف جنيه. وتحتاج مصر الى اثنتى عشرة سفينة من هذا الطراز على الأقل فى الوقت الحاضر، وتقوم هذه السفن بالتقاط الألغام المبثوثة بانتظام كما يمكنها القيام بمراقبة السفن التجارية وتفتيشها عند دخولها وخروجها من الموانى المصرية ومنعها من بث الألغام فى الطرق الملاحية، وتوزع كالآتى :

أربع بالاسكندرية ، وواحدة بكل من دمياط ورشيد ومرسى مطروح ، و ثلاث لخدمة موانى البحر الأحمر ، واثنتان احتياطيتان .

٢ — مدمرات :

تبلغ حمولة الواحدة ١٣٧٥ طنا مسلحة بأربعة مدافع من عيار ٤,٧ بوصات وسبعة مدافع أخرى صغيرة ضد الطائرات وثمانية مواسير للطوربيد وتبلغ سرعتها حوالى ٣٨ عقدة ومتوسط ثمن الواحدة ثلثمائة ألف من الجنيهات ، وتقدر تكاليفها السنوية بحوالى ٤٠ ألفا من الجنيهات .

وهذه السفن بفضل سرعتها وخفة حركاتها وتجهيزها بقاذفات القنابل ضد الغواصات تعتبر أحسن وسيلة لمقاومة الغواصات .

ونظرا لحجمها المعتدل يمكنها القيام بعملية الاستكشاف بانتظام فى جميع حالات الطقس التى تسمح بعمليات حربية بحرية وتساعدها سرعتها على الخروج من مرمى مدافع العدو عند اللزوم .

و بفضل مواسير الطوربيد يمكنها تهديد عدو أكبر حجما وقوة فى أثناء الليل .

وتحتاج مصر إلى سرب منها أى ثمانى مدمرات وقائدة السرب فى الوقت الحاضر على أن تجهز اثنتان منها بأربعين لغما بدلا من ماسورتين للطوربيد كى تستخدم عند اللزوم لبث حقول الألغام الدفاعية. وتوزع كالآتى :

قائدة السرب وثلاث مدمرات لحراسة منطقة الاسكندرية واثنتان لحراسة باقى منطقة البحر الأحمر واثنتان للخدمة بالبحر الأحمر ، ومدمرة احتياطية .

٣ — طوّافات المرافقة (Escort Sloops) :

وتبلغ حمولة الواحدة ١٢٠٠ طن مسلحة بأربعة مدافع من عيار ٤٫٧ بوصات واثنى عشر مدفعا أخر من أحجام صغيرة مختلفة وتبلغ سرعتها حوالى ١٨ عقدة وثمن الواحدة ١٧٠ ألفا من الجنيهات وتقدّر تكاليفها السنوية بحوالى ٢٠٠٠ من الجنيهات .

وتحتاج مصر إلى سفينتين من هذا الطراز فى الوقت الحاضر ليكونا بمثابة سفن التعليم فى زمن السلم نظرا لملاءمتها لمثل هذا العمل .

أما فى زمن الحرب فستعهد اليهما بمرافقة قوافل السفن بين الموانى المصرية و بعضها لاسيما ما بين بورسعيد واسكندرية وما بين مناجم الزيت بالبحر الأحمر والسويس وبذا نأمن تهديد الغواصات للملاحة الفرعية المصرية .

بهذه الأنواع الثلاثة من السفن نستطيع تكوين نواة للبحرية المصرية تفى بمطالبنا فى الوقت الحاضر وتتم عملياتنا الدفاعية لا سيما وقد رأينا عدم استطاعة سلاح الطيران أو الطوابى الساحلية أو الأسطول الحليف القيام بها .

وسنورد فيما يلى خلاصة ما ذكرناه من النفقات :

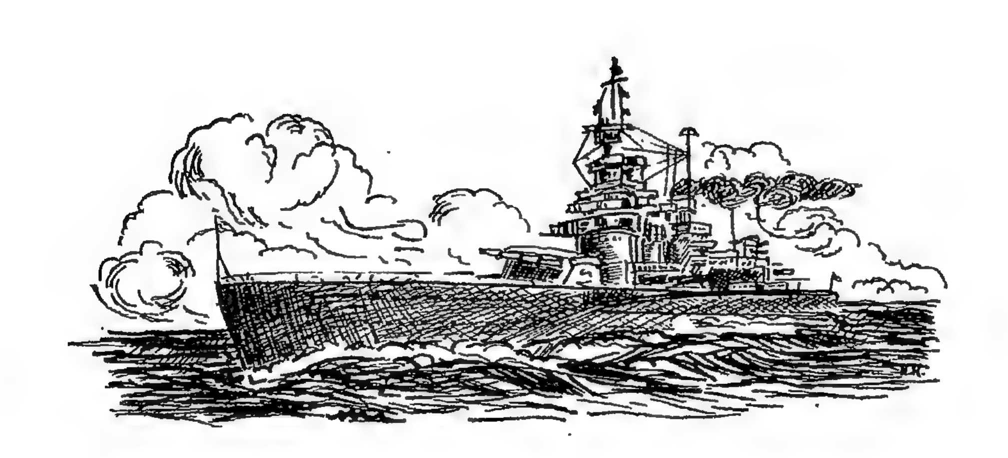
	عدد القطع	تكاليف البناء بالجنيهات	التكاليف السنوية بالجنيهات
لاقطات الألغام	١٢	٧٢٠٫٠٠٠	١٢٠٫٠٠٠
قائدة سرب المدمرات...	١	٤٠٠٫٠٠٠	٤٠٫٠٠٠
مدمرات	٨	٢٫٤٠٠٫٠٠٠	٣٢٠٫٠٠٠
طوافات المرافقة	٢	٣٤٠٫٠٠٠	٤٠٫٠٠٠
الجملة	٢٣	٣٫٨٦٠٫٠٠٠	٥٢٠٫٠٠٠

وينبغى أن نذكر أنه لتكوين هـذه القوة البحرية تحتاج إلى خمس سنوات وأن تكاليف البناء تدفع تدريجيا أى موزعة على هذه السنوات الخمس وأن التكاليف السنوية قليلة فى السنين الأولى ولم تصل إلى نصف مليون جنيه إلا بعد مضى المدة المذكورة وبناء عليه لم يطلب من الخزينة أكثر من مليون جنيه سنويا لمدة خمس سنوات تنقص تدريجيا إلى نصف مليون جنيه سنويا فيما بعـد تلك المدة .

فأمام هذه الأدلة القاطعة والمصاريف التافهة نسبيا أترك للباحث الإجابة عن السؤال " هل فى مقدور مصر إنشاء أسطول ؟ " .

يوزباشى عز الدين عاطف

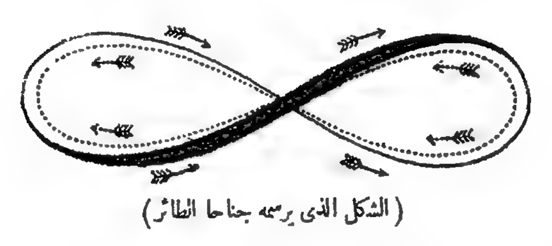
ياور جلالة الملك



الطـــيران

تكلمنا فى العدد المـاضى عن حركات أجنحة المخلوقات الطائرة وعمـا قاله الأستاذ "بتيجرو" من أنها ترسم فى الجو رقم (8) الافرنجى عند ما يكون جسم الطائر ثابتا فى الجو ثم يتحول هذا الشكل (الرقم) إلى تموجات متسعة عند ما يندفع الطائر مسرعا فى طيرانه .

و إليك الشكل الذى يمثل هذه الحركات ، فهو عبارة عن رقم 8 مضغوط الجانبين ، مائل الوضع يمتـد محوره الطولى من يسـار الرائى إلى يمينه . وفيه يشاهد أن الضربات السفلى تتقاطع مع الضربات العليا كما مر بيانه . فالجناح يضرب الهواء من فوق أثنـاء هبوطه من أعلى كما يفعل الطير والخفاش ، وأثناء ارتفاعه من أسفل كما فى حالة السمكة الطائرة وطيارة الصغير التى يلعب بها .



(الشكل الذى يرسمه جناحا الطائر)

ففى هذا الشكل يشاهد رقم (8) الذى ترسمه حافتا الجناح فى حالة الانتشار (وهو الخط المتصل الأجزاء) والذى ترسمه الحافتان فى حالة الانقباض (وهو الخط المبين بالنقط) . وبمـا أن طرف الجناح (أى سنه) واقع بين الحافتين فالخط الذى يرسمه يقع بين هذين الخطين . أما السهام فانها تدل على انعكاسات مستويى الجناحين كما أنها تبين كيفية تقاطع الضربات و يستمر الأستاذ "بتيجرو" فى بحثه قائلا :

(لحركة الجناح التى ترسم رقم (8) تفسر لنا كيف يستطيع كل من الحشرة والطائر الثبات فى الجو . فالذى يحملهما فيه انمـا هى الحركات المتبادلة ، بين أماميه وخلفيه ، التى يقوم بهـا الجناح ، وليس فى هذه الحركات ما يدفع الطائر ، أى يحركه من مكانه ، وهذا معناه حصول التوازن بين الحركات الأمامية والحركات الخلفية . ومع أن هذا الشكل (الرقم) يمثل بالضبط الشاقى ، التفاف الجناح حول محوره " مركزه " خلال الانتشار والانقباض عند ما تكون الحشرة محركة جناحيهـا أمام غرض تقصده ، وهى ثابتة فى مكانها . فهو لا يمثله عند ما تضاف أى تزداد الضربة السفلى فتندفع الحشرة فى طيرانها بسرعة . وفى هذه الحالة يرسم الجناح — بسبب اندفاعه مع جسم الحشرة — شكلا لولبيا " بريميام " فى الفراغ .

"فما الضربات السفلى والعليا إلا حركات مركبة متواصلة تنتهى السفلى منها عند البدء فى العليا. والعكس بالعكس. وهذا ضرورى ليسهل انزلاق الطائر فى الجو من غير حصول أية حركة رجعية".

وجناح الطائر كجناح الحشرة كلاهما محدب — مقعر ، يلتف حول نفسه حين يمد ، وإن كان هذا الالتفاف بدرجات تتفاوت باختلاف الأجنحة ، وهذا الالتفاف يجعل درجة الانحناء والتقويس فى حافة الجناح الأمامية "الغليظة" غيرها فى حافته الخلفية "الرقيقة" وهو ناشئ عن تركيب عظم الجناح وشكله الحلزونى . فالمحور الطولى لكل مفصل من هذا العظم يتقاطع مع المحور الطولى للمفصل الذى يليه فى زاوية قائمة . وعظم المرفق يدور نحو ربع دورة حول المعصم ، أى ما يعادل المرفق والمعصم فى جناح الطائر ، أثناء الانتشار ومثل هذا المقدار أثناء الانقباض ، وبناء على أوضاع هذه السطوح المفصلية يستطيع الجناح أن ينطلق بسرعة عظيمة ممتدا إلى نهايته ، وينجذب وينقبض ، فى مستو واحد بأن تدور عظام الجناح حول محاورها خلال الحركة .

ويستمر الأستاذ "بتيجرو" فى تحاليله لكل أنواع الأجنحة مفصلا حركاتها تفصيلا ليس بعده زيادة لمستزيد ، يضيق المقام عن شرحه وبيانه . وربما عدنا إلى موضوعه فيما بعد .

ولنعد الآن الى موضوع الطيران والملاحة الجوية :

الملاحة الجوية

ينقسم فن الملاحة الجوية الى فرعين رئيسيين الأول يسمى (Aerostation) ويبحث فيه عن آلات الطيران التى هى أخف وزنا من الهواء مثل القباب الطيارة (البلونات) والثانى يسمى (Aviation) ويبحث فيه عن مسائل الطيران الصناعى بآلات الطائرة التى تشارك الطيور فى كونها أثقل من الهواء . كما يبحث فيه عن التجارب التى قام بها الانسان محاولا الطيران بواسطة أجنحة صناعية .

والذى يرجع الى التاريخ يرى أن الفرع الثانى أقدم الفرعين بدليل ما جاء فى الأساطير العتيقة من ذكر آدميين وغيرهم من المخلوقات يطيرون فى الجو . هذا فيما يختص بخرافات الأقدمين . أما فى الأعصر الحديثة نسبيا فقد كثرت الأحاديث وشاعت الروايات عن أناس حاولوا الطيران اقتداء بمن جاء ذكرهم فى الأقاصيص . من ذلك أن المدعو "جون ولكنز" (١٦١٤ — ١٦٧٢) أحد مؤسسى "الجمعية الملوكية" وأسقف "شستر" الذى بحث فى سنة ١٦٤٠ مسألة ما إذا كان من المستطاع الطيران الى القمر ، قال فى مؤلفه الذى نشره سنة ١٦٤٨ تحت اسم السحر "الحسابى":

"روى أن راهبا انجليزيا يدعى "الميروس" عاش حوالى عهد القديس طار من مدينة فى اسبانيا مسافة تربو على فرسخ ، وأن آخرين طاروا من سان مارك البندقية وفى نورنبرج " .

و يقال إن " جوفانى باتستاداتى " من أهالى " بيروجيا " عبر بحيرة " تراسيمين " طائرا مرارا عديدة .

وفى أوائل القرن السادس عشر تعهد كيمائى إيطالى كان الملك " جيمس " الرابع أدخله دير " طونجلند " بمقاطعة غلوى "اسكتلندا " بأن يطير من أسوار " سترلنج " إلى فرنسا ، وشرع فعلا فى الطيران ولكنه مالبث أن سقط إلى الأرض فكسر عظم فخذه ، فعزى سقوطه إلى احتواء الأجنحة التى طار بها على ريش دجاج وأن ذلك الريش يمت بصلة إلى أكوام السباخ، فلو أن ريش تلك الأجنحة كان من ريش النسر لاغير لاجتذبها الهواء اليه وبقيت فيه ، وهذه القصة أوحت إلى الشاعر الاسكتلندى " دنبار " موضوع قصيدة هجاء من أقسى هجوه .

وفى نفس ذلك الحين قام المدعو " ليوناردو — دا — فنشى " بمعالجة مسألة الطيران بروح أقرب إلى العلم ، فرسم فى مذكراته عدة رسوم للأجنحة التى تربط بالذراعين والساقين .

وفى القرن التالى (السابع عشر) ألقى المدعو " فيلدر " ناظر مدرسة " تويبنجن " محاضرة فى سنة ١٦١٧ فى موضوع الطيران ، و بعد إحدى عشر عاما من ذلك التاريخ نشرت تلك المحاضرة فأغرت راهبا دعاه سوء حظه إلى محاولة الطيران مطبقا العمل على نظرية المحاضرة ، على أن آلته الطائرة خانته وتحطمت وانتهت الحادثة بقتله .

وفى كتاب التاريخ الطبيعى لـ " فرنسيس باكون " العالم والفيلسوف الانجليزى الشهير فقرتان فى موضوع الطيران ولكنهما لاتؤيدان مازعمه بعض الكتاب من أن " باكون " كان البادئ بنشر المبادئ الحقيقية لفن الملاحة الجوية .

وجاء فى مؤلف " ج . ا . بوريللى G. A. Borelli " المسمى (De Motu Animalium) الذى نشر فى روما سنة ١٦٨٠ — ١٦٨١ بعد وفاة مؤلفه بيان حسابى للقوة الهائلة المتوفرة فى عضلات صدور الطيور .

وورد فى الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٣٢٢ — ٣٢٦) مامغزاه أنه يستحيل أن تتوافر فى عضلات الانسان القوة الكافية لتحريك أجنحة بالاتساع الكافى لحمل جسمه فى الجو .

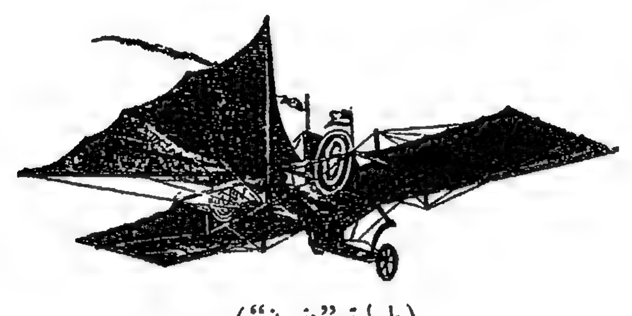
بيد أنه يقال إن رجلين فرنسيين تمكنا من الطيران إلى مسافات قصيرة فى مدة حياة "بوريللى" هما " الارد " الذى طار فى سنة ١٦٦٠ و " بزنييه " الذى طار فى نحو سنة ١٦٧٨

تجارب ومحاولات الطيران

لقد تبين مما مر بيانه أن مسألة الطيران شغلت أذهان عدد عظيم من المفكرين منذ زمن بعيد وبما أن ما بلغه هذا الفن من التقدم وما وصلت اليه آلات الطيران من الرقى والاتقان مدينان بفضل السبق لأولئك الذين أجهدوا قرائحهم لاخراج الآلات الأولية التى أعدوها لاجراء تجاريبهم فاننا نرى من المناسب بيان بعض تلك الآلات ليسهل على القارئ تصور ما طرأ على الطيارات من التطور حتى آلت الى ما هى عليه الآن. وما يأتى ذكره هنا قليل من كثير من محاولات سبقت.

الآلة الطائرة التى اخترعها "هنسون"

فى سنة ١٨٤٣ اخترع المدعو "هنسون" آلة للطيران هى أول الآلات التى حاولت الطيران لمسافات بعيدة . فقد كان "هنسون" ممن جمعوا فى طياراتهم لأول مرة بين الدواليب الهوائية (العجلات أو اللوالب التى تدور فى الهواء) والسطوح العظيمة الاتساع التى تسبح فى الجو فى وضع يكاد يكون أفقيا وهاك صورتها :



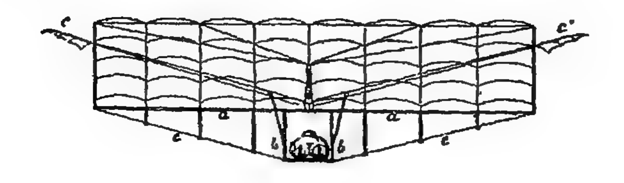
(طيارة "هنسون")

فأهم مميزات هذا الاختراع اتساع مسطحاته الحاملة اتساعا عظيما جعل النسبة بينها و بين الثقل المكلفة بحمله أكبر مما فى كثير من الطيور . أما الآلة ذاتها فكانت حافتها الأمامية ترتفع قليلا عند ما يندفع الى الأمام لكيما تستقبل الهواء الذى تمر عليه بسطحها الأسفل فتؤدى مقاومته الى مفعول كمفعول الريح الشديد فى قلوع طاحونة الهواء يحول دون هبوطها بشحنتها . ولذا كان بقاء الآلة بما فيها معلقة فى الجو متوقفا على سرعة سيرها فيه والزاوية التى يصادم بها سطحها الأسفل الريح من الأمام . وكان يبدأ الطيران بها من قمة سطح مائل بعد أن تستكمل أهبتها . فلما تنزلق عليه تستجمع السرعة اللازمة لبقائها فى الهواء لموالاة السير فيه على أن هذه السرعة تأخذ فى الضعف كلما تقدمت الآلة الى الأمام . ولذا فكانت مهمة محركها البخارى والمراوح الهوائية المجهزة بها التى تتحرك بحركتها إنما هى إستعادة ما يفقد من سرعتها الأصلية . ولهذه الأسباب كان كل من قوتها ووزنها لا يتجاوزان هذا الغرض البسيط .

واليك ما قاله فى وصفها محرر جريدة " الفنون والعلوم " " لنيوتون " .

" يتألف هذا الجهاز من مركبة للأمتعة والركاب والمحرك والوقود وما إلى ذلك . يتصل بها إطار " قفص " مستطيل الشكل مصنوع من الخشب أو من القصب الصاب مغطى بقماش غليظ أو حرير مطلى بمادة راتنجية "مشمع" . وهذا الاطار ينتشر فى جانبى المركبة على مثال جناحى الطائر المنتشرين . ولا فرق بينهما إلا أن جناحى الطائر يتحركان والاطار ثابت لا يتحرك . وخلف هذين الجناحين عجلتان رأسيتان تدوران كما تدور المروحة فى كل منهما لوح مائل يدل على اتجاه الريح "مرشد" . هاتان العجلتان المستديرتان على مثال قوس قزح هما المجذافان اللذان يجذفان فى الهواء كما تجذف دواليب الزورق البخارى فى الماء فتفعلان فى الهواء ما تفعله قلوع الطواحين الهوائية . تحركهما حلقات وبكرات بفعل آلة بخارية أو غير بخارية موجودة بالمركبة . وفى مؤخر الآلة محور يمتد منه قفص مثلث الشكل يشبه ذيل الطائر مغطى بغطاء الجناحين . هـذا الذيل ينقبض وينتشر بحسب الارادة ، كما يرتفع وينخفض ، وبه ترتفع الآلة أو تهبط . أما اتجاه مسيرها يمنة ويسرة فتديره دفة وضعت تحت الذيل ، يساعدها فى عملها شراع يمتد بين ساريتين قائمتين فى المركبة . ويقال إن ما تتطلبه كل لبرة من ثقل الآلة للبقاء محمولة فى الجو من القماش أو الحرير هو قدم مربع واحد) .

وفى سنة ١٨٦٦ عن للمدعو "ونهام F. H. Wenham" أن يدخل تعديلا على آلة "هنسون" فاخترع الآلة التى أسماها " السطوح الطائرة " وهى عبارة عن أسطح رقيقة ، طويلة ، ضيقة ، بشكل صفوف الأرفف يعلو بعضها البعض ربطت معا على زوايا تتجه قليلا إلى أعلا . وكانت تجمع بين الصلابة وخفة الوزن . والفكرة التى قامت عليها هذه الآلة هى الحصول على أسطح مائلة ذات مساحة عظمى فى حيز صغير نسبيا فتسهل قيادتها بهذه النسبة . وكان المأمول أنها متى ارتفعت فى الهواء إلى الأمام بواسطة لوالب " دواليب " رأسية أو بطيرانها جملة ، فإن كل سطح منها يستقر على طبقة من الجو ساكنة لا اضطراب فيها أو يسبح فوق سطحها فتتوافر فيها قوة البقاء فى الجو والحمل كما لو كانت الأسطح منتشرة فى مستو أفقى . وهاك رسمها :



(طيارة " ونهام ")

$a\,a$ السهم الرئيسى وطوله ١٦ قدما انكليزية .

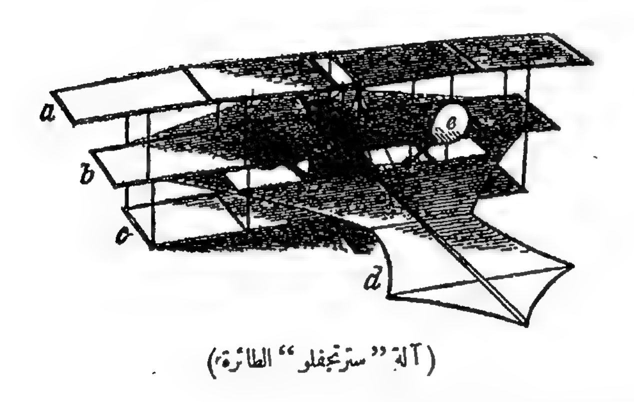
$b\,b$ أجناب يتصل بها لوح من الخشب فى قاعها يجلس عليه الطيار وهى متصلة بالسهم .

c.c. رباط رقيق من الصلب بداخله قوائم متصلة بالسهم . ومنها يتكون قفص خفيف الوزن متين يضم السطوح بداخله وعددها ٦ وهى من نسيج رفيع عرضه ١٥ بوصة. كلها متوازية يفصل الواحد منها عن الاخر فواصل رأسية عرضها قدمان انكليزيتان .

c.c. مجذافا الجناحين تحركهما قدما الطيار .

وفى سنة ١٨٤٨ بنى المدعو "سترنجفلو String fellow" الذى سبق له أن رافق "هنسون" نموذجا لآلة طائرة صادف نجاحا . ثم صنع آخر فى سنة ١٨٦٨ جمع فيه بين سطوح "ونهام" واللوالب الهوائية . وهذا النموذج عرض فى المعرض الذى أقامته "جمعية الملاحة الجوية البريطانية" فى قصر "البلور" بلندن فى تلك السنة . ومما يسترعى الأنظار فيه انضمام أجزائه وبهاء منظره ، ثم خفة وزنه وقد نالت آلتـه البخارية جائزة المعرض وقدرها ١٠٠ جنيه . إذ كانت أخف وزنا ممـا صنع من نوعها حتى ذلك الحين وأعظمها قوة .

وهاك صورتها نقلا عن صورة شمسية . تظهر فيها تفاصيلها .



(آلة "سترنجفلو" الطائرة)

a.b.c. السطوح التى يعلو بعضها بعضا .

d. ذيل الالة .

e.f. مجذافان لولبيان (f. مختفيا وراء سطح الذيل) .

فسطوح هذه الآلة تبلغ مساحتها الحاملة ٣٨ قدما مربعة غير سطح الذيل . أما آلتها البخارية فقوتها ثلث حصان . ويبلغ وزن الآلة بأجمعها (الآلة البخارية والمرجل وما تحمله من المـاء والوقود والسطوح والمجذافين) أقل من ١٢ لبره انكليزية .

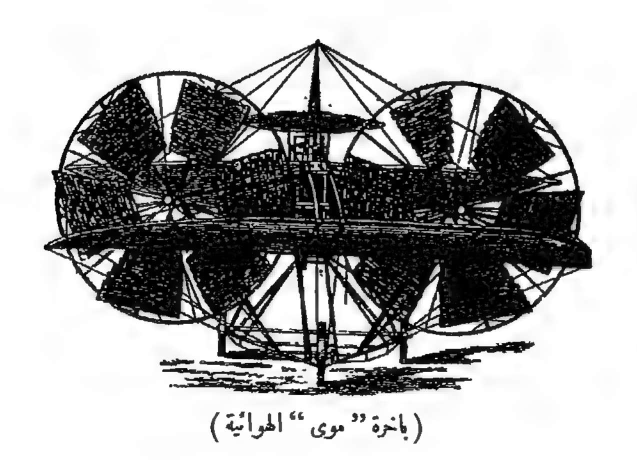
وقد كانت مساحة حمولتها تبلغ نحو ٣٦ قدما مربعة متى أضيفت اليها مساحة الذيل أى باعتبار ثلاثة أقدام مربعة لكل لبرة واحدة .

هذا النموذج كان يندفع بسرعة عظيمة جدا بمحاذاة سلك منصوب يجرى عليه بفعل مجذافيه .

بيد أنه على الرغم من خفته المتناهية والقوة العظيمة المتوافرة فيه لم يلح للنظارة أنه استطاع الارتفاع بنفسه ، على أن " سترنجفلو " نفسه قال انه كان يرتفع أحيانا عن السلك ويبقى محمولا فى الجو بواسطة سطوحه . وفى سنة ١٨٧٤ وضع المدعو "طوماس موى Thomas Moy " رسما لباخرة هوائيــة تتركب من قفص خفيف الوزن يستقر على ثلاث عجلات . ومحرك بخارى خفيف الوزن أيضا ذى مفعول فى منتهى القوة من طراز حديث ، استغنى فيه عن المرجل وما يلازمه من الصعوبات ، وسطحين أفقيين ضيقين طويلين ، ودولابين " لولبيين هوائيين " عظيمى الحجم . وفكرة هذه الآلة كانت ترمى إلى استجماع سرعتها الأصلية بالجرى فوق الأرض أولا .

وكان المأمول بعد ذلك أن ينتقل ثقلها تدريجيا إلى السطحين فيحملانها . كما يفعل بعض الطيور التى تنتقل أثقالها إلى أجنحتها تدريجيا . بعد أن تثب وتقفز على الأرض مبدئيا — كالنسر مثلا — وكان المعتقد أن السطحين متى صارا فى الجو فانهما يؤديان وظيفتهما بنسبة السرعة التى تحصل عليها الآلة .

بيد أن هذه الآلة لم تحقق شيئا من ذلك فخاب ما كان معلقا عليها من الآمال وأصابها ما أصاب سابقاتها من الإخفاق ، وهذه صورتها :



(باخرة " موى " الهوائية)

هذا ومن أشهر محاولات حل مسألة الطيران الصناعى بواسطة السطوح التى أعقبت ما سلف ذكره من المحاولات ، محاولتان اثنتان قام باحداهما الأستاذ "لنجلى S.P. Langley" وبالأخرى " هيرام مكسيم Sir Hiram S. Maxim " المهندس الشهير ، صاحب المدفع الشهير باسمه .

فهذان العالمان بدءا تجاربهما فى وقت يكاد يكون واحدا ، هو الفترة التى بين سنة ١٨٨٩ سنة ١٨٩٠ ، فما حلت سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ إلا وكل منهما قد وضع تصميمه فى أنموذج صغير للتجارب ثم صنع آلة كبيرة الحجم تطير فعلا .

وكان الأستاذ "لنجلى" يشغل منصب سكرتير معهد (Smithonian Institute) فى وشنطن " الولايات المتحدة" . وقد صنع عدة نماذج صغيرة للطيارات وطيارة كبيرة أطلق عليها كلها اسم (Aerodromes) وكانت كلها مصنوعة على قاعدة واحدة ، لكل منها سطوح عظيمة الاتساع للطيران كلها صلبة لا مرونة فيها ومائلة الى أعلا بحيث تتكون منها زوايا فوق الأفق . أما أوضاعها فكانت تطابق طريقة "هنسون" السالفة الذكر قليلا أو كثيرا ، وكانت الفكرة الرئيسية فى هذا الاختراع ، دفع هذه السطوح الى الأمام بسرعة عظيمة وهى مرتفعة المقدم على طريقة طيارة الصبى بواسطة مجذافين رأسيين لولبيين هوائيين قويين .

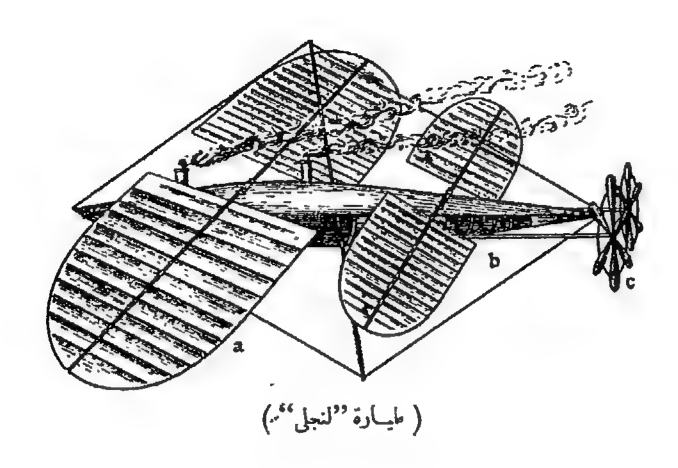
فكلما زادت السرعة الأفقية المنبعثة عن قوة المجذافين زادت قوة الرفع فى الطيارة بالتبعية لها . أما أجسام وإطارات وأقفاص وسطوح تلك الطيارات فكانت مقواة بعوارض رأسية وغير رأسية ولزيادة الوثوق من صلابتها بالدرجة المستطاعة ربطت فى بعضها البعض بأسلاك الألومنيوم .

فأهم ما كان " لنجلى " يرمى اليه فى بناء هذه الآلات إنما هو الحصول على خفة الوزن لأقصى درجة ، وقد وفق لذلك بدرجة تستحق الذكر .

أما سطوح الآلة فكانت مختلفة الأشكال كما كانت محدبة مقعرة إلا فيما ندر يتجه وجهها المحدب الى أعلا ، وقد استخدم الأستاذ فى أعماله التى كانت تعمل فى المعهد الذى هو سكرتيره طائفة صالحة من الميكانيكيين المتعلمين تعلما جيدا . وقد أحيطت كل أعماله بحجاب كثيف من التكتم . ثم أنه طير أصغر النماذج التى اخترعها فى قاعة المحاضرات العظمى الموجودة فى المتحف الوطنى .

أما أكبرها فقد أطاره فوق نهر " البتوماك " على مسافة نحو ٤٠ ميلا من " وشنطن " ومع أنه أجرى تجاربه الأولية فى سنة ١٨٨٩ فانه لم يبن طيارته التى تسير بالبخار ويجربها إلا فى سنة ١٨٩٣ وهذه الطيارة استخدم فى صناعتها الصلب والألومنيوم أكثر من غيرهما من المعادن . وقد طارت احداها فى سنة ١٨٩٦ أطول مسافة قطعتها آلة طائرة فى ذلك الحين . وهى نصف ميل كامل طارتها فوق نهر "البتوماك" .

أما أكبر طيارة أنشئت لحمل الركاب ولتكون معدة للخدمة فى الحروب ، فقد بنيت بأمر الحكومة الأمريكية على مصاريفها فإنها خصصت مبلغ خمسين ألف ريال أمريكى لإنشائها .
وهاك صورة أحد نماذج "لنجلى" .



(طيارة "لنجلى")

a — سطح كبير .

b — سطح صغير .

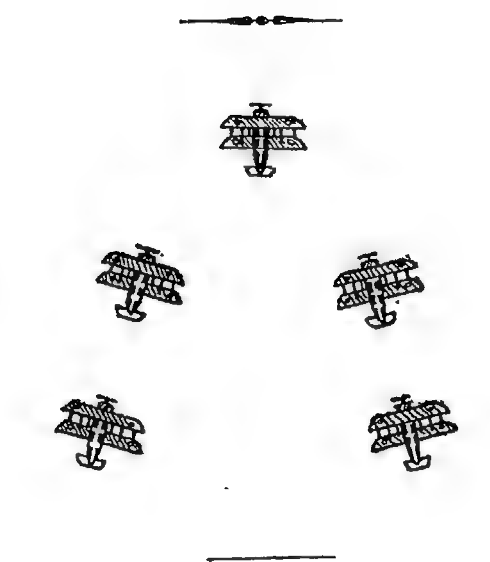
c — اللولبان الجاذفان " المحركان " .

فهذا النموذج كان نموذجا عمليا طبقت فيه النظريات على العمل ليس إلا . ولذا فما كان ليحمل ركابا .

أما شكل جسم الطيارة فيشبه صنفا من أصناف السمك سلسلته الظهرية عبارة عن ماسورة صلبة خفيفة الوزن صنعت من صلب الألومنيوم يبلغ طولها ١٥ قدما انكليزية . أما قطرها فيزيد شيئا يسيرا على قدمين . وأما آلاتها المحركة فقد وضعت فى قسم الجسم الذى يماثل رأس السمكة . وكان وزن هذه الآلات ٦٠ أوقية وتولد قوة حصان واحد . وفى هـذه الطيارة أربعة مراجل صنعت من النحاس المطروق زنة كل واحد منها تزيد قليلا على ٧ ابرات انكليزية . وهـذه كانت فى منتصف السمكة . أما مادة الوقود فهى الغازولين النقى . وقد استخدم قسم الذيل منها كمستودع للوقود فكان يسع ربع غالون . ولهـذه الآلة زوج من المجاذيف اللولبية كانا علاوة على وظيفتهما ، يؤديان عمل الدفة فيوجهان الطيارة يمنة ويسرة بضبطهما على زوايا مختلفة ، ويدوران ١٧٠٠ دورة فى الدقيقة الواحدة .

أما الأجنحة أى السطوح ، وعددها أربعة ، فعبارة عن اطارات خفيفة الوزن مصنوعة من أنابيب من صلب الالومنيوم مغطاة بالحرير الصينى ، عرض الأماميين ٤٢ بوصة وطولها ٤٠ قدما من الحافة الى الحافة . هذان الجناحان يستطاع وضعهما على زوايا مختلفة وتثبيتهما عليها .

ولطيران الآلة كان لابد من القائها من مرتفع أو دفعها إلى الأمام بادئ بدء حتى تبدأ فى الطيران ولتثبيت أجزائها بعضها فى البعض تمر بجسمها فى نحو منتصفها سارية مجوفة يرتفع أحد طرفيها الى أعلا وينخفض الآخر إلى أسفل وتشد أطراف السارية مع أطراف الأجنحة ونهاية ماسورة الظهر بسلك من الألومنيوم يربطها كلها ربطا محكما .



جيوش مصر الاسلامية

بقلم حضرة اليوزباشى عبد الرحمن افندى زكى أمين المتحف الحربى بوزارة الدفاع

جيوش الاسلام الأولى

كلمة تمهيدية

كان هناك نظام شبه عسكرى فى الامارات العربية التى بلغت شيئا من المدنية قبل الاسلام كالتابعة من ملوك حمير والمناذرة من ملوك الحيرة. فقد كان للمناذرة كتيبتان من الجند تسمى احداهما "الدوسر" والأخرى "الشهباء". أما عرب الحجاز فقد كانوا بدوا لا يعرفون نظاما للجندية. فلما أشرقت شمس الإسلام، كان المسلمون كبيرهم وصغيرهم جنودا للنبى. وكانت أولى فرق المسلمين "المهاجرين" فلما جاءوا المدينة أتحدوا والأنصار وصاروا جميعا جيشا واحدا يقوده النبى صلى الله عليه وسلم ثم أخذ عددهم ينمو فى أيام النبى ودولة الخلفاء الراشدين بمن كانوا ينضمون اليهم من قبائل العرب فى الحجاز واليمن ونجد واليمامة حتى تألفت تلك الجيوش التى تدفقت الى الشام والعراق ومصر. وكانت الفيالق التى أعدتها حكومة المدينة لإخضاع المرتدين خير نواة لجيوش الفتوحات، كما كانت حروب الردّة نفسها خير مدرسة لتكوين الجيوش التى غزت إيران والشام ومصر، ثم كونت القيصرية العربية التى نمت واتسعت أرجاؤها فيما بعد. فنحن نعرف أن الجيوش الاسلامية احتلت سوريا كلها فى سبع سنوات واستولت على العراق فى شهرين وعلى وادى النيل وبعض بلاد الهند والقوقاس قبل انتهاء عصر الخلفاء الراشدين .

تقدّمت جنود معاوية الأول فى شمالى أفريقية الى المحيط الاطلانطى . وزحف ابنه "يزيد" بجيوشه الاسلامية على الآستانة لدك عرش الدولة البيزنطية واحتل أسطوله بعض الجزر فى بحر الروم.

وقبل مضى القرن الأول للهجرة النبوية كانت حدود الدولة العربية قد امتدت الى الصين شرقا والى الاطلانطى غربا . وكان "طارق بن زياد" قد عبر مضيقه المعروف واحتل بقواته الجريئة

قسما كبيرا من أسبانيا . ثم اجتاحت جيوش العرب جنوبى فرنسا وخفق العلم العربى على جزء كبير من العالم القديم . وأرغمت أسود يعرب وقحطان عاهل القسطنطينية على دفع الجزية[1] .

لم يكن للعرب فى أول عهدهم بالحروب الكبيرة أساليب خاصة للقتال بالمعنى الذى نعرفه الآن لكنهم أسسوا بقلوبهم المعمورة بإيمانهم القوى امبراطورية عظيمة .

ونلاحظ فى بعض معارك العرب الأولى أنهم كانوا يسيرون نحو النظام العسكرى سيرا حثيثا ونرى أن قوادهم حاولوا استغلال الشعور النفسانى فى جنودهم فكانوا يقررون فى بعض المعارك أن يتقدم الجنود فى أقسام... كل منها من قبيلة واحدة حتى يحرص الجندى على شرف قبيلته ويدافع مستميتا عن القسم الذى يمثلها . وعلى كل حال فقد اعتمد العرب كل الاعتماد على حنكة قوادهم الأبطال كسيف الله " خالد بن الوليد " و " سعد بن أبى وقاص " و " أبن نصير " و " طارق ابن زياد " و " عمرو بن العاص " و " قطيبة " ، محكم السيف فى رقاب التتار وغيرهم من قادة الاسلام .

لاشك أن هؤلاء القادة الأول هم الذين وضعوا أصول فن القتال للجيوش الاسلامية التى تم لها فتح الممالك والأمصار الكثيرة واقتبسوا الأصول والمبادئ الحربية عن الأمم القوية التى عاصرت النهضة الاسلامية كالروم والفرس وغيرهما .

التجنيد الإلزامى

ظهر التجنيد الإلزامى فى أواسط دولة بنى أمية ، وكان المسلمون يذهبون الى الحرب جهادا فى سبيل الدين ، فلما أصبح الأمر بيد الأمويين وصار المسلمون دولة واحدة وخمدت روح الفتح تقاعدوا عن القتال ، فاضطر الخلفاء الأمويون الى الأخذ بالتجنيد الالزامى ولاسيما عند ما طمعوا فى الملك واحتاج معاوية الى الجيوش الكبيرة لتحقيق مطامعه فزاد فى عطايا الجند الذين بلغوا ستين

(١) المجلة العسكرية بالجيش العراقى — نبذة من تاريخ العرب العسكرى للرئيس الأول محمد أمين العمرى .

ألفا ينفق عليهم ستين مليون درهم (١) كل عام وقيل إنه كان بمصر فى خلافة معاوية بن أبى سفيان أربعون ألفا من الجنود (٢) وبلغ عدد من كان فى البصرة والكوفة مائة وأربعين ألفا .

ولما آلت الخلافة الى بنى العباس واحتاجوا الى مؤازرة الأعاجم دخل منهم فى الجيش جماعات كثيرة. وأول من التحق بالجند الاسلامى منهم آل خراسان الذين نصروا العباسيين فى دعوتهم بقيادة " أبى مسلم " الخرسانى . وكانت فرق الجيش فى أيام الخليفة المنصور ثلاثا : اليمنية ، والمضرية ، والخراسانية ، ثم أضيفت اليها فرقة رابعة هى فرقة الحرس الخاص .

تنظيم الجيش الاسلامى

ذكر ابن خلدون فى مقدمته المشهورة شيئا عن تنظيم الجيوش العربية فقال :

"كان العرب يقسمون الجيوش والعساكر أقساما يسمونها كرادس ويسوون فى كل كردوس صفوفا ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعى فى الجهات الأربع . ويكون رئيس العساكر كلها من سلطان أو قائد فى القلب ويسمون هذا الترتيب التعبئة . ويجعلون من بين يدى الملك عسكرا منفردا يضعونه تمييزا بقائده ورايته وشعاره ويسمونه "المقدمة"، ثم عسكرا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمته يسمونه "الميمنة"، ثم عسكرا آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه "الميسرة"، ثم عسكرا آخر من وراء العساكر يسمونه "الساقة" ويقف الملك وأصحابه فى الوسط بين هؤلاء الأربعة فيسمون موقفه "القلب" فاذا تم هذا الترتيب المحكم إما فى مدى واحد للمصر وإما على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها أو كيفما أعطاه حال العساكر فى القلة أو الكثرة ، فحينئذ يكون الزحف من بين هذه التعبئة " .

وذكر المحبى الدمشقى فى كتابه التكتيك عند العرب "الذى نقله للألمانية المستشرق الألمانى "ووستنفيلد Wustenfeld" الطريقة التى قسم بها العرب جيوشهم الى وحدات كبيرة وصغيرة . ومن

(١) تاريخ التمدن الإسلامى — جورجى زيدان (ص ١٥٧) .

(٢) الخطط المقريزية — (ص ١٥١) .

هذا المرجع النفيس نعرف نقطا شتى عن الجندية فى الإسلام . وقد ذكر فى هـذا السفر الأقسام العسكرية عند العرب وأهمها [1] :

اسم الكتيبة	عدد الجنود
الصف	١٦
عصبة — صفان...	٣٢
مقنب — عصبتان	٦٤
كردوس — مقنبان	١٢٨
جحفل — كردوس	٢٥٦
كوكبة — جحفلان	٥١٢
زمرة — كوكبتان	١٠٢٤
طائفة — زمرتان	٢٠٤٨
عسكر — طائفتان	٤٠٩٦
خميس — عسكران	٨١٩٢
معسكر — خميسان	١٦٣٨٤

كان يتولى قيادة الوحدات المـذكورة ضباط يختلفون فى الرتب والدرجات العسكرية التى تتناسب مع عدد الجند الذين تحت قيادتهم كما هو معروف اليوم فى الجيوش الحديثة . ففى الأيام الاسلامية الأولى كان " العريف " على رأس عشرة جنود ثم زيد هذا العدد إلى ثلاثين أو أربعين . وكان على العرفاء أمراء يقال لهم أمراء الأسباع وهم الذين يتولون تفريق العطاء بين العرفاء ، وهؤلاء بدورهم يوزعونه على الجنود .

وفى أيام العباسيين أدخلت رتب جديدة فى الجيش . فقد كان على كل خميس خليفة وعلى كل مائة جندى قائد وعلى كل عشرة قواد أمير .

وكان يطلق على قائد العصبة أو المقنب أو الكردوس أما صاحبها أو رئيسها فيقال صاحب المقنب ورئيس الكردوس أو الكوكبة وهكذا [2] ... ...

---

(١) انظر F. Wustenfeld; Das Heerwesen der Muhammedaner—Gottingen—1880

(٢) راجع رسالة الرتب والألقاب بقلم العالم المدقق المرحوم أحمد تيمور باشا — (دمشق سنة ١٩١٩) .

نظريات الحرب وأساليب القتال

ومن الصعب أن نجد فى بطون الأسفار التى تركها المؤلفون المسلمون ما يدل على القواعد الحربية أو نظريات القتال التى أتبعها القواد المسلمون فى فتوحاتهم . إلا أننا نعثر أحيانا فى بعض الرسائل والكتب على مباحث بسيطة غير وافية الغرض فى تعريف أصول التعبئة عند العرب .

ولو قمنا بدراسات عميقة فى تشكيلات العرب وأسلحتهم وحللنا معاركهم المشهورة وأوامر الخلفاء ووصاياهم لاهتدينا الى القواعد الحربية والنظريات العسكرية التى طبقتها القيادة الإسلامية فى صدر الاسلام فى فتوحات الشام والعراق ومصر(١) فالعرب فى جاهليتهم لم يعرفوا أساليب للقتال حتى ظهر الإسلام ونزلت الآية الكريمة " إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص " .

وبناء على تلك التعليمات السماوية اتبعت المعارك الإسلامية الأولى هذا الأسلوب فى المعارك فكانوا ينظمون أنفسهم كما ترتب الصفوف للصلاة . ويسيرون بصفوفهم الى خطوط الأعداء قدما واحدا ، وكان ذلك الأسلوب الجديد الذى عرفه المسلمون من أسباب نصرهم على قبائل العرب أهل الكر والفر . ثم تطور بعد ذلك أسلوب القتال فى معارك "النبى" الأخيرة فكانت ترتب الجنود فى صفين أو ثلاثة أو أكثر تبعا لكثرتهم وقلتهم . وفى أيام الخلفاء الراشدين لما تطورت أسلحة العرب وزادت عن ذى قبل رتبت الجنود بحسب تلك الأسلحة .

ونستطيع معرفة أسلوب القتال الذى أتبع فى أيام الإسلام الأولى من وصية "على بن أبى طالب" لجنوده يوم معركة " صفين " فهى تصور لنا بجلاء نظام الجنود فى المعارك الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين . قال :

"فسووا صفوفكم ، كالبنيان المرصوص . وقدموا الدارع وأخروا الحاسر ، وعضوا على الأضراس ، فأنه أنبى للسيوف عن الهام ، والتووا على أطراف الرماح ، فانه أصون للأسنة ، وغضوا الأبصار فانه أربط للجاش وأسكن للقلوب وأخفتوا الأصوات فأنه أطرد للفشل وأولى بالوقار وأقيموا راياتكم فلا تميلوها ، ولاتجعلوها الا بأيدى شجعانكم ، واستعينوا بالصدق والصبر ، فانه بقدر الصبر ينزل النصر" .

(١) راجع رسالات الفريق طه باشا الهاشمى عن "خالد بن الوليد" فى مجلة الرسالة مجلد عام ١٩٣٤ فهى مرجع حديث وتحليل عسكرى دقيق لحملات هذا البطل الذى شهد زهاء مائة زحف .

ونجد فى وصية عبد الحميد الكاتب محمد بن مروان وهو يوصى ولى عهد الخلافة صورة واضحة لأساليب القتال فى زمن بنى أمية ، وكذا لسير الجيش وتشكيله وتوزيعه وكيفية اقتتاله والدخول فى المعركة إلى آخر أدوارها .

وباتصال العرب بالفرس والروم عمدوا إلى الأخذ بأساليبهم فى التعبئة والتنظيم وفن الحرب " التكتيك " والتشكيلات العسكرية . واقتبسوا كثيرا من مبادئهم بعد ترجمة مؤلفات تلك الأمم ودراستها . وعرف العرب سبع تعبئات " تشكيلات " وأدخلوها فى نظامهم وتتلخص هذه التعبئات فيما يلى :

(١) تعبئة فى صورة هلال .

(٢) ترتيب القوات فى شكل الهلال والى جانبه ترتيب قوات أخرى فى شكل هلالين كأنهما جناحان .

(٣) ترتيب المستطيل .

(٤) ترتيب الهلال المقلوب .

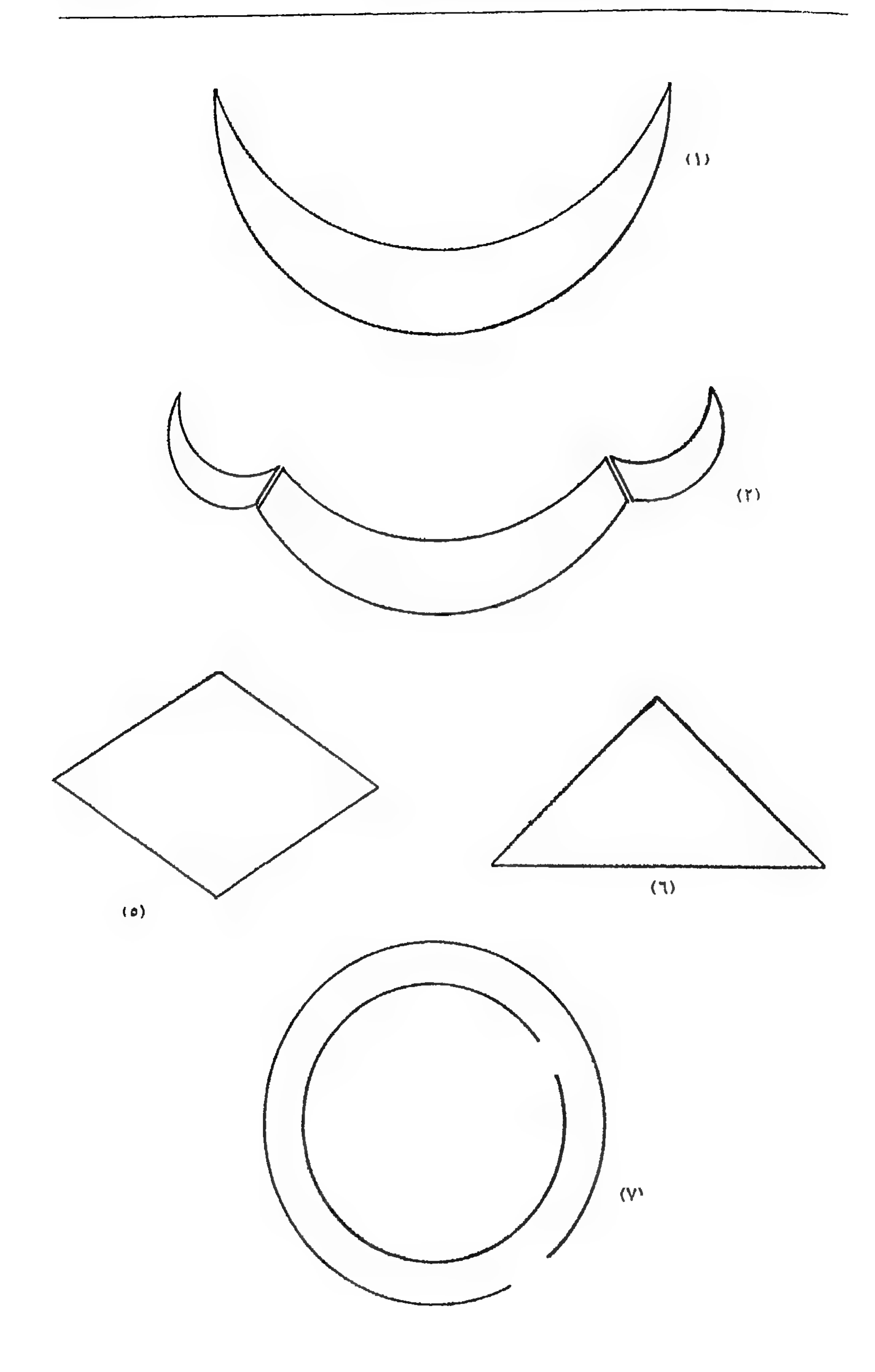
(٥) ترتيب شكل المعين أو المربع المنحرف .

(٦) ترتيب شكل المثلث .

(٧) ترتيب الدائرة المزدوجة وهما دائرتان مشتركتان فى المركز احداهما داخل الأخرى وكانوا يعمدون إلى التعبئة الأخيرة عند ماتقل جنودهم عن عدد جنود العدو .

أسلحة الجيوش العربية

استعمل العرب جميع الأسلحة القديمة كالرماح والحراب والمنجنيقات والسيوف والتروس والمقاليع والقسى والنشابات والمطارق والخناجر وغيرها من الأسلحة عرفوها عن الأمم التى غزوها .


(١)
(٢)
(٥)
(٦)
(٧)

وقد زادوا على تلك الأسلحة بما أحدثوه بدهائهم من التعديل فقد عرف أن العرب هم الذين اخترعوا البارود واستعملوا الأسلحة النارية فى الحروب ، وعنهم أخذها الأوروبيون واستعملوها للمرة الأولى فى معركة " كرومسية " (١) .

وقد أخذ العرب عن الروم النار الأغريقية التى كان لها شأن يذكر فى حروب القرون الوسطى والمواقع الصليبية .

جندية الاسلام فى مصر

انتهينا من ذكر العناصر الرئيسية التى اعتمدت عليها جيوش الاسلام فى أول تأليفها وقد تبدو للقارئ أنها بعيدة عن موضوعنا ولا تتصل به . لأننا جعلنا رأس بحثنا جيوش مصر الاسلامية ولم نجعله تاريخ الجيش العربى بيد أن الحقيقة أن تلك العناصر انتقلت بتمامها مع الجيش العربى الذى فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص ذلك الجيش الذى تألفت منه النواة الأولى لجيوش مصر فى العصر الاسلامى .

أدمجت مصر بعد الفتح الاسلامى فى الامبراطورية العربية وظلت جزءا منها الى أن ضعفت الخلافة العباسية على يد الجنود الاتراك . وكانت مصر خلال تلك الفترة هادئة لايعكر حياتها سوى بعض الفتن والثورات التى كان يثيرها رجال القبائل المختلفة التى تألفت منهم الحاميات الاسلامية ولا سيما عرب الحوف فى اقليم الشرقية الآن .

وفى أثناء الخلافة العباسية بزغ نجم " أحمد بن طولون " ذو النفس الطموحة إلى المجد . فاستقل بالملك وكون للمرة الأولى فى مصر بعد انتهاء حكم الفراعنة الأمجاد دولة مستقلة ذات سيادة وتغلب على مثيرى الفتن فى البلاد وأخضع ثلاث ثورات شبت فى أنحاء مصر، ثم سار إلى الشام واحتل كل أجزائها ووصل بجيوشه الى " طرسوس " والفرات وحارب جنود الخليفة والروم وألف تحت سلطانه امبراطورية فتية مترامية الأطراف امتدت من برقة فى صحراء ليبيا إلى حدود بيزانطة ومن الفرات إلى جنادل " شلالات " النيل الأولى .

---

(١) المجلة العسكرية العراقية — نبذة من تاريخ العرب العسكرى للرئيس الأول محمد أمين العمرى .

الجيش المصرى الطولونى

وللمرة الأولى فى تاريخ الجيوش الاسلامية رأينا فى مصر جيشا عظيما منظما وثابا إلى النصر فى السلم وتخشاه الأعداء فى الحرب . فكان ابن طولون يعتمد على هذا الجيش جل الاعتماد فى تأسيس دولته الجديدة و بسط كلمته على الدول المجاورة (١) .

لم يلق ابن طولون صعوبة فى تأسيس هذا الجيش لأسباب أهمها ضعف القوات العربية التى كان يرسلها الخليفة العباسى الى مصر . وكانت الجنود الترك والمرتزقة قد حلوا محل الجنود العرب فى أيام الخليفة المعتصم الذى أمر بابعاد العنصر العربى عن إدارة الجيش وقيادته ونتج عن ذلك اختلاط الجنود العرب بالمصريين . فاكتسب هؤلاء خلالهم العسكرية وشجاعتهم البدوية وغطرستهم بينما احتفظ العرب بصفاتهم الطبيعيــة من ميل للحرية واعتزاز بالنفس وكان هؤلاء العرب شوكة دائمة تقلق سلطان الخليفة ونفوذ الولاة .

ولا شك فى أن نواة الجيش الطولونى تألفت من المـائة غلام الذين كانوا حرسا لعامل الخراج "أحمد بن المدبر" الذى سلب منه ابن طولون السلطة بدهائه وقوة شكيمته. وتفصيل ذلك أنه لمـا وصل ابن طولون الى مصر أهدى اليه بن المدبر هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار . فرأى الأول فى بطانة ابن المدبر مائة غلام "لهم خلق وحسن وطول أجسام وبأس شديد ، وعليهم أقبية ومنـاطق ثقال وبأيديهم مقارع غلاظ ، على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة ، وكانوا يقفون بين يديه فى مجلسه فإذا ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة فى صدور الشعب " . فلمـا بعث ابن المدبر بهديته إلى ابن طولون ردّها عليه . فقال ابن المدبر إن هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته . وعمل سرا على إبعاده . فلم تكن غير أيام حتى بعث ابن طولون إلى ابن المدبر يقول له :

قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنهـا فرددتها توفيرا عليك . ونحب أن نجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم أحوج منك . فقال ابن المدبر لمـا بلغته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم . ولم يجد بدا من أن يبعثهم اليه فتحولت هيبة ابن المدبر إلى ابن طولون ومن هذا الحرس الخاص تألفت النواة الأولى لجيش ابن طولون فى مصر .

---

(١) راجع كتاب "الطولونيون" باللغة الفرنسية لمؤلفه الدكتور زكى محمد حسن — الفصل الخاص بالجيش والأسطول . (ص ١٦٥ و ١٧٥) .

وشاءت الظروف بعد ذلك خدمة ابن طولون فتسلم أعمال الإسكندرية من اسحق بن دينار ثم أرسل اليه الخليفة ابن المتوكل يطلب منه اخماد ثورة عيسى بن شيخ الشيبانى الذى كان يتقلد جند فلسطين والأردن قبل استفحال أمره . وأرفق الخليفة أوامره لابن المدبر لكى يضع تحت تصرف ابن طولون ما يحتاج اليه من المال لإعداد جيش قوى يقوده إلى بلاد الشام . فنزل ابن المدبر عن سلطانه وأطاع أمر الخليفة مضطرا .

أعد ابن طولون جيشه وقام على رأسه إلى الشام . فوصل الى فلسطين بدون أن يلحق به أذى وكان الخليفة قد بدأ يتحول عن رأيه ويكاتب تلك المهمة للجنود العراقية . لأنه خشى عاقبة انتصارات ابن طولون على خصمه ابن الشيخ . لكنه لم يكن بعيد النظر من أول الأمر ولم يتوقع ما كان يجول فى نفس الوالى الجديد .

عاد ابن طولون الى الفسطاط يحمل أعلام النصر على رأس جيشه الفتى المظفر . وأصبح من كثرة جنوده وآلات القتال بحال تضيق بهم محلاتهم الأولى . فاختط قصره العظيم وميدانه الفسيح فى موضع قبور اليهود والمسيحيين التى كانت فى سفح جبل المقطم فيما يلى الفسطاط . وأمر أتباعه أن يختطوا لأنفسهم حوله . فبنوا ثكناتهم واتصل البناء بعمارة الفسطاط ثم قطعت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها من النوبة أو الروم . وبنى القواد مواضع متفرقة لهم .

وقد كان لميدان القصر عدة أبواب ، ولكل باب اسم له . من أهمها باب الميدان الذى كان يدخل ويخرج الجيش منه . وكان ابن طولون اذا ركب خرج معه عسكر لجب متكاتف فى نظام بديع . ثم يخرج من الباب الأوسط بمفرده . وكانت الأبواب المذكورة تفتح كلها فى يوم العيد أو يوم عرض الجيش .

ونحن اذا ألقينا نظرة سريعة على تأليف جيش ابن طولون الجديد لقررنا ذلك العمل العظيم الذى قام به ، وقد ذكر المقريزى أن ابن طولون لما أنشأ ذلك الجيش اشترى عددا كبيرا من الروم والنوبيين .

وقد أورد فى عبارة أخرى أنه استكثر من العبيد الذين بلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى ، وأربعين ألف جندى أسود وسبعة آلاف حر مرتزق .

وذكر الكندى أن الجيش الطولونى بلغ فى أمجد أيامه مائة ألف مقاتل ، وقد كرر هذا الرقم أربع مرات لما قال أن ابن طولون استخدم ذلك الجيش اللجب عند ماساقه للقضاء على ابنه العباسى الذى شق عصا الطاعة عليه .

وهناك مراجع أخرى نعتمد فيها على صحة هذا الرقم ، وقد ذكره أحمد بن طولون فى رسالته إلى ابن أحمد الموفق والخليفة المعتمد الذى وعده بحمايته ، ومن المحتمل أن يكون فى ذكر هذا الرقم بعض المبالغة التى تمليها الدعاية للقوّات العسكرية والتهويل فى عددها وعدتها .

لكننا نجد فى تاريخ الكندى أن عدد القوّات المصرية التى اشتركت فى معركة الطواحين بلغ عددها سبعين ألف بقيادة أبو الجيش " خمارويه " .

ولم تصلنا معلومات عن تنظيم قوّات الدفاع الطولونية ومرتبات الجند وأساليب القتال وتنظيم الجيوش ووسائل توزيع الأسلاب ، كما أننا لا نعلم شيئا عن قوانين التجنيد التى اتبعت فى ذلك الحين وان كان هناك عدد كبير من المحاربين من عبيد أفراد الأسرة الطولونية أو الذين اعتقوا فيما بعد ، وكان معظمهم من الأتراك أو الروم أو أهل النوبة .

ونرجح أن ابن طولون كان يرى العتق شرطا جوهريا فى تأدية الخدمة العسكرية لكى يؤدى المحارب الحر واجبه باخلاص وحرية .

ونؤكد واثقين أن ابن طولون كان شديد العناية بجنوده . وكان يقرب إليه رؤساء الجند ويغمرهم بالمرتبات .

وفى أثناء حكم ابن طولون لم تحدث الفتن العسكرية التى حدثت فى عصر من خلفوه من سلالته الضعفاء ، ومع أنه لم يكن من السهل أن يسود الوفاق بين أفراد جيش كبير من عناصر مختلفة وأجناس متعدّدة ، فقد كان النظام سائدا فى جميع القوّات لقوة شكيمة أحمد بن طولون وصرامته وبأسه وحزمه ، وان وقعت حوادث قليلة فى بعض الفرق أخمدت ولم تتكرر .

وكان قواد الجيش الطولونى ورؤساء الجند من الأتراك الذين كانوا ينظرون الى أفراد الأسرة الطولونية كزملاء أسعدهم الحظ فقبضوا على زمام الحكم دون أن يكون لهم نفوذ دينى أو حق الهى . ولما جاءت حملة الشام الأخيرة انتفع ابن طولون برجال الولايات التى أحتلها وزاد عدد المجندين منهم فى الجيش المصرى. وقد لقى فى بادئ الأمر صعوبة شديدة لما حاول كبح جماحهم وتعويدهم على الأنظمة العسكرية التى ألفها الجنود فى مصر وقد أهتم ابن طولون بتحصين الفسطاط فأمر ببناء حصن على الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة " جزيرة الروضة " يكون معقلا لأهل بيته وذخائره . ووزع أعمال البناء على قواده . وكان يتعهدهم بنفسه كل يوم حتى انتهى العمل منه. وقد أمر ببناء دار لصناعة الأسلحة والسفن .

خمارويه وجيشه

وفى أيام خمارويه ألف الجنود الحياة المنظة والمعيشة الرغدة ، واستمرت مرتباتهم تدفع لهم بانتظام . وكان سخيا عادلا فى معاملتهم ليضمهم إلى جانبه . وأستطاع قيادتهم للمعارك الشامية التى خرجوا منها ظافرين كما ظفروا تحت قيادة أبيه قبل ذلك .

وانتخب حرسا خاصا له من رجال عرب الحوف " شرقى الدلتا " الشجعان . وأطلق عليهم اسم " المختارة " فاكتسب رضاء زعمائهم وكانوا من قبل يعيثون فى الأرض فسادا . يسلبون وينهبون الأقاليم المجاورة ، فخذل شرهم واستعان بهم فى الحروب والملمات . وقد وصف المقريزى هذا الحرس الخاص قال[1] .

" وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشناترة الضياع قدما معروفين بالشجاعة والبأس ، لهم خلق عظيم تام ، وعظم أجسام ، وأدر عليهم الأرزاق ، ووسع لهم فى العطاء ، وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق بخدمته ، وألبسهم الأقبية وجواشن الديباج . وصاغ لهم المناطق العراض الثقال ، وقلدهم السيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم ، فاذا مشوا بين يديه وفى موكبه على ترتيبه . ومضت أصناف العسكر وطوائفه ، تلاهم السودان وعدتهم ألف أسود لهم درق من حديد محكم الصنعة ، وعليهم أقبية سود وعمائم سود ، فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير ، لسواد ألوانهم وسواد ثيابهم و يصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم ، والبيض التى تلمع على رءوسهم من تحت العمائم زى بهج .

ورأى خمارويه أن يزيد عدد الجيش ، فبدأ بتجنيد المصريين الذين شاهدوا حياة الجنود المقيمين بين ظهرانيهم . وأدخل عنصرا جديدا فى جيشه من شبان آسيا الوسطى . وبذلك وصل عدد الجيش المصرى فى عهده الى ٤٠٠,٠٠٠ جندى .

ولا شك أن تلك القوات الكبيرة تطلبت اعتمادات مالية لا يستهان بها . فبلغت ميزانية الجيش فى عهد خمارويه ٩٠٠,٠٠٠ دينار .

الأخشيديون

سنتكلم عنهم فى الأعداد القادمة .

---

(١) الخطط المقريزية . الجزء الثانى ص ١١١ طبعة النيل الأهلية .

صفحات من تاريخ مصر الحربى

تطور وسائل الدفاع عن القطر المصرى

من عهد محمد على باشا الى الخديو اسماعيل

لما تولى المغفور له محمد على باشا حكم مصر وجه عنايته للدفاع عن البلاد . فاستقدم من فرنسا لذلك الغرض بعض المهندسين العسكريين ، كان منهم "جاليس" بك الذى عهد اليه اقامة الاستحكامات واتخاذ وسائل الدفاع وتشييد الحصون على الحدود المصرية . ولما أتم جاليس بك دراسة البلاد من الناحية العسكرية ، وكان قد اجتمع بكبار لرجال العسكريين فى مصر ، قدم تقريرا وافيا . عرض فيه آرائه الخاصة عن خطوط الدفاع ، وما يلزم لها من الحصون والقلاع . فقال إن أهم خطوط الدفاع عن الحدود الشمالية ثلاثة :

(الأول) خط الساحل ويحتاج الى اقامة حصون قوية يمكن بها الدفاع عنه . وصد هجمات سفن الأعداء التى قد تقصد البلاد بسوء .

(الثانى) لا يحتاج لشىء لأنه معزز بالعراقيل الطبيعية . كالمستنقعات والبحيرات الموجودة فيه ، وهى بحيرات : المنزلة والبرلس وأدكو ورشيد وأبى قير ومريوط .

(الثالث) يمكن الدفاع عنه عند اللزوم بإقامة بعض استحكامات خفيفة على المسالك الواقعة بين البحيرات المذكورة. وهذه المسالك هى التى توصل خط الساحل بالوجه البحرى وداخل القطر . ومنه يمكن صد العدو إذا انقلب على خط الساحل وقصد دخول القطر .

وقد ذكر جاليس بك أنه يلزم إقامة بعض الحصون على الحدود الشرقية بجهات الصالحية لوقوعها على طريق سوريا . وجهات الاسماعيلية لوقوعها على طريق وادى التيه الذى يوصل مصر ببلاد العرب . وجهات السويس لأنها ميناء مصر على البحر الأحمر ، وبجهات أخرى على البحر الأحمر كالطور والقصير وغيره من ساحل عيذاب — والعقبة التى اتخذ فيها القدماء حصونهم — ولم يذكر شيئا مهما عن الحدود الجنوبية لأن السودان كان قد تم إذ ذاك فتحه وضمه إلى مصر .

وافق محمد على باشا على تقرير جاليس بك وأخذ فى عمل الحصون اللازمة و إصلاح القديم وبقى العمل جاريا بها إلى عهد المرحوم عباس باشا الأول فأصلحت قلعة الجبل وأقيمت بعض مواقع عسكرية أخرى فى جهات العباسية .

ولما تولى سعيد باشا سار فى طريق والده محمد على باشا ، فانتخب بنظره الثاقب أمام ملتقى فرعى رشيد ودمياط موقعا من أهم المواقع الدفاعية يمكن أن يصل المدد منه بسهولة الى جميع الثغور. واستصوب أن يشغله بالحصون والقلاع بحيث لو طمع طامع فى الدنو من هذه المواضع صدّه عنها بالقوة بواسطة المياه المنصرفة من عيون القناطر وكانت هذه القلعة معززة بالمدافع والأسلحة والجنود وعرفت باسم القلعة السعيدية .

وبقيت كل الحصون المذكورة على حالتها التى كانت عليها سنة ١٨٧٢ حين أمر الخديو المرحوم اسماعيل باشا باصلاح ما كان منها على السواحل المصرية الشمالية لتكون صالحة لوضع المدافع الثقيلة فأصلحت إصلاحا سطحيا ثم ركبت بها مدافع من نوع آرمسترونج عيار ١٠ بوصات و ٩ بوصات و ٧ بوصات . وقد جعل لهذه الحصون ادارة خاصة عرفت بقلم الاستحكامات وعهد برئاستها للمرحوم محمد باشا المرعشلى وذلك لشدة عناية اسماعيل بها .

ولما قصد اسماعيل باشا إقامة بعض الحصون على برزخ وخليج السويس رفضت الدول وفى مقدمتهم فرنسا والباب العالى وخوّفته من ذلك لمنافعها الذاتية ، فصدر فرمان بمنعه فامتنع .

وقد وصف كثير من الكتّاب خطوط الدفاع التى كانت فى حدود القطر الشمالية قبل تدمير حصون الاسكندرية (١١ يوليه سنة ١٨٨٢) فقد كانت تحتوى على عدّة حصون وقلاع وطواب منها ما هو على بعد ٣٠,٠٠٠ متر الى الغرب من العجمى، وكانت ثلاث قلاع وهى :

النجوس ، برج أبو صير ، وقلعة أبو صير ، بعد الواحدة عن الأخرى ١٦٠٠ متر .

الدفاع البحرى عن الاسكندرية

كان الدفاع عن الاسكندرية بحرا يمتد الى مسافة ١٧,١٧٠ مترا من قلعة قايتباى الى العجمى، ومن حصونه حصن المرابط بالجهة الغربيـة أمام البوغاز المنسوب اليه ، وهو على الجزيرة المسماة به ، فكان به أربعة مدافع ضخمة من طراز أرمسترونج من عيار ٨ بوصات، واثنان من عيار ٩ بوصات وثلاثون نوعا من النوع المسمى " أوبوس " ، وخمسة مدافع هاون ، وخلف هذا الحصن حصن آخر على الرأس الغربى من الميناء يعرف بحصن " العجمى " وهو قليل الأهمية لقدم بنائه، والى الغرب من هذا الحصن كانت طابية الدخيلة التى تبعد عنه ٣٦٠٠ متر، ثم طابية باب العرب وهى على بعد ٢٨٠٠ متر الى شرق الدخيلة، وعلى بعد ٢٠٠ متر من طابية المكس الجديدة، والى الشرق منها بنحو ألفى متر .

طابية المكس القديم — وهى على مرتفع من الأرض وعلى الساحل فى المكان المعروف بمرسى القناطر ، وهذه الطوابى الثلاثة معدة للدفاع عن مدخل البوغاز الغربى المعروف ببوغاز المرابط ، والبوغاز العمومى، وكان بطابية المكس المذكورة ٣١ مدفعا من المدافع القديمة منها أربعة من ذوات العيار الكبير ، وعلى طول المرفأ القديم حتى البحيرة الداخلة كانت عدة متاريس واستحكامات منها طابية "القمرية" المعروفة أيضا بالطابية اليسرى الكبرى وتبعد عن المكس القديم بنحو ٥٢٠ مترا الى الشرق وبها خمسة مدافع وطابية أم قبيبة وهى الى الشرق على بعد ١٤٠٠ متر وبها ١٨ مدفعا و برج مستدير فيه مدفعان ، وقلعة صالح أغا القديمة وهى على بعد ٤٠٠ متر الى شرق طابية أم قبية ، والطوابى المذكورة كلها مسلطة على الميناء ومسلحة بستة وخمسين مدفعا معظمها من النوع القديم المسمى " أبوص " أى " الهاوتزر " .

وفى الجهة الأخرى من المرفأ عند منتهى شبه جزيرة فاروس بالقرب من رأس التين كانت قلعة الفنار وهى مشرفة على الميناء الداخلة وعلى البوغاز من جهة الشرق وكانت محتوية على مساكن خشبية تسع ألفى جندى ومعززة بأربعة وعشرين مدفعا قديمة منها خمسة من نوع ارمسترونج أحدها قطره عشر بوصات ويزن ١٨ طنا وأربعة قطر الواحد منها تسع بوصات ويزن ١٢ طنا وعلى الشاطئ الشمالى من رأس التين المذكورة عدة بطاريات أخرى مسلحة بسبعة عشرة مدفعا بعضها من ذوات العيار الكبير .

وعند منتهى خط هذه البطاريات مدفع واحد من نوع آرمسترونج قطره ثمانى بوصات . وفى الجهة الشرقية من هذا الخط طابية تعرف بالأطة وهى تبعد ٢٣٠٠ متر عن الفنار إلى الشرق . واستحكام قائم على رصيف متصل باليابسة بخندق ضيق تدخله مياه البحر وبه مدافع قديمة ومدفع واحد آرمسترونج من قطر ١٠ بوصات وعند منتهى خط شبه الجزيرة المذكورة برج يعرف ببرج قايتباى . وبقلعة فاروس أيضا وهو مبنى بالحجر يسع اثنى عشر مدفعا ويشرف على متسع البحر ومعد لحماية مدخل الميناء الشرقية ويشترك معه فى ذلك الحصن المعروف بطابية " فاريبلون " وهو على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الأخرى من الفرضة شمالى محطة الرمل ويمتد الى داخل البحر يحميه برج آخر هناك يعرف بطابية السلسلة (١)

وكان الدفاع عن الاسكندرية برا بواسطة سورها الاسلامى القديم ولا زال جزء منه للآن بجهة باب رشيد وباب سدره وباب السوارى وتحميه عدة متاريس أو استحكامات قائمة على مرتفعات مطلة على بحيرة مريوط وترعة المحمودية والسكة الحديدية .وعليها أبنية هى بقايا الحصون التى أنشاها الفرنسيون حول المدينة مدة حملة بونابرت (١٧٩٨ — ١٨٠١) وكانت معززة من الخارج بطابيتين تعرف احداهما بطابية " كافاريللى " المعروفة اليوم بحصن

(١) حقائق الأخبار عن دول البحار — اسماعيل سرهنك باشا .

نابليون أو كوم الناضورة والثانية بطابية كرتبين أو كوم الدكة . ومتراس كليوباترة المعروف بقلعة " باودا " أما اليوم فالطابيتان الأولتان وهما كوم الناضورة وكوم الدكة قائمتان فى قلب المدينة لقيام البناء من حولها وقد فقدتا مؤقتا أهميتهما الحربية .

والأولى منهما مطلة على داخل المرفأ القديم حاكمة عليه لارتفاعها وقد كانت عند باب العرب استحكامات[1] تعادل طوابى المكس ارتفاعا وتسد لسان الأرض الواقع بين المساحة وبحيرة مريوط — وهى واقعة الى ما وراء المقطع القديم الذى خرقه الانجليز سنة ١٨٠١ عند محاصرة الجنرال "مينو" ليدخلوا به مياه البحر إلى البحيرة فغرقت يومئذ قرى كثيرة وتحولت الى صحراء واسعة يابسة والى مستنقع مضر بالصحة .

أما خط الدفاع الذى على الساحل بين طابية السلسلة وأبو قير فقد كان فى غاية المناعة بالطوابى المشيدة عليه . وأهمها طابية المنظرة الواقعة الى شرقى طابية السلسلة بنحو ٢٩٤٢٨ مترا والى شرقيها على بعد ٣٩٠٠ متر طابية تسمى التوفيقية و إلى شرقيها بمسافة ١٨٠٠ متر طابية تعرف باسم كوسه باسى والى الشرق منها بنحو ٨٦٤ مترا قلعة أبو قير والى الجنوب الشرقى منها على مسافة ٢٤٥٠ مترا طابية الرمل وفى جهة الشرق من هذه الطوابى سد أبو قير وكان معززا بأربعة أبراج لحمايته عرف الأول ببرنجى برج . وهى تبعد عن الرمل بـ ٢١٠٠ متر ثم إلى شرقيها ببعد ٨٠٠ متر بكنجى برج ومنه إلى الشرق ببعد ١٩٠٠ متر ٣ جى برج والى شرقيه ببعد ١٢٠٠ متر ٤ جى برج وعلى آخر السد من جهة الشرق ببعد ٣٠٠٠ متر توجد طابية تعرف بالكوم الأحمر وببعد ٣٢٠٠ متر عنها الى الشرق طابية المعدية هذا وغير ما ذكر فان ساحل ادكو حتى رأس رشيد معزز بتسع طواب تسمى الأولى هلالية الكلح وهى تبعد ٢٣٠٠ متر إلى شرقى بحيرة المعدية والثانية المعدية ثم طابية الكلح وهى تبعد ٢٥٠٠ متر شرقى الأولى والرابعة هلالية ادكو والخامسة طابية إيدكو والسادسة هلالية العلائم والسابعة طابية العلائم والثامنة هلالية الثغر والتاسعة طابية الثغر وكل واحدة منها تبعد عن الأخرى بنحو ٤٠٠٠ متر .

والى غربى هذه الطوابى بنحو أربعة آلاف متر بوغاز طوابى رشيد وعليه من الغرب طابية غرب البوغاز ومن الشرق طابية شرق البوغاز ويبعدان عن بعضهما بنحو ثمانمائة متر . وهناك استحكام آخر كان يعرف بقلعة قايتباى ويقع على منتصف المسافة بين مدينة رشيد وطابيتى البوغاز السابقتين وطابية أخرى فى أبى مندور وهى قائمة على تل عال جنوبى رشيد ولما كانت المسافة بين رشيد والبراس البالغ طولها ٥٧٠٠٠ متر كلها مستنقعات وتعد من الموانع الطبيعية فلم تبن عليها استحكامات

(١) لا تزال آثارها موجودة الى اليوم .

وعلى رأس بحيرة البرلس طابيتان الأولى تسمى طابية عرب البرلس وهى تبعد ٥٦٢٠٠ متر من شرقى رشيد والى الشرق بنحو ٨٠٠ متر طابية شرق البرلس وهى على بعد ١١٢٥ مترا شرقا من طابية فنار البرلس وفى المسافة التى بين الفنار المذكور و بوغاز جمصة طابيتان الأولى تعرف بالعباسى وهى على بعد ١٩٨٠٠ متر الى الشرق من فنار البرلس والى الشرق منها بنحو ١٤١٧٥ مترا طابية القرعة ثم الى شرقى بوغاز جمصه المذكور بنحو ١١٨٠٠ متر طابية جمصة والى شرقيها بنحو ١٢٤٠٠ متر برج يعرف بأوتجنجى برج والى الشرق بنحو ٤٠٠٠ متر برج يعرف بايكنجى برج والى شرقيه بنحو ٤٢٠٠ متر.

تحمى بوغاز دمياط طابيتان عظيمتان هما طابية غرب البوغاز وطابية شرقيه والمسافة بينهما لاتزيد عن ٥٩٠ مترا . وهناك طابية أخرى تعرف بالعزبة وهى قديمة كثيرة الأضلاع أقامها الفرنسيون و بداخلها جامع وقشلاق ومخازن وفى المسافة التى بين دمياط وبور سعيد وطولها ٦١١١٠ أمتار طابيتان الأولى تعرف بطابية الديبة وتبعد عن شرقى طابية شرقى بوغاز دمياط بنحو ٣٢٥٥٠ مترا والى شرقيها بنحو ١٣٢٧٠ مترا طابية تعرف بالجميل وهى على أشتوم الجميل وأغلب هذه الطوابى هلالية الشكل قليل منها رباعى وكانت كل واحدة منها مسلحة بثلاثة مدافع من نوع آرمسترونج وستة مدافع من النوع القديم المسمى "أيوص" مختلفة العيار إلا قلعتى قايتباى وأبومندور برشيد فكانت مدافعهما قديمة وقد أهملت هذه الأستحكامات بأجمعها تقريبا بعد عام ١٨٨٢ حتى تخربت وأندثر معظمها أما خط الدفاع عن الحدود الشرقية فقد اشتمل على قلعة قديمة بالعريش وأخرى مثلها بالعقبة ولم يقم استحكامات فى حدود قناة السويس سوى الطوابى الترابية التى شيدها العرابيون فى حوادث ١٨٨٢ بجهات التل الكبير والصالحية ، الاستحكامات الجنوبية وكانت آثارها ظاهرة الى عهد غير بعيد — ولما أخرجت الحكومة المصرية جنودها من السودان فى عام ١٨٨٥ شيدت بعض نقط حربية فى وادى حلفا للدفاع عن حدود القطر من هجمات الدراويش فشيد السردار غرنفيل باشا معسكرا كبيرا يمتد على ساحل النيل الشرقى طوله ألف متر وأقام حوله خمس طواب منها طابية فى جهة الجنوب بقرب ساحل النيل سميت طابية نمرة ١ والى الشمال طابية أخرى عرفت بطابية نمرة ٥ وشرق المعسكر على كيلومتر واحد ثلاث طواب عرفت بنمرة ٢ و ٣ و ٤ وبعدها عن بعضها واحد وكلها على شكل مضلع وأقاموا على بعد ربع ساعة من طابية أخرى عرفت بطابية الخور والى الجنوب منها طابية "جنيس" وعلى نحو ٣٣ كيلومترا من حلفا إلى الجنوب طابية "سرس" ولما فتح السردار كتشنر باشا دنقلة وبربر أقام فى الحدود الجديدة بجهات دنقلة وكورتى ومروى وأبوحمد و بربر والدامر بعض الحصون التى ما زالت آثار بعضها قائمة الى اليوم .

الخديو اسماعيل

ومنذ ٧٠ سنة فى أيام حكم المغفور له الخديو اسماعيل استدعيت بعثة عسكرية برئاسة الجنرال "ستون". وكان الغرض الاساسى لأعمالها تنظيم هيئة أركان حرب الجيش المصرى ووضع خطط الدفاع عن مصر. وقد عنى الجنرال ستون وزملاؤه ببحث جميع المواقع المصرية ثم رفع تقريرا للخديو نورد صورته فيما بعد بين فيه الخطة المثلى للدفاع عن مصر :

نظارة الجهادية .

مكتب رئيس أركان حرب القاهرة ٤ يناير سنة ١٨٧١ .

يا صاحب السمو الخديو

مذكرة الدفاع عن مصر

١ — لما جاء نابليون الكبير إلى مصر فى يوليه سنة ١٧٩٨ لم تهاجم سفن الأسطول الفرنسى مينا الاسكندرية ولم يعرض قواته لهجوم مباشر عليها لكنه بدلا عن ذلك أنزل قواته إلى البر على مسافة ثلاثة أميال ونصف ميل من حصون الميناء (١)

لم يلق نابليون أثناء انزاله لقواته مقاومة تذكر من الأعداء. ومع أنه استخدم نبوغه ونشاطه وضرب للجنود الفرنسية مثلا يقتدون به. فانه لم يستطع انزال مقدمة جيشه قبل اثنتى عشرة ساعة وكان عدد أفراد هذه القوة يتراوح بين ثلاثة وأربعة آلاف جندى معهم خيولهم ومدافعهم .

وقد ارتكب حاكم الاسكندرية خطأ كبيرا بلزومه الهدوء وقبع ساكنا بين جدران حصونه ولم يخرج على رأس رجال حاميته ليبطش بقوات الفرنسيين حين نزولها إلى البر فوجد نابليون أمامه وقتا كافيا لتنظيم قواته الصغيرة وتقدم بها نحو الاسكندرية واستولى عليها بخسارة طفيفة فاكتسب بتلك الخطة نقطة أدار منها عملياته الحربية داخل البلاد المصرية .

---

(١) اختار لذلك نقطة غربى الاسكندرية هى العجمى الآن. فصار الأسطول اليها وشرع فى انزال رجاله وعدده ليلا بكل سرعة فتم له ذلك من غير أن يعترضه أحد وبعد أن استراح برهة على الرمال جرد قسما من جيشه وسار على الأقدام قاصدا الاسكندرية فقابلتهم قبيل الفجر بعض نصائل من عرب أولاد على تبادلوا معهم بعض الطلقات ثم فروا مزعورين فاستمر الجيش فى المسير نحو الاسكندرية حتى سار على مقربة من أسوارها فقابلتهم حامية المدينة بما لديهم من وسائل الدفاع وبانسحابها دخل الفرنسيون المدينة وانسحب حاكمها ورجاله الى قلعة فاروز "قايباى" الى أن استسلم اليه السيد محمد كريم .

(تاريخ مصر من الفتح العثمانى ص ٩٢)

٢ — وفى أول نوفمبر عام ١٧٩٩ استطاع ٨٠٠٠ من الجنود الانكشارية الأتراك تحميهم سفن الأسطول الانجليزى النزول على الشاطئ المصرى لمطاولة القوات الفرنسية بحرا وحاول أربعة آلاف آخرون النزول الى البر . ولكن بدلا من أن ينتظر القائد الفرنسى فرديه داخل قلعته بالعزبة (شرقى بوغاز دمياط) والتى كانت تشرف على تلك الناحية . خرج على رأس قواته القليلة التى لم يتجاوز عددها سبعمائة أو ثمانمائة من المشاة ومائتين من الخيالة وهاجم القوات الأتراك بجرأة شديدة وأبادها بسهولة قبل أن تصلها الامدادات البرية . وبلغت خسائر الانكشارية ثلاثة آلاف قتيل وغريق وثمانمائة أسير وهنا يظهر تأسير الهجوم العنيف ضد قوة فى اللحظة التى تضع قدميها على شاطئ للأعداء .

٣ — وفى شهر فبراير عام ١٨٠١ وصل أسطول انكليزى مؤلف من مائة سفينة تحمل عشرين الف جندى انكليزى وانضم اليهم أسطول تركى يحمل قوات كبيرة وربض الأسطولان فى الساحل المصرى أمام الاسكندرية وكان القصد من هذه الحملة القوية إبادة الجيش الفرنسى الذى كان محتلا البلاد إلى ذلك الحين . واستطاعت القوة المذكورة عمل استكشاف لميناء الاسكندرية وضواحيها وفى ٨ مارس استكشفت أيضا أبو قير .

وانتظر الانكليز فى أبو قير يومين لانتهاز الفرصة المناسبة لانزال الجنود وبذلك أعطوا الفرنسيين مهلة يومين لتجمع قواتهم ومقاومتهم .

ولحسن حظ الانكليز وسوء مصير الفرنسيين لم يستفد القائد الفرنسى "مينو" من هذا التأخير ولم يكن لدى الانكليز والأتراك سوى قوة صغيرة لمقاومة الفرنسيين وقد استطاع خمسة آلاف انكليزى المحافظة على مواقعهم بخسارة ١٢٠٠ جندى . ولو أن الجنرال مينو استطاع الانتفاع ببعض أيام الانتظار وجمع قواته لسهل عليه القضاء على محاولة الانكليز فى انزال قواتهم .

وكانت نتيجة المعارك المتتالية أن استولت على مصر القوات الانكليزية والعثمانية وذلك بسبب إهمال القيادة الفرنسية بتأخيرها .

والآن ماهو الدرس الذى يجب أن نستخلصه من تلك الحملات البحرية الثلاثة التى قام بها فى أوقات مختلفة أعداء بقصد إنزال قوات عدائية على سواحل مصر ؟

الرد على ذلك بسيط فمن الواجب تحصين عدد من المواقع على الساحل لتكوين عدد من نقط الاستناد والمدافعة فى حالة نشوب الحرب داخل الموانئ المصرية والأنهار من سفن توربيد وماأشبه والوسيلة الأكثر ضمانا لإعاقة إنزال قوات معادية هى أن تتجمع بسرعة أمام تلك القوات فى اللحظة التى تبدأ فى النزول — قوة تكفى لقذفها فى البحر بسرعة .

لذلك يجب تجهيز وسائل النقل السريعة بين الأماكن المهمة المحصنة والمعدّة تماما على الساحل وتوفير الوسائل بصفة دائمة لتكون معدّة لنقل المعدّات من مكان الى آخر أسرع من العدوّ وبحالة منظمة جدا .

ولنضرب لذلك مثلا . اذا اقترب أسطول العدو من ميناء دمياط بقصد إنزال قواته . والتقى هناك بقوات كبيرة مستعدّة لمقاومته حين محاولته إنزال قواته . ففى هذه الحال سيسرع فى الحال قاصدا بورسعيد أو أبوقير أو رشيد . وعلى ذلك فالواجب أن تكون تحت سيطرة الجنود المدافعة فى دمياط الوسائل السريعة لكى تنتقل يمنة أو يسرة بسرعة البرق تقضى الظروف بأن تسبق القوات البحرية للعدو قبل أن تصل الى تحقيق أهدافها وقد تكون الطرق الحديدية أقرب الوسائل تحقيقا لهذه الحاجة القصوى . وعلى ذلك أوصى مشددا بسرعة تكملة الخط الحديدى فى داخلية البلاد الى دمياط وعمل طريق حديدى عسكرى من بورسعيد الى الاسكندرية بمحازاة الشاطئ ان أمكن وبهذه الوسيلة ليست قوات المشاة والخيالة والمدفعية هى التى يمكن وحدها أن تغير موقعها بسرعة غير عادية ولكن يستطاع أيضا نقل قطع البطاريات الضخمة وتركيبها فى الأماكن التى تستدعيها الضرورة ولا يعتبر هذا الخط طويلا باعتبار طبيعة البلاد والسكة الحديدية لا تساوى شيئا بجانب المزايا الدفاعية التى ستجنى منها .

والآن فى عام ١٩٣٩ نعتقد أن أغراض ونتائج الدفاع الساحلى مازالت مرتبطة بمبادئها القديمة.

عبد الرحمن زكى



كيف تعارضت سياسة انجلترا مع قدرتها الاستراتيجية فى حملة العراق

ترجمة الفصل الأخير من كتاب حملة العراق "لإيفانز" ويشمل انتقادات الحملة والدروس المستفادة منها

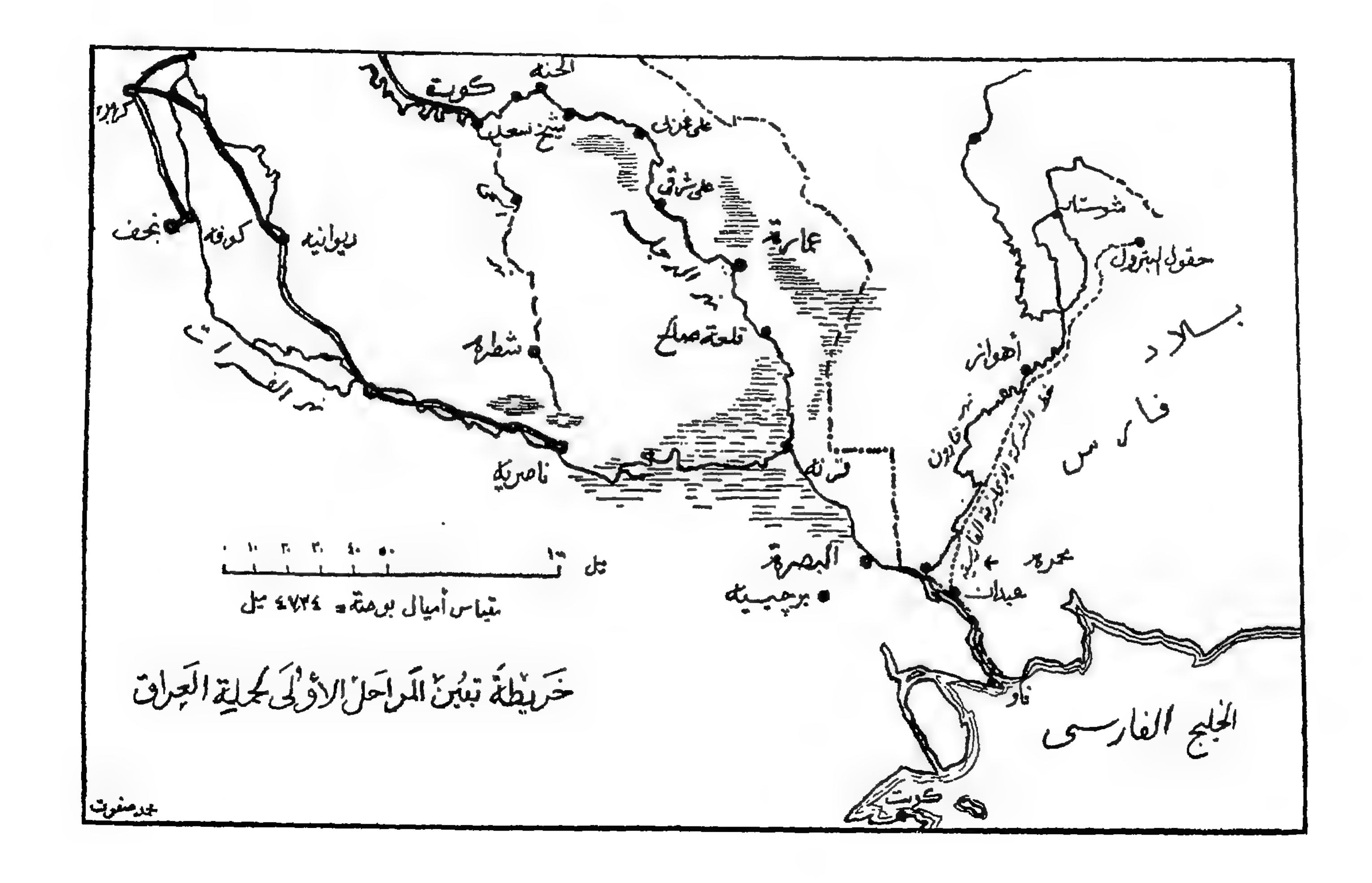
سنة	إنجليز	هنود	المجموع
١٩١٤	١,٠٠٩	٤,١٨٢	٥,١٩١
١٩١٨	٦٤,٨٠٠	١٥٦,٣٥٠	٢٢١,١٥٠

بمقارنة هذه الأرقام التى تدل على عدد القوات التى استخدمت فى حملة العراق يمكن أخذ فكرة تقريبية عن الثمن الذى تكلفته هذه الحملة من الرجال والموارد فى عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ وهنا يتساءل المرء على الفور : هل كان لتأثير هذه الحملة على الحرب بصفة عامة ما يحلل تكبد هذه الخسائر ؟

بدأت حملة العراق كعمليات صغيرة جدا وكان الغرض منها تحقيق سياسة استراتيجية محدودة . ولكنها تحولت إلى مغامرة طائلة لا تقارن بتاتا بالدائرة الضيقة التى كانت مرسومة لها من قبل وتطلبت ضغطا هائلا على قوات الإمبراطورية ومواردها وسببت تعطيلا لسير الحرب فى حين كانت بشكلها الأول مفروضة لتساعد هذه الحرب إذا لم تتعد الحدود المرسومة لها .

وللوصول إلى درجة من الحقيقة فى تفهم أسباب هذا التحول يجب أن نبدأ بعرض الأغراض الحيوية التى كانت ترمى اليها السياسة والاستراتيجية التى سيرت مجرى الحوادث .

لما كان الغرض من كل حملة حربية هو تنفيذ سياسة معلومة ففى عام ١٩١٤ كانت سياسة انجلترا ترمى إلى معاونة فرنسا وقهر ألمانيا وحلفائها . ورأت انجلترا محافظة على هذه السياسة ضرورة تأمين مركزها والمحافظة على مكانتها فى الهند بدون أن تضطر لإرسال قوات إضافية من انجلترا ... ومعنى ذلك منع ألمانيا وتركيا من تهديدها فى الهند ومنع قيامهما بأى عمل سياسى أو حربى فى الشرق الأوسط .


خريطة تبين المراحل الأولى لحملة العراق
نجف
كوفة
ديوانية
نهر الفرات
ناصرية
شطرة
كوت
شيخ سعد
علي غربي
علي شرقي
عمارة
قلعة صالح
قرنة
البصرة
برجسية
عبادان
محمرة
فاو
كويت
الخليج الفارسى
بلاد فارس
أهواز
نهر قارون
شوشتر
حقول البترول
ميل
محمد صفوت

وكانت انجلترا ترمى إلى جعل الهند هادئة و بلاد فارس " إيران " وأفغانستان و بلاد العرب على الحياد ، أو على الأقل غير معادية لها . وأخيرا كانت انجلترا ترمى إلى هزيمة تركيا حربيا حتى يزول الخطر على مواصلاتها للشرق ولتمكن حليفتها الروسيا من حشد قواتها بحرية فى وجه ألمانيا .

ولتنفيذ هذه السياسة فى الشرق الأوسط بدأت انجلترا ثلاث حملات أولاها هجومية وموجهة إلى أهم نقطة حيوية فى تركيا وهى القسطنطينية ، وثانيها دفاعية لحماية قناة السويس ، وثالثها هجومية دفاعية (هجومية سياسيا .. دفاعية استراتيجيا) والغرض منها المحافظة على مكانتها عند رأس الخليج الفارسى ولمنع أى اتحاد أو تعاون بين الاتراك والعرب ... بل كانت حملة العراق أكثر من ذلك سياسية فى الأغراض التى كانت ترمى إليها ، وفى التأثير الذى ترمى للحصول عليه فى الحرب بوجه عام ، فقد كان غرضها الحصول على نتائج سياسية محدودة فى منطقة من الأرض محصورة ، وحماية نقطة ذات أهمية استراتيجية صغيرة ألا وهى حقول البترول الانجليزية الفارسية .

وكانت السياسة الانجليزية فى بادئ الأمر دفاعية فكانت ترمى فى ذلك الوقت إلى المحافظة على مركز سياسى معزز وليس التوصل إلى غزو هذه البلاد حربيا ... ... ولما دخلت تركيا الحرب اشتبكت مع الروسيا عدوتها الوراثية فى قتال حياة أو موت فى القوقاز ... وفى حرب استشهاد فى الدردنيل ... ... وفى مصر كانت ترمى إلى الوصول للغرض الاستراتيجى الهام وهو قنال السويس.

فكان من العبث أن نفرض أن تركيا وهى التى تواجه كل هذه الصعاب ستقوم بإرسال جزء كبير من جيشها للقيام بحملة حربية تبعد آلاف الأميال عن القسطنطينية وليس من ورائها تحقيق لأى غرض .

وفى الواقع لم يكن لتركيا طوال مدة الحرب أكثر من ست فرق فى العراق فى وقت واحد ... ... ستة من اثنتين وخمسين فرقة يحتوى عليها جيشها ... وبذا ترى أن الأمل فى ايقاع هزيمة حاسمة بتركيا بمحاربتها فى العراق كان ضئيلا .

فكانت سياسة بريطانيا فى مرحلتها الأولى معقولة إذ كان الغرض المحدد أمام هذه الحملة سهل تحقيقه . وكان الاستيلاء على البصرة يدخل ضمن قدرتها الحربية أيضا .

ولكن أتت نهاية هذه المرحلة للأسف بكل سرعة وغدت آمال السياسة لا حدود لها وأصبح الغرض من الحملة هو الاستيلاء على بغداد لا لسبب سوى أنها ضرورية لتأمين سلامة الهند .

دعونا اذا نحلل الأسباب التى سببت خوف انجلترا على الهند .

إنه لم يحدث فى أى وقت حتى ولا فى عام ١٩١٦ عند ما تنبأ القائد العام فى الهند بخطر امتداد الحرب شرقا نحو حدود الهند ، أن فرض جديا أن جيشا تركيا ألمانيا يمكنه أن يسير مخترقا القوقاز

عابرا نهر "قزوين" فوق أرض روسية ، أو عن طريق " بغداد — طهران — كابل " لغزو الهند ، لأن كل ما فى الأمر أنه يمكن بعمل سياسى (وليس حربى) وبالقيام بدعاية إسلامية إثارة القبائل واحداث القلاقل ، وهذا هو الخطر الحقيقى على الهند .

وقد قيل إنه باحتلال بغداد يمكن إيقاف تدفق الدعاية وإعلاء مكانة انجلترا الى درجة لا يؤثر فيها الأتراك ولا العرب أو الفرس أو الأفغان ، ولما كان تحقيق ذلك صعب المنال إذا استند على الخيال وجب ايجاد وسيلة عملية تجعل ذلك حقيقة واضحة ... ومجرد وجود سياسة لا ترتكز على القوة يجعلها سياسة خرقاء لا قيمة لها .

وقد ولى الزمن الذى كان يمكن التأثير فيه على الرجل الشرقى البسيط بتهديدات جوفاء ، فما دامت ولاية البصرة محتلة بقوة حربية كافية ستبقى مكانة انجلترا غير مهددة محليا . . . ومن ذلك ترى أن المرحلة الأولى من سياسة واستراتيجية انجلترا كانت معقولة سليمة إذ كانت ترمى الى تحقيق نتائج واضحة محدودة بعملية حربية محدودة أيضا ، ولا تعجز الهند عن التكفل بها ، ولكن فى عام ١٩١٥ عند ما شطت السياسة شططا بعيدا عن قدرتها الاستراتيجية بدأت مكانة انجلترا تتلاشى .

أما المرحلة الثانية للسياسة البريطانية وهى التقدم إلى بغداد فكانت غير منطقية إذ كان المطلوب تحقيق نتائج لا ترمى إلى أغراض سياسية أو حربية ولا تأثير لها بالمرة على سير الحرب بوجه عام . وكانت تتطلب الكثير من الموارد التى تخرج عن قدرة الهند . . . . هذه الموارد التى سببت ضغطا كبيرا على الامبراطورية .

وفى النهاية انتهت هذه المرحلة بنجاح تام واحتلت العراق بجيش انجليزى وأدار دفة شؤونها ضباط سياسيون وقامت فرق العمال بمجهودات هائلة فى عمل السكك الحديدية والطرق والكشكات .

وهكذا بعد ستة قرون خلت ، اهتزت بلاد النهرين مرة ثانية ونبت فيها القمح وخلقت المملكة خلقا جديدا . . . ولكن بأى ثمن ؟

فلو كان احتلال بغداد والموصل ضروريا لسلامة الهند فقد قاست الهند الكثير فى سبيل ذلك وعلى فرض أن سلامة الهند كانت كل ما ترمى إليه سياسة انجلترا فى الشرق الأوسط . . . وبفرض أن حماية حقول البترول والأرض التى عند رأس الخليج الفارسى كانا ضرورة لازمة للسياسة والاستراتيجية معا ، أما كان الأصوب للسياسة والاستراتيجية أن يقنعا بوصول القوات الانجليزية فى العراق إلى الخط المار (بأهواز — عمارة — ناصرية) وليس أبعد من ذلك . . . . . . فإنه كان يمكن احتلال ولاية البصرة إلى هذا الخط وطرد الأتراك بعيدا عن طرق الاقتراب اليها بواسطة نهر الفرات والدجلة بقوة لا تزيد عن فرقتين ولواء من الفرسان ومعهما عدد نسبى من العربات المدرعة والطائرات .

والى هنا كان يمكن تحسين خطوط المواصلات . وتنظيم الدفاعات و إنشاء محلات لإيواء الجنود وذلك بالأرواح والأموال والموارد التى ذهبت كلها عند التقدم شمال نهر الدجلة .

وباحتلال دلتا شط العرب احتلالا قويا و بسد جميع المسالك الموجودة التى يمكن العدو أن يهاجم منها و بعمل ترتيبات لإعطاء تحذيرات كافية عن قدومه لو حصل ذلك لتمكنت هذه القوة من مواجهة أى هجوم يقوم به الأتراك . ومؤاخذة العرب عند قيامهم بأى حركات ثورية .

وفوق ذلك كان قيام تركيا بهجوم خطير ضد البصرة بعيد الاحتمال كما ذكر وذلك لنفس الأسباب التى جعلت تحرك الجنرال " نيكسون " مندفعا شمال النهر تسبب عنه خسائر جسيمة . ولما أصر فى اندفاعه كانت نتيجة عمله لا قيمة لها .

وأخيرا إذا اضطرت الظروف لإرسال إمدادات الى العراق فيمكن إرسال قوات معدة من قبل لهذا الغرض من الهند وترسل الى البصرة على عجل حيث يمكن انزالهم تحت حماية القوات الساترة الموجودة عند خط الأهواز والعمارة .

والى هنا آن لنا أن نتساءل هل انتجت خطتهم هذا التأثير المطلوب لمنع وصول الدعاية للهند بفرض أن بغداد مركزا لبث الدعاية المعادية ؟

وعلى فرض أن هناك خوفا من امتداد نشاط الأعداء للهند سواء بواسطة إرسال قوات لمهاجمتها أو لبث الدعاية ضدها . ألم يكن من الأنسب إيقاف ذلك بتحسين الأحوال الحربية والمواصلات الاستراتيجية فى الهند نفسها ؟

وهل كان هناك سبب معقول يخشى الانجليز من أجله الدعاية التركية ضدهم فى الهند وهم الذين يفاخرون بتقاليد حكمهم فيها و بمعرفتهم بأحوال الشرق ؟

وهل لم تكن محافظتهم على مركزهم فى الهند باستعدادات حربية معقولة و بواسطة صرف الذهب قادرة بعد ذلك على إيقاف كل دعاية .

لقد كان فى الإمكان شراء تركيا أو نصف آسيا بالثمن الذى دفعوه للوصول إلى بغداد . . . تلك التى لم يمكن تجهيز قوة مؤثرة للاستيلاء عليها قبل ديسمبر سنة ١٩١٦ . فلو كان فى الامكان صرف هذا الوقت ونصف التكاليف التى صرفت فى الهند لأصبحت الهند من " بيشاور " إلى " مدراس " تنطق بعظمة انجلترا . . . بينما لم يؤثر فيها الاستيلاء على بغداد أى تأثير .

وكان المنتظر أنه بصرف هذه النقود والموارد الكثيرة تمكن انجلترا من حل مشكلة الحدود الشمالية الغربية الأبدية حلا موفقا أحسن من ذى قبل . ومحت شبح امتداد الحرب إلى الهند إلى الأبد .

أما وقد انتهينا من تفنيد الغرض الأول من السياسة الانجليزية فى الشرق الأوسط فلنتكلم عن الغرض الثانى منها وهو الذى كان يرمى إلى هزم تركيا هزيمة كاملة .

لم تؤثر حملة العراق فى ذلك إلا قليلا اللهم إلا إذا كانت تركيا من الحماقة بحيث تنقل جميع مواردها وقواتها من الميادين الحيوية إلى ميدان ثانوى فى القتال وهو العراق . . . وسترى أن تركيا لم تهزم بتاتا فى العراق . ولو أنه أمكن التغلب على بعض قواتها البسيطة .

وقد أمكن تقدير هذه الحقائق حق قدرها من بادئ الأمر (بيد أنه لم يلتفت إليها بعد ذلك) وحاول الانجليز البحث عن ميدان آخر لتحقيق ذلك . وقد هاجمت تركيا الروسيا فى القوقاز بينما اتخذت بريطانيا وسائل دفاعية فى العراق وفى مصر . وذلك فى الوقت الذى بدأت انجلترا بتوجيه ضربة فى الدردنيل فى النقطة الحيوية ... ولكنها فشلت ، إذ أن الأتراك كانوا مستعدين لدرءها أكثر من استعداد الانجليز لتوجيهها . وكانت نتيجة هذا الفشل أن انتقل مركز الهجوم الى الدجلة وفلسطين .

على أنه كانت هناك نقط هامة لم تكن تركيا منتبهة إليها فى عام ١٩١٤ وتلك هى الاسكندرونة ميناء حلب . فقد كانت حلب مركزا للمواصلات (بالطرق فى بادئ الأمر ثم بالسكة الحديدية بعد ذلك) بين القسطنطينية ومختلف ميادين القتال ولم يكن للاتراك عند بدء الحرب قوة كبيرة هناك ولا يمكنهم حشد أى قوة بسرعة إذ أن النفق الذى يخترق جبال توروس والموصل لسكة حديد القسطنطينية لم يتم انشاؤه بعد . . . فكانت فكرة إنزال قوة عند خليج الاسكندرونة بعملية واحدة تشترك فيها البحرية والجيش لم تصادفها أى صعوبات بل الحقيقة أن كلا من وزارة الحرب والقيادة العامة فى مصر عدتها عملا ضروريا ممكن التنفيذ .

ولكن كانت خطة إنزال القوات فى شبه جزيرة "غاليبولى" على وشك التنفيذ ولذلك تلاشت فكرة إنزال ضربة عند حلب وعادت ثانية فى عام ١٩١٦ عندما اتضح أن الأتراك محتمل قيامهم بهجوم على مصر ... وعند ذلك ضاعت الفرصة لأن الأتراك تيقظوا فأتموا النفق الذى يخترق جبال توروس و بدأت السكة الحديدية فى سيرها وظهرت الغواصات المعادية فى البحر الأبيض المتوسط . و بذلك لم يعد تنفيذ هذه الخطة فى الإمكان .

فلو أن انجلترا تمكنت من حشد جهودها لاتزال قوة عند خليج الاسكندرونة عند ما بدأت مناقشة الفكرة لكانت نجحت فى الحصول على تأثير كبير على خطط الحرب التركية — الألمانية فى الشرق الأوسط أكثر من نجاحها فى محاولتها قهر الدردنيل ولكانت المشكلة التى واجهتها فى العراق قد حلت .

تعتبر الانتقادات القاسية عادة سهلة ، وخاصة اذا ظهرت على ضوء الحوادث التالية ، ولكن القصد من الانتقادات السابقة هو الافادة منها ويمكن تلخيص النقط الهامة فيما يلى :

كان يجب أن تبقى السياسة الإنجليزية فى العراق دفاعية تماما وأن تقنع بالحصول على أغراضها الأساسية وتقويها بعد ذلك .

فطبقا لهذه السياسة قد تتمكن الاستراتيجية من قصر مدى الحرب على انشاء وتقوية مركز حربى كاف لاسترداد شط العرب وحقول البترول الانكليزية الفارسية أعنى جميع الأراضى التى يحدها الخط المار بالأهواز — العمارة — الناصرية (انظر الخريطة المرفقة) وبهذا التحديد بين السياسة والاستراتيجية كان يمكن توفير التبذير الهائل فى الرجال والموارد والمواصلات البحرية اللازمة وذلك فى الوقت الذى لن يتأثر فيه مركزهم وأغراضهم فى الشرق الأوسط .

و إذا نظرنا للحرب نظرة عامة فقد يكون للاقتصاد الذى كان يحدث نتيجة ذلك التحديد فيه تقوية لمركز انجلترا السياسى والاستراتيجى فى الهند لدرجة لا يخشى بعدها من أى تهديد خارجى . . . كما أنه سيوقف ابعاد الموارد الطائلة عن الميدان الأساسى للحرب .

الدروس المستفادة :

ومن دراسة هذه الحملة تظهر بعض دروس قيمة يجب الاستفادة منها وأولها هو التضامن الكلى بين السياسة والاستراتيجية فالسياسة تملى ارادتها والاستراتيجية تنفذ هذه الارادة ان أمكنها ذلك والمهم هو أن الاثنتين تتوقف احداهما على الأخرى ، فاذا لم تتمكن الاستراتيجية من تنفيذ سياسة ما بأمان فالواجب اذا على السياسة اذا كانت تعتمد على القوة أن تتبدل وتتغير .

ففى هذه الحملة قالت السياسة " نريد بغداد " فهنا تقول الاسترتيجية اذا كان الذهاب الى بغدادا ممكنا أو ليس ممكنا من الوجهة الحربية .

ففى أول مراحل الحرب أى لغاية الاستيلاء على البصرة وتقويتها كانت السياسة والاستراتيجية متفقتين . ولكن عند ما طلب التقدم الى بغداد قالت الاستراتيجية فى البداية " لا " ثم اضطرت بغير تعقل أن تخضع لارادة السياسة و بذلك حلت المصائب الكثيرة .

وفى عام ١٩١٦ بعد سقوط " الكويت " قالت السياسة " أبقوا فى المواقع الأمامية " ولكن الاستراتيجية قالت على لسان رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية العام وهو المستشار الحربى المسئول للامبراطورية "من الوجهة الحربية يعتبر "الانسحاب هو العمل الصواب " .

وحتى من الوجهة السياسية يعتبر الانسحاب أفضل من الاستمرار فى محاولة السير فى سياسة تتطلب منتهى الصعاب ، ولا تثمر فى الأكثر إلا نتيجة حقيرة لا تقارن بالثمن الفادح الذى اضطروا لدفعه .

و بالرغم من ذلك نفذت السياسة إرادتها وكانت احدى الصعوبات العظيمة التى تربك العلاقات بين الاثنين هى أن سياسية الامبراطورية تقوم بها الوزارة وهى هيئة غير حربية بضرورة الحال ... فى الوقت الذى تعتبر الاستشارة الفنية عن الاستراتيجية الامبراطورية مسئولا عنها المستشارون البحريون والحربيون والجويون وهؤلاء عادة ما يكونون أقلية عند ما يجتمعون فى أية لجنة لأنها أيضا ستكون أغلبيتها أعضاء مدنيون .

وفى حملة العراق خاصة زادت صعوبة أخرى وهى أنه فى بادئ الأمر كانت سياسة الوزارة القائمة فى انجلترا تملى على مستشار حكومة الهند ومنه الى نائب الملك فى الهند الذى عليه أن يصدر أوامره تبعا لذلك بواسطة رئيس أركان حرب القوات فى الهند وقائد القوات الموجود فى الميدان ... مستقل فى كل ذلك تمام الاستقلال عن رئيس هيئة أركان الحرب الامبراطورى الذى تعتبر أول واجباته توحيد عمل القوات الامبراطورية فى مختلف ميادين القتال و إيجاد التعاون بينها جميعا .

وكان عدم وجود هذا التعاون فى بدء الحرب هو السبب الذى من أجله حدث التوسع غير المناسب فى العمليات الصغرى على حساب الميدان الأساسى للقتال " الغربى " .

وثانى الدروس المستفادة هو ضرورة توقف كل من الاستراتيجية والتكتيكات والشؤون الإدارية كل منها على الأخرى .

ولقد برهنت حملة العراق على هذه الحقيقة أكثر من أى حرب أخرى ... فطالما كانت الاستراتيجية قادرة بسهولة على سد حاجيات الجيش (اثناء المرحلة الدفاعية الأولى) ، كان الموقف العام مقبولا ، ولكن عند ما فشلت الشؤون الإدارية فى تتبع خطوات الاستراتيجية الشرهة ... حلت المصائب لأنه لم يمكن تجمع القوات فى الميدان فى الوقت والمكان المناسبين ... وضاعت قيمة مبدأ خفة الحركة والقدرة على المفاجأة ولم يمكن المحافظة على متابعة التحرك للأمام .

وكانت هناك مشكلة إدارية أخرى تحتاج إلى تفكير وتبصر دائمين وهى المحافظة على الروح المعنوية بين الجنود ... فكان الجو رديئا والراحة غير متوفرة تبعا لذلك وكانت الإجازات القصيرة معدومة والإجازات الطويلة قليلة جدا ... وهناك أوقات كثيرة كانت الأطعمة فيها غير كافية ... والترتيبات الطبية غير منتظمة ... والإجازات للهند سببت شوقا كثيرا ... والرياضة والترويح عن النفس نادران جدا ... وأعمال البريد فى غاية الارتباك .

وأخيرا كانت العساكر الانجليزية الآتية من المدن المتحضرة والعساكر الهندية الآتية من القرى الهندية جميعهم يقاسون الكثير من الشعور بالوحدة الناتج عن وجودهم فى الصحراء التى ليس لها نهاية .

وخلاصة القول كان العمل على رفع الروح المعنوية إزاء كل هذه العوامل مجتمعة أحد الصعوبات العظيمة أمام الهيئة الإدارية .

هذه بعض الدروس القليلة التى تستحق دراسة حملة العراق من أجلها ، فقد كانت عملياتها والصعوبات التى قامت أمامها من الأمور التى يجوز مواجهتها ثانية فى أى حرب وفى أى لحظة ... فلو لم تدرس هذه الصعوبات ، ولو لم يعمل على تلافيها قبل وقوعها وليس بعد ذلك ، ولو لم تقدر الأشياء الضرورية لمقابلة المشاكل قبل البدء فى حلها .

لا شك أن الأخطاء التى حدثت بين عامى ١٩١٤ — ١٩١٨ ستكرر مرة أخرى .

وكان يمكن اعتبار حملة العراق قبل الحرب العظمى أنها عملية كبيرة متشعبة ... إذ أن عدد الأشخاص الذين اشتركوا فيها أكثر بكثير من العدد الذى اشترك فى الحملة الانجليزية فى فرنسا نفسها... ولكنها لم تكن فى معمعة النضال العالمى إلا قطرة من محيط أو إحدى المناظر التكميلية البسيطة فى رواية تمثيلية . .

ولكن بالرغم من كل ذلك ... بالرغم من الأخطاء التى ارتكبها كل من الرجل المدنى والعسكرى سواء بسواء .

بالرغم من الأهوال والفظائع أمام ستيسفون والبؤس الذى قاساه الجرحى أمام الجنة ... وبالرغم من الحرارة القاسية والأمراض ... والوحدة فى قلب الصحراء الجوفاء .

وبالرغم من السبعة والتسعين ألفا الذين سقطوا صرعى ثمنا لهذه الحملة فليطمئن الجنود الذين قاتلوا فى العراق ...

فقد أضافوا صفحة مجد خالدة . . فى تاريخ الجيش الامبراطورى .

يوزباشى محمد صفوت

الكلية الحربية الملكية

كوبرى القبة فى أول مارس سنة ١٩٣٩

البحرية البريطانية

تكلمنا فى العدد السابق عن البحرية البريطانية فأبنا أن سفن الملك الخاصة هى المنشأ الحقيق للبحرية البريطانية الحديثة ، وأن موظفى وزارتها الحاليين من سلالة أولئك الرجال الذين استخدمهم الملك فى القرن الثالث عشر و إتماما لهذا البحث نقول :

كانت القيادة فى أيام الحرب يعقد لواءها على مندوبى الملك الذين لم يكونوا مكلفين بحكم وظائفهم أن يكونوا ممن تربوا خصيصا لخدمة البحار بل ولا ينتخبون دائما من غير رجال الكنيسة.

فقد كان أسطول الملك " رتشارد قلب الأسد " سنة ١١٨٩ — ١١٩٩ الذى أعده للحرب الصليبية التى وقعت فى سنة ١١٩٠ مكونا من سفن بعضها انجليزية وبعضها من سفن ممتلكاته فى قارة أوروبا .

وكانت تتولى قيادته هيئة مؤلفة من عدة أشخاص منهم اثنان من رجال الاكليروس كانوا يطلقون عليها لقب " الرؤساء الروحانيون والادار يون لعموم الأساطيل الملوكية "

(Ductores et gubernatores totius navigii Regis.)

أما قادة العمارات البحرية التى يتكوّن منها الأسطول فكانوا يسمونهم

(Justiciarii nevigii Regis, ductores et constabularii Regis.)

ومما لا شبهة فيه أن لقب " أميرال " (١) عرفه الانجليز لأول مرة فى هذه الحرب الصليبية على أنهم لم يستعملوه علما على الوظيفة إلا بعد انقضاء زمن طويل من ذلك العهد فكانوا يشركونه مع لقب " قبطان " فيقولون " أميرال وقبطان " ثم أسقطوا لفظة قبطان فيما بعد فصار لقب " أميرال " عندهم يطلق على من يقود عمارة بحرية من أسطول أى قسم منه .

وفى سنة ١٣٦٠ عينوا السير " جون بيشامب " أميرالا عاما للأسطول الانكليزى لمدة سنة ، على أن أول من تولى لقب " لورد أميرال " وأصبحت وظيفته مستديمة عندهم هو " جون بوفورت " ابن غير شرعى لـ " جون " " أمير " غونت " وماركيز " سومرست و دورست " وكان ذلك فى سنة ١٤٠٦ وكان رجال السفن فى ذلك الوقت صنفين كما هى الحال فى كل بحرية من بحريات العالم و إن اختلفت نسبتهما العددية فى بحرية وأخرى هما : نوتية الملاحة والجنود المخصصة للقتال .

(١) لما التقت أساطيل الفرنج بأساطيل العرب فى البحر الأبيض المتوسط فى القرن الثانى عشر الميلادى خلال الحرب الصليبية اقتبس الفرنج هذا اللقب من العرب وكان " أمير البحر " فأسقطوا منه لفظة بحر .

وقد كان النوتية فى أوائل عهد الملاحة الانكليزية قليلى العدد وفى منزلة ثانوية ، وذلك قبل أن تتطور السفن عندهم فى أشكالها و بنائها حتى استطاعت أن تمخر عباب الأوقيانوس ، كما كان جل اعتمادهم فى تسييرها على الشراع لملاءمتها لطبيعة بحارهم التى لم تسمح باستخدام السفن الطويلة ذات المجاذيف ، خلافا لما كان عليه الفرنساويون فإن الذى يلائم بحارهم إنما هو نوع من السفن الطويلة التى تسير بالمجاذيف فهى القوة المحركة الرئيسية لتلك السفن .

نعم إن الانجليز استعملوا المجذاف فى سفنهم فى تلك الأيام ولكنه لم يكن المحرك الرئيسى لها ، ولذا فما كانوا فى حاجة إلى صفوف المجذفين التى كانت تستخدمها سفن البحر الأبيض المتوسط أما رجال تلك السفن فكان بعضهم ينخرط فى سلك البحرية متطوعا ، و بعضهم يؤخذ لها أخذا بطريق الجبر والإلزام .

وكان قانون بحريتهم العام قانون " أليرون " (١) الحاوى للمبادئ والمواد التى كانت تسمى " عادات البحار " ، وفى عهد الملك " ادوارد " الثالث سنة ١٣٢٧ — ١٣٧٧ وضعوا بيان واجبات الأميرال وحدود سلطته فكان منها مراجعة البيانات اليومية والموقوتة " اليوميات " التى يقدمها رؤساء البحارة ، وانتخاب هؤلاء الرؤساء وتعيين الضباط واعطائهم براءات الخدمة "عرائض" من لدنه وفى ذلك الحين كانت توجد فى البحرية طريقة بسيطة للتخابر بالرايات والأضواء .

وفى تاريخ القرون الوسطى ما يستدل منه على أن البحرية البريطانية كانت على جانب عظيم من النشاط والكفاءة ، على أنه بالرغم من ذلك كان الاضمحلال الكلى يتطرق إليها من آن لآخر . فمثلا فى أواخر أيام حكم الملك " ادوارد " الثالث وفى مدة حكم حفيده " ريشارد " الثانى (سنة١١٧٧ — ١٣٩٦) بلغ منها الضعف مبلغا شجع الفرنساويون وحلفاءهم بحارة " الباسك " (من أهالى أسبانيا الذين كانوا فى خدمة بحرية " قستيلة ") على السطو على السواحل الانكليزية والعيث فيها نهبا وسلبا . وهكذا كانت حالتها مدة حكم الضعفاء من ملوكهم ، ومع ما اتصف به الملك " هنرى" الرابع (سنة ١٣٩٩ — ١٤١٣) من اليقظة والنشاط اضطرته الظروف لأن يتعاقد مع التجار والبحارة وأصحاب السفن على أن يأخذوا على عاتقهم حماية السواحل الانكليزية من سنة ١٤٠٦ إلى سنة ١٤٠٧ فعين هؤلاء من أمرائهم البحريين كلا من "رشارد كلترو" و "نيقولا بلاكبورن" فتوليا القيادة ، ولكنها جاءت تجربة خائبة فلم يجدد العقد .

---

(١) Oléron جزيرة واقعة أمام شاطىء فرنسا الغربى وينسب الى اسمها ذلك القانون البحرى العام الذى كان متبعا فى القرون الوسطى .

بيد أنه بالرغم من تلك الحالة السيئة كانت البحرية الانجليزية بعناصرها المختلفة من سفن عهد الإقطاعات والبحريتين القومية والملوكية، تربو كفاءة على أعدائها بدليل ماقامت به من الأعمال، فقد أبادت الأسطول الذى جهزه " فيليب أغسطس " ملك فرنسا لغزو بلاد الانجليز فى سنة ١٢١٣ فى " دام " (ميناء قديم فى بلاد البلجيك) وهزمت أسطول " أوصطس " الراهب أمام " دوفر " فى سنة ١٢١٧ ، وانتصرت على الأسطول الفرنسى فى " سلوس " أو " اكلوس " بلجيكا فى سنة ١٣٤٠ ، وهزمت الاسبانيين أمام ساحل " ونشلسى " (بلاد الانجليز) فى سنة ١٣٥٠ ، فكل هذه الانتصارات لم يقابلها شىء مثلها أو قريب منها من أعداء بريطانيا ، وهناك ما يعتبر دليلا على تفوق البحرية البريطانية على غيرها وقيامها بما التى على عاتقها من المهام خير قيام، من ذلك تملكها ميناء " كاليه " زمنا طويلا ، ومنه ما أصابه ملوك الانجليز من النجاح والفوز كلما أرادوا غزو البلاد الفرنساوية .

ولقد زعموا أن الملك " جون " تملك البحار ولكن ليس هناك أدلة تؤيد زعم امتلاك البحار إلا فى عصر الملك " أدوارد " الثالث .

أما على عهد ملوك عائلة " تودور " أى من سنة ١٤٨٥ إلى سنة ١٦٠٣ فقد كان رقى البحرية البريطانية مطردا ، ومع أن الملك " هنرى " السابع الذى حكم من سنة ١٤٨٥ إلى سنة ١٥٠٩ لم يستخدم أسطوله فى الحروب إلا قليلا فانه بنى سفنا .

أما ابنه هنرى الثامن فقد اعتنى بالبحرية اعتناءا عظيما فرقى صناعة السفن بأن استجلب عمالا إيطاليين .

والذى أمكنه من إتيان مالم يستطعه سلفاؤه من هذا القبيل هو ماحصل عليه من أسلاب الكنيسة التى كانت موردا يصرف منه على البحرية لم يكن متيسرا لمن سبقه من الملوك ولا لمن أعقبه منهم ، فان هؤلاء وأولئك لم يكن لديهم ماينفقون منه على البحرية سوى مايقرّه البرلمان .

على أن أهم خدمة حيوية أداها الملك " هنرى " الثامن للبحرية هى تنظيم وظائفها المختلفة ووضعها على أساس ثابت .

وقد اتبع هذا النظام فى آخر أيام حكمه فشكلت لجنة (الهيئة الادارية) البحرية بأمر ملكى صدر فى ٢٤ أبريل سنة ١٥٤٦ ، فهذا المرسوم الملكى قضى بتعيين رئيس عام للبحرية وصراف عام لها، ثم مراقب عام وكاتب عام ، واثنين من الموظفين بغير لقب خاص ، ثم عين رئيسا عاما للأسلحة .

وقد بقيت هذه الهيئة الإدارية منذ عهد الملك " هنرى " الثامن ولم تنقطع عن أعمالها إلا فترات قليلة تخللت مدة وجودها ثم زيدت عليها فروع أخرى فى آونة مختلفة، منها فرع التموين، وفرع النقل، وفرع الشؤون المالية كالمرتبات وغيرها، فاندمجت كل هذه الأفرع فى الآلة الإدارية للبحرية وبقيت كذلك إلى سنة ١٨٣٢، وكانت كلها تخضع نظريا لسلطة الأميرال الأكبر أى " اللورد الأميرال السامى " مباشرة أو للهيئة التى تقوم مقامه، وهى الأمينة على مراقبة البحرية من الوجهتين الحربية والسياسية ومن سلطتها اصدار براءات الضباط .

أما عمليا فكانت تلك الأفرع مستقلة كل الاستقلال، على أن هذا النظام — نظام الحكومة المزدوجة — كان سببا فى الإسراف والتبذير بدرجة كبيرة لأنه أوجد وظائف لا لزوم لها من جهة وفتح باب الفساد على مصراعيه من جهة أخرى .

أما فى القرن السادس عشر فقد ارتقت السفن رقيا عظيما فى أحجامها وحمولتها فى كافة أنحاء العالم، أدت إليه الأسفار الطويلة وما لازمها من الالمام بعلمى الملاحة، وتسيير السفن . فكانت دراسة هذين العلمين باعثة على ظهور طائفة البحارة بمظهر غير الذى كان لهم من قبل، وبروزهم الى الأمام بعد أن كانوا فى منزلة ثانوية، ففى مدة حكم الملك " هنرى " الثامن مثلا لما انتدبت عمارة بحرية للخدمة فى سنة ١٥١٢ كان عدد رجالها يبلغ ٣٠٠٠ منهم ١٧٥٠ جنديا والباقى من النوتية وفى آخر حكم ابنته الملكة " اليصابات " (التى حكمت من سنة ١٥٥٨ إلى سنة ١٦٠٣) كان مرتب أسطولها من الرجال ٨٣٤٦ منهم ٥٥٣٤ نوتيا، و ٨٠٤ من رجال المدفعية، ولم يزد عدد الجنود الأخرى عن ٢٠٠٨ جندى وقد جهز الملك " هنرى " الثامن فى أوائل حكمه عماراته البحرية على نسق يشبه النظام الآتينى بعض الشبه من حيث قيادة السفن .

فعقد عهدا مع أميراله السير " ادوارد هوارد " (المولود سنة ١٤٧٧ المتوفى سنة ١٥١٣) يقضى بأن يقدم الملك السفن والمدافع ومبلغا معينا من المال، ويقوم الأميرال بتعيين الضباط وما يلزم السفن من الرجال، ثم خوله سلطة تجنيد الرجال جبرا . فكانت تأتيه الأفواج التى تبعثها مدن مخصوصة تمثل الموانىء البحرية .

وقد كان يصرف للواحد منهم مرتبا شهريا مقداره خمسة شلنات أجر خدمته وخمسة أخرى لغذائه، أما القبطان فكان يصرف له شلنا ونصف شلن مرتبا يوميا، ذلك فضلا عن مبالغ أخرى يسمونها " الأنصبة الميتة " وهى عبارة عن مرتبات لأشخاص وهميين لا وجود لهم يضاف اليها ما يصرف على قبول المكافأة، فكانت تصرف لرئيس النوتية وصغار الضباط .

على أنه لم يوضع سجل يوثق به تستبين منه قوة البحرية الحقيقية إلا فى سنة ١٧٧٣ حينما تقرر تحرير البيانات الرسمية الوثيقة مثل (البيان الأسبوعى لسير المصانع البحرية) و (الاحصاءات الشهرية للسفن التى تستولى على استحقاقات خدمة البحر) ولذا فلابد من التحفظ عند مطالعة

الأرقام . وقد قدرت بحرية الملك "هنرى" بثلاث وخمسين سفينة حمولتها ١١٢٦٨ طنا ، تحمل ٢٣٧ مدفعا من النحاس و ١٨٤٨ مدفعا من الحديد وهذه البحرية غرقت فى خلال الاضطرابات التى حدثت فى أيام حكم خلفيه : "ادوارد" السادس (وهو الذى حكم من سنة ١٥٤٧ إلى سنة ١٥٥٣ و"مارى" التى حكمت من سنة ١٥٥٣ إلى سنة ١٥٥٨) فلما تولت الملكة " اليصابات " أعادت البحرية . ولكن سفنها كانت أقل عددا من سفن بحرية والدها إذ بلغ عدد سفن بحريتها اثنتين وأربعين سفينة حمولتها ١٧٠٥٥ طنا فكانت سفنها أكبر حجما فى متوسطها من تلك .

ولقد قام أسطول هذه الملكة العظيمة بخدمات حربية جليلة الشأن . واستمر إعداد الأساطيل فيما بعد باضافة السفن التابعة للموانئ المختلفة الى الأسطول الرئيسى دون حصول أى تغيير جوهرى . وأهم ما أدخل على البحرية من التجدد والرقى فى ذلك العهد أمران : أولهما فى سنة ١٥٨٢ وهو عبارة عن وضع نظام للأجور يتمشى مع درجات أربابها ورقيهم . والثانى ايجاد مورد مالى لاعانة المرضى والجرحى من رجال البحر. وهذا المورد ليس منحة أو هبة من الدولة بل مال اشترك فى جمعه كل رجل كان يخدم فى البحرية حتى صانعى السفن أنفسهم بأن تنازل كل عن جزء يسير من أجره الشهرى . فكان ذلك المال بمثابة مصرف تأمينى يستفيد منه الجميع . فوضعوه فى خزانة فى "تشاذام" سميت باسمها وكانت تشرف عليه لجنة مكونة من خمسة أشخاص يحمل كل منهم مفتاحا للخزانة . وكان المشتركون ينتخبون أعضاء اللجنة الأربعة ثم يرأسها متصرف الترسانة .

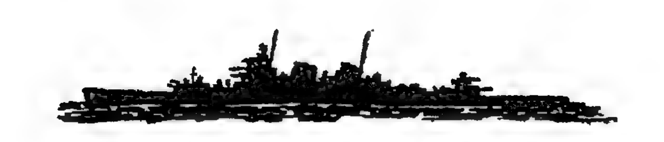
على أن البحرية البريطانية لم تصبح قوة قومية بالمعنى الصحيح ، يصرف عليها مما يقرره البرلمان من إيرادات الدولة وتقوم بمهامها من غير حاجة الى معاونة السفن التجارية المأخوذة جبرا إلا فى الفترة التى بين بدء حكم بيت "ستيوارت" وزوال ذلك البيت أى من سنة ١٦٠٣ الى ١٦٨٨

فقد كان لحكم الملك "جيمس" الأول (١٦٠٣ — ١٦٢٥) تأثير فى تاريخ البحرية على جانب عظيم من الأهمية . ذلك أنه بالرغم من أن سياسته كانت سياسة سلم لدرجة أنه لم يرسل أسطولا قويا الى خارج البلاد الا فى تجريدة سنة ١٦٢٠ التى أرسلها لمحاربة قرصان البربر فانه بذل عناية تستحق الذكر فى بناء السفن. وعاون كبير صانعى سفنه ، "فينيس بت Phineas Pett" على منافسيه الذين كانوا يحقدون عليه بسبب معارضته لهم فى طرائقهم الصناعية .

فلما جاءت إدارة اللورد " نوتنجهام Nottingham" اللورد الأميرال السامى الشهير باسم لورد هاوارد — أوف — أفنجهام ، تلك الادارة التى اتصفت بالتراخى والإهمال ، تسرب الفساد بكل أنواعه الى البحرية البريطانية فانحطت منزلتها الى الحضيض الأسفل فى سنة ١٦١٨ بالرغم من أن ما كان يصرف عليها فى ذلك الحين من المال كان أكثر مما كان يصرف عليها فى عهد الملكة .

ففى سنة ١٦١٩ أوعز الى اللورد المسن بأن يستقيل من منصبه فاخلفه فيه " جورج فيير (George Villiers) "دوق بكنجهام وكان محسوب الملك . وقد كانت استقالة نوتنجهام إلزامية بناء على تقرير لجنة عقدت للبحث فى شؤون البحرية والوقوف على دقائقها . فذكرت فى قرارها أن وظائف جديدة قد أحدثت بلغ ما أنفق عليها ثلاثة أضعاف نفقات كل الوظائف التى كانت على عهد الملكة " اليصابات " . فى حين أن المرافئ البحرية قد أصبحت بؤر فساد ومراكز للنشل والسرقة وحل البوار والتلف بالسفن كل ذلك بالرغم من المبالغ التى كانت تصرف سنويا باسم سفن زالت وأصبحت لا أثر لها وهذه اللجنة تعهدت بسداد كل النفقات اللازمة للبحرية بما فيها الإنشاءات الحديثة وأعمال التعمير والإصلاح بمبلغ ٣٠ ألف جنيه انكليزى سنويا .

أما السفن المكلفه بالخدمة فى زمن السلم فى ذلك الحين فكانت قاصرة على سفن الحرس الصغيرة الصيفية والشتوية التى كانت مهمتها نقل السفراء من أحد شاطئ القنال الى الآخر والترصد للقرصان الذين كانوا يحومون حول السواحل . فسلم بكنجهام ادارة البحرية الى اللجنة فقامت بما تعهدت به خير قيام وأعادت البحرية الى حالتها الأصلية فى سنة ١٦٢٤ بعد أن استبعدت الضباط الذين لا لزوم لهم وأخرجتهم من الخدمة وزادت أجور الباقين ثم اقترحت نقاص عدد السفن الى ثلاثين قطعة أكبر حمولة فى مجموعها من حمولة بحرية الملكه " اليصابات " بمقدار ٣٠٥٠ طنا .



القسم الأوسط من الصحراء الشمالية الغربية

(١) هضبة ليبيا (٢) الجرف الكبير (٣) منخفض القطارة

بقلم الصاغ رفعت الجوهرى مأمور قسم مطروح والضبعة

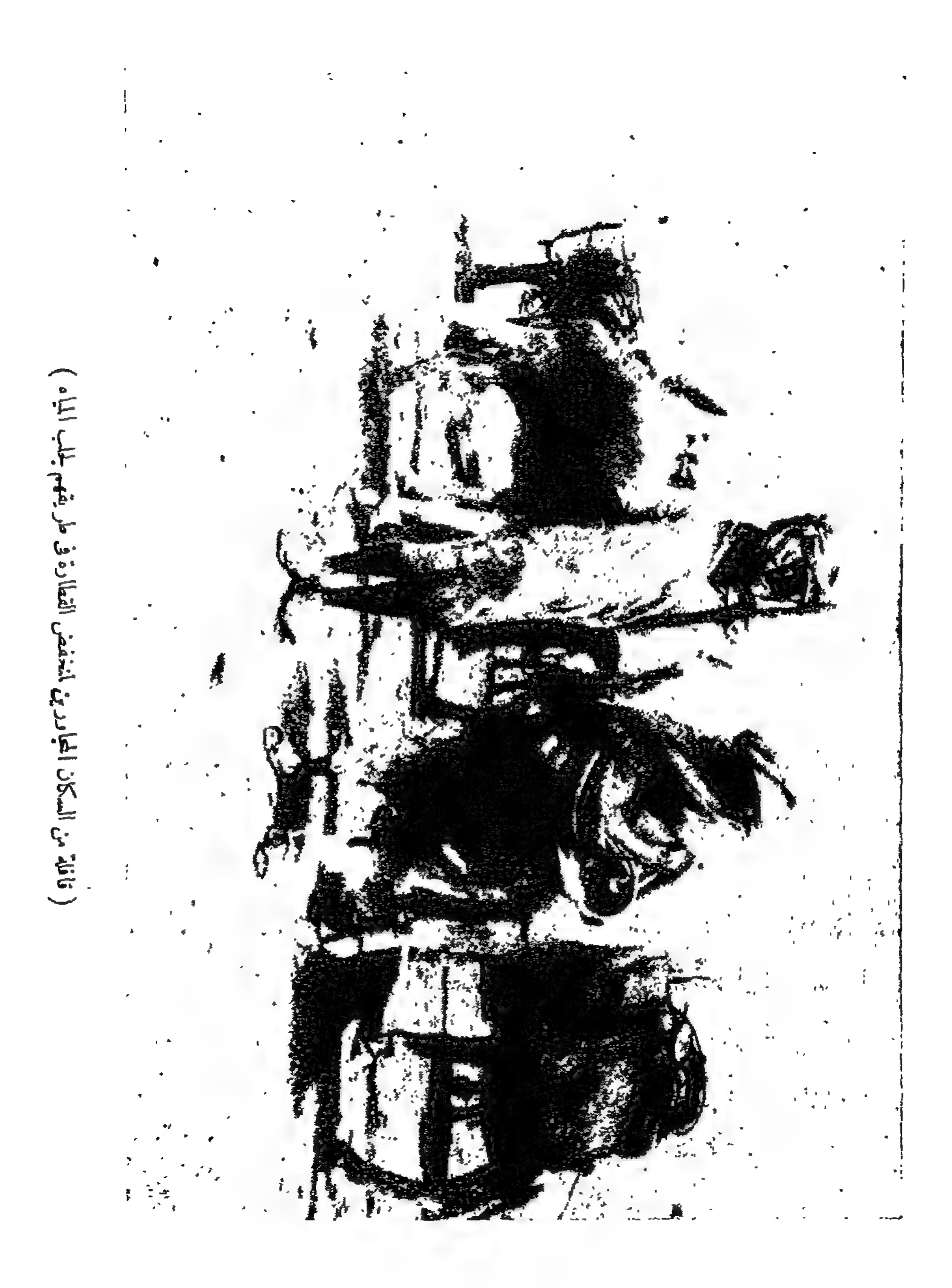
القسم الأوسط من الصحراء الغربية يشتمل على هضبة ليبيا الكبرى والجرف الكبير ومنخفض القطارة وسنتكلم عن كل منها باختصار .

١ — هضبة ليبيا

هضبة ليبيا الكبرى هى عبارة عن مرتفع مسطح عظيم من الأرض المستوية ذات تربة جيرية تمتد شرقا من وادى النيل وتنتهى غربا عند خليج سدرة بطرابلس الغرب .

وتكاد هـذه الهضبة تكون خالية من المياه اللهم إلا بعض خزانات رومانية قديمة تم جهرها حديثا ، واصلاحها وأكثرهذه الخزانات واقعة على الطرق الداخلية الرئيسية كبئر الكأس وبئر النصف والحلو والباسور على طريق مطروح سيوى و بئر سيدى عمر ودجناش و بئر الشجة على طريق السلوم سيوى ، كما أنه يندر وجود السكان فى هذه الهضبة حتى من العرب الرحل إلا قليلا منهم يسكنون القسم البحرى منها القريب من الشريط الخصب الساحلى ، ويبلغ متوسط ارتفاع هذه الهضبة عن سطح البحر حوالى ٥٠٠ قدم تقريبا ويبدأ هذا الارتفاع تدريجيا من الجهة الشرقية حتى لا يكاد يكون ملموسا عنـدها و يصبح متوسطا فى المنطقة من مطروح الى برانى بمسافة ١٣٠ كم . ويسهل على السيارات الصعود والنزول منه الى ساحل البحر وتسمى هذه المنطقة بجبال الطارف ولكن بعد سيدى برانى تزداد الهضبة فى الارتفاع حتى تصبح فى ارتفاع الجبال و يصعب على السيارات ارتقائها من جهة الشاطئ اللهم إلا عند ممرات معلومة وفى الوديان المنحدرة ولا يوجد ممر أو نقب لارتقاء هذه الهضبة ما بين سيدى برانى والسلوم الا فى نقب الحلفاية على بعد ١٢كم من السلوم أو فى نقب السلوم نفسه و يسميه العرب بالطارف .

وبعدها من الجهة البحرية القسم الساحلى السابق الكلام عنه وهــذا القسم هو القابل للزراعة



(ثلاثة من السكان الجاردية لمنخفض القطارة فى طريقهم لجلب المياه)

والغنى بالمزارع الخضراء . ويحدها من الجنوب جروف عظيمة ومنخفضات شديدة فى باطن الصحراء وسيأتى الكلام عنها .

موارد المياه بالهضبة :

أما موارد الميـاه بالهضبة فغير ميسورة إلا فى بعض نخزانات كبيرة مهمة وغالبا تقع فى القسم البحرى من الهضبة وتملأ عادة من مياه الأمطار وذلك لقربها من الساحل وتقع أغلب هذه الآبار على طريق السيارات المـارة من الشمال الى الجنوب كطريق مطروح — سيوى، والسلوم — سيوى، وطريق القطارة الخ ... ...



عين بالقرب من المنخفض)

سطح الهضبة :

وأراضى الهضبة صالحة عموما لسير السيارات وقلما تخلو من مرتفعات قليلة جدا ومن الصعب ايجـاد نقط شهيرة بها للاتجاه والاسترشاد ويصبح استعمال البوصـلات أمرا ضروريا فى الطرقات المعلومة . وكلمـا توغل الانسان جنوبا كلما قلت المراعى وأصبحت الأرض قاحلة جرداء . وعند سيوى يبلغ الارتفاع نحو ٤٠٠ قدم .

٢ — الجرف الكبير

وتنتهى هذه الهضبة من الجنوب بجرف عظيم حاد يطل على الوديان العظيمة ويبدأ هذا الجرف من الشرق " وادى النطرون " بارتفاع تدريجى ويستمر فى الاتجاه غربا خصوصا فى المنطقة بين



(الجرف الكبير)

المغرة والقطارة حيث يبلغ ارتفاع الجرف حوالى ١٠٠ الى ١٠٠٠ قدم عن باطن الوادى أو الصحراء. وهذا الجرف حاد جدا فى كثير من المواقع حتى أنه يصعب ارتقاءه أو الهبوط منه الى الأرض المجاورة إلا فى ممرات معينة معلومة وقريبة من الواحات وتتبع هذه الممرات مجارى المياه فى الوديان.

ويحدد هذا الجرف أخاديد ومنحنيات يكتنفها تلال متناثرة هنا وهناك ويمكن للسيارات السائرة على الهضبة الوصول إلى حافة الجرف ولكنها لا يمكنها الهبوط إلى الأراضى المتاخمة إلا إلا فى هذه الممرات ولهذا الجرف أهمية حربية حيث يمكن التحكم منه على الواحات بسهولة ويسميه العرب " الدفة ".

٣ — منخفض القطارة

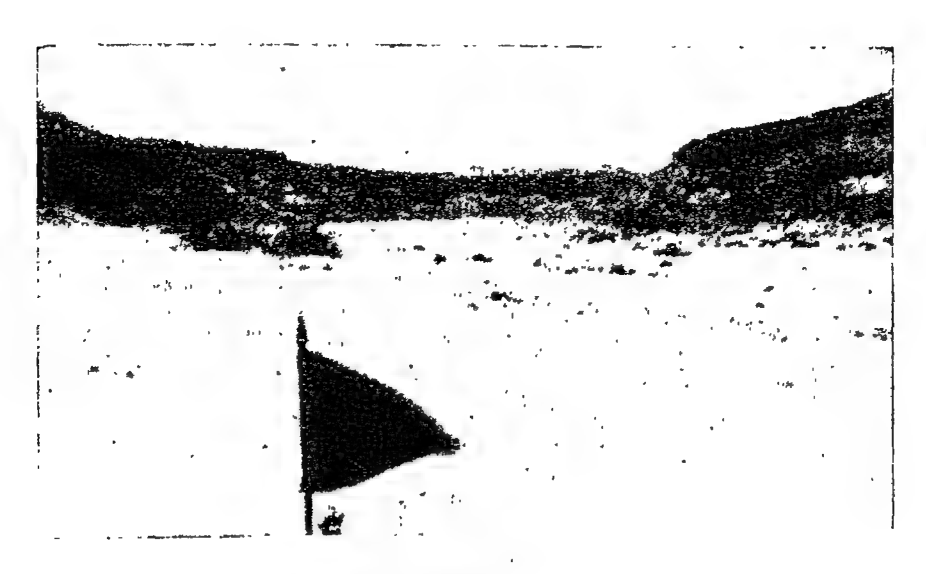
أما هذا المنخفض الذى سيكون أساسا لثروة عظيمة ستنتج من الصحراء والتى تم دراسته وفحصه بمعرفة معالى الوزير حسين سرى باشا وزير الدفاع الحالى وإليه يرجع الفضل فى تقريره



(صـ ١٠ — القارة "واحة القارة" وهى الطرف الغربى لمنخفض القطارة ويبلغ سكانها حوالى ٦٠ نفسا)

والتى ستوضع الخطط والأنظمة لتركيب آلات عظيمة عليه لتموين القطر المصرى بقوة كهربائية هائلة ورخيصة كما سيكون سببا فى ترطيب الجو بالصحراء مما يسبب فى هطول كمية عظيمة من الأمطار فى هذه الصحراء القاحلة . ويحيى صناعة الملح وتصديره .

فعلى بعد ١٠ كم. جنوبا من الشاطئ وفى منتصف المسافة من الاسكندرية إلى مرسى مطروح يبدأ ذلك الانخفاض العظيم و يمتد للجنوب الغربى مسافة ٣٠ كم. طولا و يختلف فى العرض بمتوسط ١٥٠ كم. و يشغل مساحة ٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع وأعظم نقطة منخفضة فيه على انخفاض ١٣٤ مترا عن سطح البحر و يراد إنشاء بحيرة عظيمة هناك يكون متوسط انخفاض سطحها عن سطح البحر بمقدار ٥٠ مترا وتشغل مساحة نحو ١٤,٠٠٠ كم. مربع .



(مدخل منخفض القطارة)

والمشروع الجارى درسه الآن يتألف من إنشاء قناة لتوصل بين البحر وهذا المنخفض وبذلك تجرى إليه مياه البحر وتصب باندفاع عظيم حيث تركب على مساقط المياه المنحدرة إليه بشدة " الآلات الكهربائية وتدور عجلاتها " بسرعة وتولد كميات عظيمة من الكهرباء . أما انصباب المياه فسيكون مستمرا ولا يتسبب فى ملئ هذه البحيرة لأن حرارة الشمس ستبخر كميات عظيمة من هذه المياه بالنسبة إلى اتساع سطح البحيرة . والحد الشرقى لهذا المنخفض القريب من واحة المغرة لا يبعد عن القاهرة بأكثر من ٢٠٠ كم . وكذلك عن باقى أكثر بلاد الدلتا . وبذلك فإن عملية مد الأسلاك لجلب الكهرباء إلى الوجه البحرى ستكون قريبة أو $\frac{1}{4}$ (ربع) المسافة عما اذا استمدت كهرباء من مساقط المياه فى خزان أسوان .

ومن المقدر أن كمية المياه المتبخرة سنويا من البحيرة ستنقص وتستعوض هذه الكمية فمن اللازم أن تصب المياه الآتية من البحر فى البحيرة بسرعة ٦٠٠ قدم مكعب فى الثانية . وانه يمكن تركيب ثلاث عجلات قطر الواحدة عشر أمتار لتسير بقوة اندفاع المياه وتولد نحو ١٥٠,٠٠٠ كيلوات فى محطة التوليد العمومية .

وسيحتاج هذا المنخفض لملئه الى سنين عديدة حتى ولو سمح بفتح القناة على مداها . فانه لملء البحيرة ليصل سطحها الى انخفاض ٧٠ مترا عن سطح البحر يحتاج الأمر الى أربعين سنة والى مسطح ٦٠ مترا تحت سطح البحر لنحو ٦٠ سنة والى ٥٠ مترا عن سطح البحر الى ١٥٠ سنة . وفى فترة ملىء البحيرة ستركب التركيبات الكهربائية اللازمة كما أنه قدّر ١٣٠٠ سنة قبل أن تملء البحيرة بكمية الملح الراسبة .

وفى الوقت نفسه فان امتلاء البحيرة سيرطب الجوّ فى المنطقة المحيطة ويسبب هطول كميات عظيمة من الأمطار تساعد على زراعة أراضى متسعة فى الصحراء المجاورة .

كما أن معدّل سطح المياه فى عيون الواحات البحرية والفرافرة والخارجة والداخلة سيرتفع كثيرا وتزيد كمية المياه بها مما يسبب زيادة المنطقة الزراعية بهذه الواحات .

فضلا عن أنه عند نهاية المدة ستملأ هذه البحيرة بكميات عظيمة من الملح المتخلف من تبخر المياه ولقد قصرت كمية الملح التى تمر يوميا تحت هذه الترتيبات ما بين مليون طن من الملح وستكون هذه سببا فى صناعة عظيمة وتجارة رابحة .

وأن تنفيذ هذه الخطة ستفيد مصر باحياء جزء عظيم من الأراضى البور الصحراوية فى الحدود الغربية بنفقات قليلة .

ملاحظة — بالنسبة للظروف الحربية اضطررت لحذف الجزء الخاص بطبيعة الأرض والطرق والممرات الموجودة بهذا المنخفض والتى قمت بالمرور بها من هذا المقال ولعل حضرات اخوانى الضباط يقدرون هذه الظروف حق قدرها .

صاغ
رفعت الجوهرى

المدفعيـــــة

مدفعية الخنادق

قلنا فى نهاية موضوع " المدفعية الثقيلة " بالعدد الثانى من هذه المجلة (ص . ٣٢) أننا سنتكلم على "مدفعية الخنادق" فى العدد الآتى غير أن كثرة موضوعات العددين الثالث والرابع حالت دون ذلك والآن نتكلم عليها فنقول :

عند ما تستحكم قوتان متحاربتان فى خنادق ومتاريس . تقابل أحدهما الأخرى ، فمن الطبيعى أن تندفع كل منهما الى الأمام حتى تصبح المسافة التى تفصل خطوطهما الأمامية عن بعضها البعض لا تتجاوز ١٠٠ ياردة وهذا هو عين ما يحصل فى حروب الحصار عند ما يقدم الجيش الذى يحاصر قلعة خطوطه الأمامية حتى تقترب منها ، وعندها تنشأ الحاجة الى سلاح يقوى على إلقاء مقذوف ثقيل الوزن الى مسافة قصيرة ، على شريطة أن تتوافر فيه خفة الوزن وصغر الحجم حتى يسهل حمله من خندق الى آخر .

والنموذج الأصلى لهذا السلاح هو الهاون "مورتر" المعروف باسم مخترعه "كوهورن" الذى كان يستعمل فى حروب الحصار فى القرن الثامن عشر .

أما النموذج الحديث فقد أوجده الألمان فى أوائل الحرب العظمى وهو المسمى " قاذف الألغام Minenwerfer "من طراز "كروب " وهو عبارة عن مدفع خفيف عيار ٢ بوصتان (أى ٥ سنتيمترات) موضوع فوق لوح صغير يطلق قنبلة كروية الشكل زنتها ٥٠ لبرة انكليزية توضع فوق فوهته — لا تحشى فى جوفه — ولها قضيب مجوف أى أنبوبة صغيرة من الفولاذ تتصل بجسمها وتدخل فى جوف المدفع هى واسطة استقرار القنبلة فوق الفوهة . وزوايا رمى هـذا المدفع تختلف درجاتها من ٤٥ الى ٧٥ درجة وغاية مرماه تبلغ نحوه ٤٥٠ ياردة . ولهذه القنبلة عبوة من المفرقعات العالية تقوى على تدمير الملاجئ السفلى " الحفائر " التى تستعمل فى حرب الخنادق ، وهدم دراوى المتاريس فتملؤها بأنقاضها .

ولما شاهد الانجليز أن موالاة تغذية هذه المدافع بهذا النوع من القنابل فيه من المشقة ما فيه أوجدوا الهاون الخفيف طراز "ستوكس" وأعدوه لحرب الخنادق . فهذا الهاون يطلق قنبلة كروية تزن ١٠ لبرات انكليزية ويختلف عن الطراز الألمانى بكونه عبارة عن ماسورة خفيفة من الفولاذ عيارها (أى قطرها الداخلى) ثلاث بوصات أى نحـو ٧٥ ملليمترا لها مسمار مدبب السن بارز من

الخزنة فى قاعها . أما قنبلته فاسطوانية الشكل يتصل بقسمها الأسفل خرطوش صغير (أى ظرف صغير من المعدن يحوى عبوة القذف) ذو كبسولة فى وسطه أى مركز دائرته ، وهذه القنبلة تسقط فى جوف الماسورة الى أن تطرق كبسولة الخرطوش سن المسمار فتلتهب العبوة ، ويبلغ مرماه نحو ١٢٠٠ ياردة . وبهذا يتيسر وضعه فى المتاريس الخلفية فيبقى بماء من الأخطار والمفاجاءات أكثر مما لو كان فى المتاريس الأمامية ، فضلا عن أنه فى المتاريس الخلفية لايستجلب نيران العدو اليـه بقدرما يستجلبها وهو فى متاريس المقدمة .

وقد أعقب هذ الطراز، طراز آخر زنة قنبلته ٢٥ لبرة كانوا يستخدمونه خصيصا لاطلاق قنابل الدخان (من مستحدثات معدات القتال التى أوجدتهـا الحرب العالمية) قنابل الدخان التى تقلب الضياء ظلاما ، ومع توالى الأيام أضافوا الى هـذه القنبلة جهازا يدور مع الهواء لهديها فى سيرها ويزيدها ضبطا فى الاصابة ، ونظرا لسهولة معالجة هاون " ستوكس " عيار ٣ بوصات استخدموه فى حروب الحركة أيضا فكان يرافق المشاة أثناء زحفهم حتى اذا اعترضتهم " نقط قوية " زللهالهم. ولكنه لايصلح لضرب الدبابات لأنه لايضرب الا ضربا غاطسا على زوايا رمى كبرى .

أما الفرنساويون فكانوا يستعملون الهاون طراز " دوميزيل Dumezil " المخصص لحرب الخنادق، وهو يشبه قاذف الألغام الألمـانى طراز " كروب " الآنف الذكر فى نموذجه وتكوينه إلا أنه أثقل منه، وقذيفته من النوع الكروى ذى القضيب الذى يدخل فى جوف السلاح وتوزن من ٣٦ الى ٩٩ لبرة. ويتجاوز مدى مرماه بالقنبلة التى تزن ٣٥ لبرة (٧٠٠ ياردة). وقد جربوا هاونا آخر يقذف قنبلته بالهواء المضغوط بدلا من المفرقعات ، وكانوا يقدرون المرمى بتغيير درجة الضغط فى خزنة الهـواء ، فجاء سلاحا وافيا بالغرض على أن تراكيب أجزائه حالت دون صناعة كميات كبيرة منه .

وقد اخترع الألمـان هاونا للخنادق عياره " وزن قذيفته " ٩ لبرات يرمى إلى مسافة ١٤٠٠ يردة. ثم أدخلوا عليه من التحوير والتعديل فى سنة ١٩١٨ ماجعله يصلح لحرب الحركات مع المشـاة ، يضرب ضربا مستقيما وغاطسا ، فهو من هذه الوجهة ليس إلا صورة مصغرة من " أوبوص " هاوتزر الميدان ، فإذا استخدم فى الخنادق يطلق من فوق فرشة مسطحة ثابتة على الأرض ، وإذا استخدم فى العراء وضع على عربة صغيرة ذات عجلات .

هاونات الخنادق الثقيلة

لمـا حالت الصعوبات دون صناعة العدد الكافى من أسلحة المدفعية الثقيلة اخترعوا فى سنة ١٩١٥ نوعا من الهاونات الثقيلة للخنادق يقوى الواحد منها على رمى قنبلة وزنها ١٠٠ لبرة لمسافة نحو ١٢٠٠ يردة ، اشتهر من بينها النموذج المعروف بطراز " باتنيولس Batignolles " عيـار ٢٤٠ مليمترا (٩,٤٥ بوصات) فهذا الهاون يتركب من قطعتين تركب إحداهما فى الأخرى بواسطة لولب (برمة)

على نسق المدافع الجبلية القديمة وعند الضرب يوضع على قاعدة توطد فوق فرش من كتل أو عروق من الأخشاب القوية وينقل إلى الخنادق المطلوب استخدامه فيها فوق عربات خصوصية من الحديد يجرها الرجال بأيديهم من مكان إلى آخر ، ويزن الهاون فى مجموعه نحو طن واحد وعند التحرك والتنقل تفصل أجزاؤه بعضها عن بعض وتقسم إلى خمسة أحمال ، وقد استخدم الحلفاء هذا السلاح فكانوا يطلقونه من مواقع قريبة من الخنادق الخلفية حتى إذا ما احتل العدو الخنادق الأمامية استطاعوا تصويبه نحوها .

أما الألمان فكانوا يستخدمون لنفس هذا الغرض هاونا حلزونى الجوف "مششخنا" عيار ١٧٠ مليمترا (٦,٦٩ من البوصات) يطلق قنبلة وزنها ١١٠ لبرات إلى مسافة ١٢٥٠ يردة .

الذخيرة ونقلها

نتكلم ههنا عن أحدث الاختراعات بنوع خاص ، أما الكلام عن ذخيرة المدافع و بقية أسلحة المدفعية فسيأتى تفصيلا فى فرصة أخرى . ولهذا السبب نقصر بحثنا الآن على ذخيرة المدفعية التى استخدمت فى الحرب العظمى . تستعمل كافة أنواع المدافع الحديثة على اختلاف أنواعها وأعيرتها البارود الذى لا دخان له الذى يتركب من قطن البارود و "النتروغاسرين" بكميات مختلفة (ستبين مقادير هذه الكميات فى بحث الذخائر الحربية) . فهذا البارود ينبعث منه لهب أبيض اللون كثير العرض (أى الاتساع) يخرج من فوهة المدفع ومتى شاهده العدو أمكنه الوقوف على موضع المدفع . خصوصا فى مدة الليل. إلا اذا قام أمام المدفع ساتر لا يقل ارتفاعه عن عشرة أقدام انكليزية (نحو ثلاثة أمتار و بضع سنتيمترات) من فوهة المدفع . ولذلك أوجدوا نوعا من البارود لا لهب له . بأن أضافوا بعض المركبات الكيمائية الى قطن البارود والنتروغلسرين بكميات مائوية معينة كان من نتائجها أن حل محل اللهب الأبيض بريق معتم يضرب الى الحمرة .

مقذوفات المدفعية

من المعلوم خصوصا عند رجال العسكرية أن أكثر مقذوفات المدفعية إتلافا للأنفس وأعظمها تأثيرا فى الرجال والحيوانات هى القنبلة المسماة باسم مخترعها "شرابنيل" (راجع ص ١١٩ من العدد الأول من المجلة) . هذه القنبلة تتكون من ظرف رقيق من الفولاذ محشو برصاص كروى وعبوة صغيرة من البارود . ولهذه القنبلة جهاز يثبت فى رأسها بواسطة لولب "بريمة" يعرف عند رجال المدفعية باسم " الضبة " . وهذا الجهاز يوصل اللهب إلى عبوة الفرقعة الموجودة فى القسم الأسفل من القنبلة إما بواسطة مزيج من المواد الملتهبة محشو فى تجويف له فى جسم الضبة من الداخل بشكل دائرة يحترق تدريجيا وتقابله من الخارج دائرة مقسمة أقساما عليها أرقام المسافات المراد الضرب

عليها، وإما بنظام يشبه نظام الساعة . وكلا هذين النوعين يسمى "الضابة الزمنية" لأنها تلهب عبوة الفرقعة فى زمن محدود . وهناك نوع آخر يسمى "الضابة الطرقية" وهى تلتهب عند اصطدامها بجسم صلب . و بالتهاب عبوة الفرقعة ينطلق الرصاص وتنفصل الضابة عن جسم القنبلة . و يحصل انفجار الشرابنيل عادة على مسافة نحو ٥٠ ياردة من الهدف المطلوب إصابته فيندفع الرصاص منتشرا بنفس السرعة التى كانت عليها القنبلة حين الانفجار . و يسقط الغلاف إلى الأرض .

أما فى الحرب العالمية حيث مست الحاجة إلى مقادير عظيمة من أصناف الذخائر على اختلاف أنواعها خصوصا بعد حلول حرب الخنادق فقد قر القرار على انقاص كمية قنابل الشرابنيل بالنسبة إلى القنابل الأخرى عند كل صنوف المدفعية حتى مدفعية الميدان — مع أن مقذوفها الرئيسى هو الشرابنيل — فمثلا كانت نسبة الشرابنيل إلى القنابل الأخرى عند مدفعية الميدان البريطانية فى أوائل أيام الحرب ٨٠ فى المائة فأنقصت إلى أن صارت ٥ فى المائة والباقى من صنف القنبلة العادية .

أما القنبلة العادية وتسمى أيضا قنبلة " المفرقعات العالية " غير البارود المعروف — يلتهب ما فى جوفها متى صدمت جسما صلبا . والذى يلهب عبوتها هى الضابة الطرقية أى كبسولة بسيطة تركب فى قمتها ، وقد تكون القنبلة العادية سميكة الجسم فتحدث الاتلاف والتدمير بشظاياها المنتشرة أو رقيقة الجسم تحشى بكمية كبيرة من المفرقعات لتدمير الاستحكامات وما اليها . والأولى من هذين النوعين تسلح بضابة طرقيـة آنية المفعول (تفجر القنبلة بمجرد الصـدم) فتنفجر قبـل أن تنفذ فى الأرض . أما الثانيـة فضابتها بطيئة المفعول تسمح لهـا بالنفوذ فى الهدف نحو ستة أقدام قبل أن تنفجر .

وهناك قنابل أخرى تستعمل لأغراض خاصة مثل اضاءة مكان الهدف ليلا فتستعمل قنبلة الاضاءة (ويسمونها النجمة) . وقنبلة الدخان وهى التى تملأ الفضاء دخانا يحجب الجنود عن نظر العدو ، وقنبلة الاحراق وهى التى تثير الحريق فيما تصيبه . وقنبلة الفولاذ وهى التى تنفذ من الصلب والقنبلة الكيمائية أو قنبلة الغازات السامة . وهذا الصنف الأخير حرمت استعماله معاهدة "فرساى" فى سنة ١٩١٩ بعد أن استعمل فى الحرب العظمى . وقد حرمه أيضـا مؤتمر " وشنطن" (الولايات المتحدة) المنعقد فى سنة ١٩٢٢ ، ولكن هل بطل استعماله فعلا ؟ لا نظن .

وأشهر المواد الكيميائية المستعملة عبوات لقنابل " المفرقعات العالية " هو حامض البكريك الذى يسمى بأسمـاء متعددة منها " الليداليت " و " الملينيت " و " الشيموزيه " وغيرها . عدا مفرقعات أخرى قد نتكلم عليها فيما بعد .

قبائل الصحراء الغربية

أولاد على

بقلم الصاغ رفعت الجوهرى مأمور قسم مطروح والضبعية

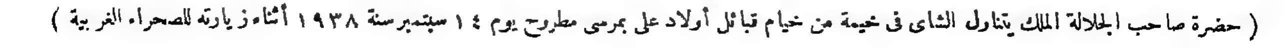
كثر الحديث أخيرا عن قبائل الصحراء الغربيـة عامة وأولاد على خاصة وقد طلب إلىّ كثير من إخوانى الضباط بحكم عملى أن أكتب ما أعلمه عن هؤلاء الاخوان حيث ان تاريخهم وأحوالهم تكاد تكون متفرقة متناثرة لا تجمعها كلمة أو يفسرها كتاب .

ولما كان هذا الموضوع كثير ومتشعب النواحى يشمل تاريخهم وعاداتهم وأخلاقهم ... الخ . وكانت أهم المراجع التى أعرفها يستند أكثرها على روايات نقليـة عن شيوخهم ورؤساء قبائلهم وعشائرهم وبعض هذه الروايات خيالية بعيدة عن العقل ولو أن أكثرهم يؤيدها فقد جمعت ما أمكننى منها وسأذكر منها ما اتفق عليه الجميع وقرب إلى الذهن ورأيت أن أكتب فى كل موضوع على حدة تسهيلا للباحثين والقراء والضباط الذين يهمهم دراسة هذه الناحية من البلاد لأهميتها من جهة المخابرات الحربية متوخيا الايجاز بقدر المستطاع بالنسبة لما تسمح به صفحات المجلة .

ويسكن صحراء ليبيا من النيل إلى جالو والكفرة فريقان من البدو "السعادى" و"المرابطين".

السعادى :

هم أولاد سعدى وسيأتى الكلام عنهم فيما بعد وقد اتفق المؤرخون أنهم انحدروا جميعا من أبو ديب وهو ينتسب إلى قريش وأن والدتهم سعدى بنت غازية الهلالية (من نسل قبيلة بنى هلال المنتسبة اليها أبو زيد الهلالى) ويظهر أن هذه القبائل سمت نفسها بالسعادى لتتميز عن القبائل الأخرى من سلالة أبو ديب من زوجاته الأخريات (وقد ذكر ابن خلدون فى الجزء الأول من تاريخه أن هناك بمدينة مسراطه زعيم عربى كبير يسمى أبو ديب وأن له نفوذ عظيم فى إقليم برقة وطرابلس) .



(حضرة صاحب الجلالة الملك يتناول الشاى فى خيمة من خيام قبائل أولاد على بمرسى مطروح يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٨ أثناء زيارته للصحراء الغربية)

أهم قبائل السعادى :

وقد أنجبت " سعدى " ثلاثة أولاد هم جبريل ، برغوث ، عقار :

من ذرية جبريل : العواقير ، العربيات ، المغاربة ، الجوان ، فروعهم .

من ذرية برغوث : عبيد ، العرفة ، الفوائد ، فروعهم .

من ذرية عقار : على ، خديجة ، بنى عونة ، المنادى ، الحرابى ، فروعهم .

المرابطين :

اختلف الرواة فى أصل المرابطين فبعضهم يروى أنهم أقدم من السعادى ولكنهم متفرقون وهذا سبب ضعفهم وأن كل قبيلة منهم فى حمى قبيلة من السعادى و بعض الرواة يقولون إن السعادى كانوا أقوياء وجاءوا البلاد فاتحين فدخلت بعض القبائل الأخرى فى حمايتهم لضعفها فسموا بالصدقان أو الأصدقاء ولما كانت قبائل السعادى تقوم للغزو فكانت تكلف قبائل الصدقان بالمحافظة على الحدود فى نقط معينة ترابط فيها فمن ذلك سموا بالمرابطين وكانوا موزعين على الآبار والزوايا فتفرغوا للعيشة الزراعية والدينية وفقدوا الروح البدوية العسكرية فى حين أن السعادى احتفظوا بعاداتهم من رعى المواشى والمعيشة فى الجبال والاحتفاظ بالروح العسكرية والقتال وكل قبيلة أو عائلة من المرابطين فى حمى قبيلة من السعادى وتدفع لها جعلا سنويا يسمى (بالصدقة) وفى مقابل ذلك تقوم قبيلة السعادى بحمايتهم من الغارات والسرقة والاهانة التى تحدث من السعادى الآخرين على أن المرابط ملزم فى الوقت نفسه بمساعدة السعادى فى حالات الغزو والحرب والتعدى فيحارب بجواره ويسرع لمساعدته .

أهم القبائل المرابطين :

المنفه ، الموالك ، الشواعر ، القطعان ، الجرارة ، الحوته ، الجبايل ، التراكى ، الشهيبات ، الفواخر ، ترهونه ، العوامه ، القدادفة ، السمالوس ، الصريحات ، القريضات ، حبون ، الشريصات ، ذريتهم السعادى والمرابطين فريقان فريق يسكن الصحراء الغربية من حدود النيل غربا إلى بنى غازى وفريق يسكن من بنى غازى إلى واحة جالو والكفرة .

أولاد على

عقار :

أما قبائل أولاد على فهى من سلالة عقار بن سعدى وكان يدعى بعقارالشريف وقد استوطن بالجبل الأخضر قريبا من درنه باقليم برقة وذلك حوالى القرن الخامس عشر الميلادى .

أولاد عقار :

وقدأنجب عقار ولدين هماعلى،وحرب،وبنت سماهاخديجة، ومن خديجة انحدرت قبيلة الجميعات

على وحرب :

بعـد وفاة عقار قامت المشاحنات والخصام بين أولاد عقار وهما على وحرب وكل يطالب الزعامة لنفسه ولكن يظهر أن على كان أقوى جانبا وأشد بأسا فكان النصر دائمـا حليفه وقد أرغم أخاه حرب على الاعتراف به " على " كزعيم للقبيلة وأن يؤدى اليه الجزية بضع سنوات .

المرابطين :

وفى هـذه الأثناء ذاعت شجاعة على بين العربان فبهرتهم وأغرت كثيرين الى الانضمام اليه فقدمت من الغرب عدة قبائل انضمت الى قبيلته وتحت لوائه ووضعوا أنفسهم تحت حمايته فازداد قوة وعظم شأنه وقد عرفت هذه القبائل فيما بعد بالصدقان أو الأصـدقاء أو المرابطين ومنهم : (قبائل المنفه ، القطعان ، الحبون ، السمالوس ، الشواعر ، الموالك الخ) .

زواج على :

تزوج على بزوجتين إحداهما تدعى سعدى الحمراء والأخرى عيشه البيضاء وأنجب ثلاثة أولاد أكبرهم أبو سنينه (زعيم قبائل السننه) ولمـا توفى على كان عمر أبو سنينه عشر سنوات أما ولداه الآخران فقد ولدا بعد وفاة والدهم ، الأول بعد ستة شهور والثانى بعد خمسة شهور ولمـا كان كل منهم من زوجة ، فكل زوجة سمت ابنها "على" على اسم أبيه ولعدم الارتباك أو التشابه فى الأسماء فقد سمى العرب بن سعده " لعلى الأحمر " وابن عيشه " لعلى الأبيض " .

ذرية أولاد على :

(١) أبو سنينه "السننه" ومن ذريته : قبائل العراوة ، القطيفة ، المحافيظ ، العجنة .

(٢) على الأحمر ومن ذريته : القنيشات ، العشيبات ، الكميلات .

(٣) على الأبيض ومن ذريته : أولاد خروف ، العزايم ، الصناقرة ، الأفراد .

ذرية حرب، الحرابى :

ومن حرب انحـدرت قبائل : البراعصة ، الدرسة ، الحاس، العبيدات ، وهى تقطن أيضا الجبل الأخضر و بنى غازى .

الخصومة بين أولاد على والحرابى :

مضت حوالى أربعة قرون بعـد موت على ولكن الخصومة التى كانت بينه و بين أخيه حرب لا زالت قائمة بين الأحفاد وكان النصر لا يزال قائما فى جانب أولاد على .

حبيب بن عبد المولى الحرباوى :

واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهر فى قبيلة الحرابى رجل من الأذكياء يدعى حبيب بن عبد المولى وقد قتل والده عبد المولى الحرباوى فى إحدى المعارك بينه و بين أولاد على، فرأى حبيب أن ينتقم لوالده فسافر الى مدينة طرابلس والتمس المساعدة من الحاكم التركى ويدعى محمود ، وكان واليا عليها فى هذا الوقت .

مساعدة الأتراك للحرابى :

ولما وصل حبيب الحرباوى الى مدينة طرابلس والتمس مقابلة حاكمها التركى قدم اليه هدية ثمينة عبارة عن جلد رقبة نعامة مملوء بالذهب وقد أغرت هذه الهدية الحاكم وسأل حبيب عن المساعدة التى يطلبها فذكرها له فرضى بها ثم سأله عن عدد الرجال الذى يطلبهم لمساعدته على قهر أولاد على فأجاب حبيب أنه سيضع خشبية من شجر الزيتون على أحد أبواب سراى الحاكم و تمر عليها الجنود ويدوسونها بأقدامهم حتى تنكسر وعندها يكتفى بالعدد الذى مر عليها ووافق على ذلك وأمر جنوده بالمرور على الكتلة فمر عليها ستة آلاف جندى حتى انكسرت ومن هذا العـدد ٩٠٠ عسكرى من الخيالة .

انتصار الحرابى على أولاد على :

وبهذه القوة العظيمة فاجأ حبيب أولاد على بهجوم عنيف فى جهة الجبل الأخضر وانتصروا عليهم وطاردوهم فاتجهت فلولهم شرقا واستمرت المطاردة حوالى السبعة أيام أعقبها الصلح بينهما .

هجرة أولاد على للصحراء الغربية بمصر :

واتفقا أن يكون الحد الغربى (جبل أبو حجاج السلوم) هو الفاصل بين أملاك القبيلتين وقيل فى رواية أخرى إنه عند رأس المح وبذلك خرج أولاد على من إقليم برقة واستوطنوا الصحراء الغربية .

الاتفاق بين أولاد على والجميعات :

وعند حلول أولاد على بالصحراء الغربية وجدوا أن وطنهم الجديد هذا مسكون بعربان قبيلة الجميعات (وهم ذرية خديجة أخت على و بنت عقار السالف ذكرها) وتربطهم بهم صلة القرابة فعاشت القبيلتين سويا على وئام تام .

وفى هذا الوقت كانت تسكن اقليم البحيرة قبيلة الهنادى وهى إحدى القبائل القوية وكانت قبيلة الجميعات ضعيفة بالنسبة لها ومجاورة لها من الغرب فكانت تحت حماية الهنادى (مرابطين معها) وكانت الهنادى يعاملونها بالظلم فلما استوطن أولاد على الصحراء الغربية واختلطوا بالجميعات وكانت تربطهم بهم صلة الرحم فقد رأى الجميعات الفرصة سانحة للانضمام الى أولاد على للتخلص من سيطرة الهنادى عليهم فأوفد الجميعات زعيمهم المدعى "بقوش" للاتفاق مع أولاد على على مقاتلة الهنادى بمساعدتهم للتخلص من سلطانهم وأغرى أولاد على للاستيلاء على أراضى البحيرة الخصبة التى يملكها الهنادى ولما كانت الجميعات على علم تام بحركات هذه القبائل وبأسرار قواتها ومحلات تجمعها بحكم نزولها على حدود الهنادى فكانت خير معين لارشاد أولاد على على هذه المحلات . وعلى ذلك قد تم الاتفاق سرا بين القبيلتين على أن يقوما بالغزو والقتال فى السنة التالية ليتمكن أولاد على فى هذه الفترة من جمع جموعهم وأسلحتهم وخيولهم استعدادا لهذا القتال .

ويظهر لنا أن الاشاعات والأخبار قد تطايرت الى قبيلة الهنادى فحصل لديها ريبة وسوء ظن من جهة الجميعات فطالبتها بالحلف توكيدا لاخلاصها فحلف الجميعات غشا وزورا مؤكدين ولائهم للهنادى على أن هؤلاء لم يقتنعوا ويأمنوا ورؤا زيادة فى الاحتراس أن يقيموا حدودا معلومة بينهم وبين الجميعات وأولاد على (هذه الحدود هى مكان ترعة النوبارية الحالى) وأنذروا هؤلاء أن أى شخص أو حيوان منهما سيجتاز هذه الحدود سيكون جزاؤه القتل فورا بلا انذار .



(بعض عمد ومشايخ من قبائل أولاد على بالصحراء الغربية)

ولما مضى الحول وحل موعد الاتفاق السرى المعقود بين الجميعات وأولاد على كان هؤلاء الأخيرين قد أنفقوا نصف ثروتهم فى الاستعداد لهذا القتال وتجهيز أنفسهم بالخيل والسلاح والذخيرة وأصبحوا على استعداد تام لمقاتلة الهنادى وشجع أولاد على لمحاربة الهنادى أن الأخيرين لم يؤدوا الجزية للوالى محمد على باشا وذلك ساعدهم على قهر الهنادى .

قتال أولاد على والجميعات ضد الهنادى :

ولأجل أن يخلق أولاد على وحلفاؤهم سببا للخصومة بينهم و بين الهنادى فقد أطلقوا جملا وجعلوه يجتاز الحدود المعلومة وأرسلوا وراءه بعض رجالهم للبحث عنه فما كان من الهنادى إلا أن قتلوا الجمل واللذين اتبعوه وعلى ذلك فقد قام أولاد على يناصرهم الجميعات على الهنادى وقاتلوهم قتالا شديدا حتى قيل أن الموقعة الأولى بين الفريقين استمرت ثلاثة أيام بلياليها وكثر عدد القتلى من الفريقين حتى طلبا الهدنة لدفن موتاهم . وقد اتفقا أخيرا أن كل يوم قتال يعقبه يوم هدنة لدفن القتلى وقد استمرت الحال هكذا طول مدة الحرب .

وكان يتولى قيادة أولاد على فى هذا الوقت المدعو "حسين أبو داغه" من قبيلة أولاد خروف (من أولاد على الأبيض) ثم تولى القيادة بعده مطرود المطراحى (من أولاد خروف أيضا) ثم أخيرا عبد الرحمن أبو علوه .

وقد استمرت الحرب ثلاثة شهور انتهت أخيرا بهزيمة الهنادى وانسحابهم الى وادى النيل شرقا حيث سكنوا مديرية الشرقية . وقد منح الوالى محمد على باشا أولاد على فرمانا بمعافاتهم من الخدمة العسكرية مكافأة لهم .

على أن المناوشات والغارات بينهما لم تنته تماما بل استمرت الحال ثلاث سنوات أخرى كان الهنادى خلالها ينتهزون الفرص لشن غارات موضعية على أولاد على وانتهى بتقهقر الهنادى الى الشرق كما ذكرنا وكانوا ينتهزون فرصة مرور أولاد على فى موسم الحج فيقاتلون قوافلهم الذاهبة الى الحجاز

أولاد على يحتلون أراضى البحيرة :

ولما تم لأولاد على تطهير الصحراء الغربية من الهنادى واستولوا على أراضيهم بالبحيرة فقسموا هذه الأراضى فخص أولاد على الثلثين والجميعات الثلث الباقى ومنح أولاد على الجميعات حقوق المحاربين (كالسعادى) تماما بعد أن كانوا معتبرين من قبائل المرابطين وعاشوا فى وئام حوالى مائة سنة أخرى.

هجوم قبائل الغرب على أراضى البحيرة :

و بعد هذا التاريخ وفدت بعض القبائل من الغرب من سلالة جبريل و برغوث أخوات عقار جد أولاد على كما أسلفنا وهاجموا أولاد على من طريق واحة سيوه البحرية ومن ناحية الوجه القبلى ولكن هذه القبائل فشلت فى غارتها و بعد قتال غير منتظم بين الطرفين دام عدة سنوات وانتهى بتغلب أولاد على وانسحاب تلك القبائل نهائيا عائدة الى المغرب من حيث أتوا .



(بعض فرسان أولاد علي بالصحراء الغربية)

المرابطون :

ولما استقر الحال بأولاد على اتفقوا فيما بينهم على توزيع قبايل المرابطين الذين ساعدوهم فى القتال فظلوا تحت حمايتهم والذين انضموا تحت لوائهم فى الجبل الأخضر" كما ورد ذلك سابقا " فعقدوا اجتماعا كبيرا من مختلف قبائل أولاد على وحضرت ثلاث من العائلات المهمة من المرابطين وذلك فى سنة ١٠٦٤ هجرية وكان هذا الاجتماع فى مكان يقال له " الجفة " قريب من طبرق .

أما عائلات المرابطين الذين حضروا هـذا الاجتماع فهم عائلة صالح السريحات وعائلة صالح السمالوطى وعائلة صالح المريرات وقد كان حضورهم بالنسبة للخدمات الجليلة والمساعدات الحقيقية التى قام بها أفراد هذه العائلات خلال الحروب الأخيرة ولذلك فقد منحهم أولاد على الامتيازات الآتيـــة :

حق النزالة : (حمـاية القبائل) .

حق الفصالة : (حق المضيف) .

حق الدم بالدم: (أن يكون الدفع فى الدية المثل بالمثل أى أنهم ممـاثلين للسعادى فى الدفع دية المرابط نصف السعادى) .

ولمـا كانت قبائل أولاد على متشعبة فتسهيلا للقراء أوردت هنا أهم فروعها المعلومة وهى :

سلالة على[1]

(١) ومن ذرية على : على الأبيض ، على الأحمر ، السننه .

(٢) ومن ذرية على الأبيض : أولاد خروف ، السناجرة ، العزايم ، الأفراد .

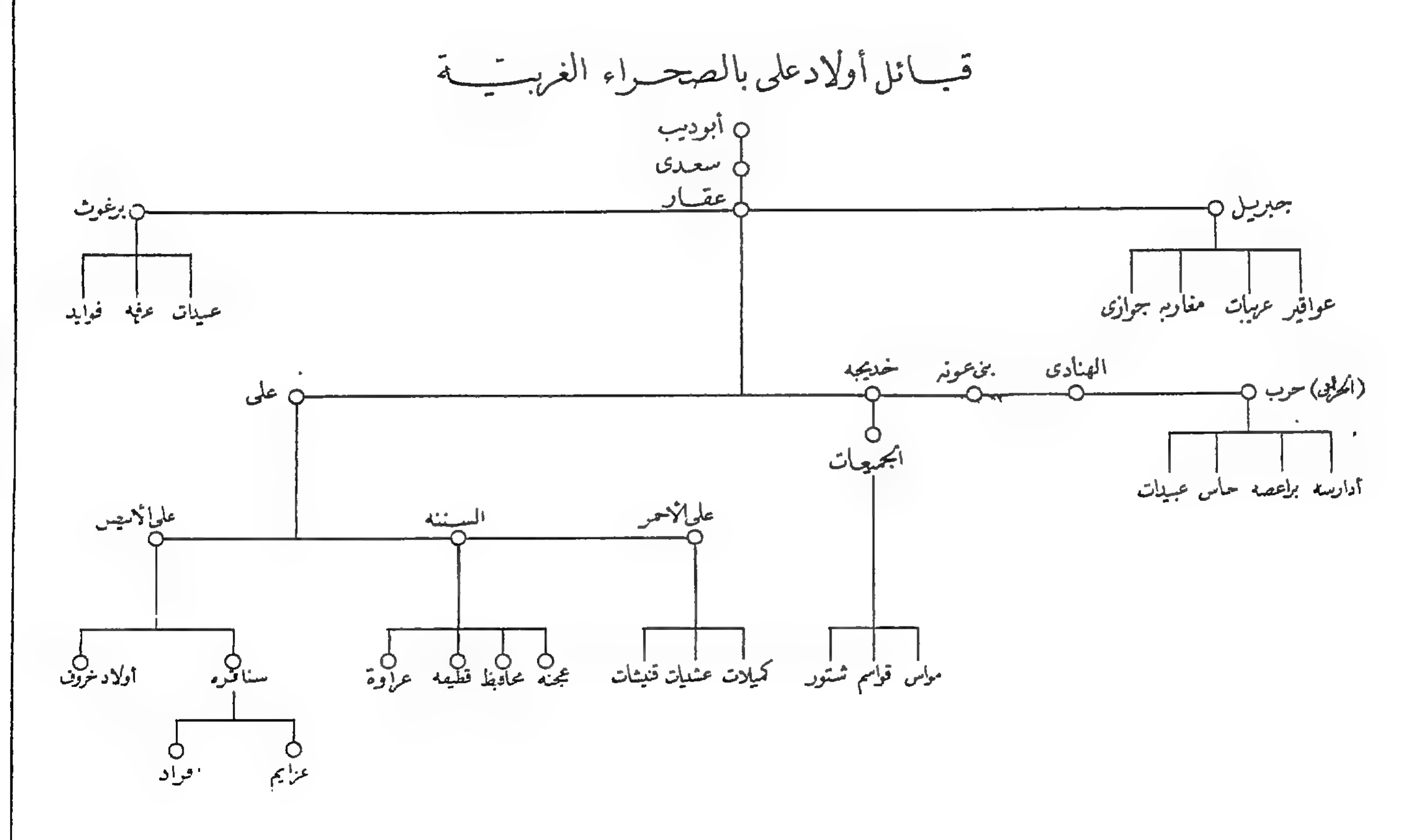
(٣) « « الأحمر : القنيشات ، العشيبات ، الكميلات .

(٤) « « أبو سنينى " السننه " : العراوة ، القطيفة ، المحافيظ ، العجنة .

وسيأتى الكلام عن كل قبيلة من قبائل أولاد على »

رفعت الجوهرى
صاغ من سلاح المدفعية الملكية
ومنتدب مأمورا لقسم مطروح

(١) راجع سلسلة الأنساب بعده


قبائل أولاد على بالصحراء الغربية
أبوديب
سعدى
عقار
برغوث
عيدات
عرفه
فوايد
جبريل
عواقير
عربيات
مغاربه
جوازى
على
خديجه
بنى عونه
الهنادى
(الحرابى) حرب
أدارسه
براعصه
حاس
عبيدات
الجميعات
مواس
قواسم
شتور
على الأحمر
كميلات
عشيات
قنيشات
السننه
عجنه
محافظ
قطيفه
عراوة
على الأبيض
أولاد خروف
سنافره
عزايم
فراد

بلاتون حمـالات مدافع "برن"

BREN CARKIER PLATOON

مقــدمة

يتوقف النصر فى الميدان على المقدرة على تركيز قوة نيران كبيرة (Fire Power) وليس على حشد قوة عددية كثيرة .

هذه إحدى دروس الحرب العظمى البـارزة ومن هـذا الوقت للآن رأينا كيف زاد عدد الأسلحة الآلية فى الوحدات زيادة عظيمة وذلك لتزيد من مقدرتها على إنتاج كمية نيران كبيرة .

وفى اعتقادى أن أعظم ظاهرة جديدة تستحق البحث والدرس هى بلا شك إضافة بلاتون حمالات مدافع " برن " فى أورط البنادق .



(بلاتون حمالات مدافع برن)

و إضافة هذه الحمالات كانت نتيجة تجارب عديدة طائلة مدار البحث فيها هو كيفية إيجاد وسيلة توضع تحت يد قائد الأورطة يتوفر فيها الآتى :

(١) قوة نيران كبيرة تزيد من متانة خطة نيران الأورطة .

(٢) خفة الحركة — بحيث يمكن نقل أو تركيز قوة النيران هذه فى الجهة المطلوبة .

(٣) وقاية كافية — حتى يمكن تحريكها فوق الأرض المكتسحة بنيران الأسلحة الصغيرة حيث يتعذر على العسكرى المشاة السير .

وقدشكلت لهذا الغرض وحدات ميكانيكية فى الجيش البريطانى وسميت (Mechanised Infantry) ووضعت فى " الدرشوت " حيث توالت عليها التجارب العديدة سنين طويلة وأخيرا توصلوا فى النهاية إلى استنباط نوع يشبه الموضح بالصورة وهذه الصورة أخذت فى الدرشوت فى عام ١٩٣٠ أهم ما يلفت النظر فى هذه الحمالات هو :

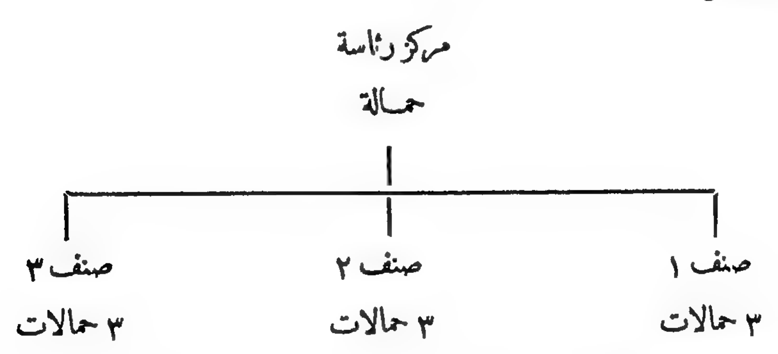
(١) وضع فى كل منها مدفع ماكينة خفيف " برن " يمكن استخدامه أثناء تحرك الحمالة أو وقوفها .

(٢) تسير الحمالة فوق سحافات (Tracks) وليس على عجل وذلك كى تتمكن من السير على أى نوع من الأراضى . ووضع فى كل حمالة ٣ عساكر .

(٣) جعلت الحمالة مدرعة من الأجناب ولكنها مفتوحة من أعلاها .

تنظيم بلاتون الحمالات :

وقد أضيفت هذه الحمالات الى بلوك الرئاسة فى أورط البنادق وسميت بالبلاتون الرابع وتقسيمه كالآتى :



وبكل حمالة برن وكل صنف بندقية ض/ دبابات وبذا تجد أن مجموع الحمالات ١٠ بها ١٠ برن و٣ بندقية ض/ دبابات وسأحاول شرح كيفية استخدام هذه البلاتون فى جميع أدوار المعركة المختلفة فيما يلى :

مرحلة الاقتراب (The approach march stage) :

يستخدم البلاتون كحلقة اتصال بين القوات الخفيفة الحركة " السوارى سابقا " و بين البلاتون المتقدم من الحرس الأمامى وذلك لاستكشاف الأرض التى بينهما و يعمل تحت أوامر قائد المقدمة .

مرحلة الاتصال الأولى (Gaining of contact stage) :

يمكن استخدامه فى اكتساح المقاومات البسيطة التى ربما عطلت الحرس الأمامى ثم باقى القوة الأساسية بالتبعية وذلك بالاشتراك مع البلوكات المتقدمة من الحرس الأمامى اذا استدعت الضرورة ذلك . لأن أهم خواص هذا البلاتون هو أنه يمكنه عبور أرض العدو المكتسحة بالنيران التى لا يمكن للشاة السير عليها .

الوقاية من الأرض :

يحرس هذا البلاتون القوة أثناء تحركها وخاصة اذا كانت القوة ميكانيكية أو متنقلة فى عربات ميكانيكية . وكذا فى أثناء الراحة وفى الحالتين يمكن استخدامه لاستطلا وصدع عربات العدو المدرعة .

كذلك يمكن للقائد إرساله لمراقبة الأجناب المكشوفة وبذا يعمل كحرس جنب صغير (Miniature flank guard) وفى كل الأحوال تنطبق عليه القواعد التكتيكية الخاصة باستخدام قوات الوقاية .

الوقاية من الجو :

اذا كانت طائرات العدو نشطة يمكن استخدامه لحراسة طريق القوة بأن يحتل بجملة نقط حاكمة على طول الطريق (Piquiting the road) أو بحراسة المنطقة التى تعسكر فيها الوحدة .

فى الهجوم :

يعطى هذا البلاتون نيرانا ساترة لتتمكن المشاة من التقدم للأمام وخاصة إذا قابلت المشاة عربات العدو المدرعة ويجب تذكر أن أحسن وضع لهذه الحملات يمكنها منه إعطاء نيران ساترة هو من الأجناب .

فى الدفاع :

تعزيز النيران الدفاعية أمام خط أقصى الأماكن الدفاعية ونقل قوة النيران هذه من مكان إلى آخر وكذلك القيام بهجوم مضاد سريع ومعاونة الهجوم المضاد للدبابات .

الانسحاب :

لهذا البلاتون أثر فعال فى الانسحاب بالنسبة لإعطائه كمية كبيرة من النيران فيضطر العدو للوقوف ثم للفتح استعدادا للهجوم وحينئذ ينسحب البلاتون بسرعة متناهية ولذا يمكن للقوة أن تنسحب كلها تاركة الجمالات للخطة الأخيرة إذ يمكنها تكبيد العدو خسائر جسيمة ثم ينسحب فى أمان .

خاتمة :

وكذا يرى القارئ أنه يمكن الاستفادة من وضع هذه الجمالات المدرعة تحت تصرف المشاة فى شتى الظروف التكتيكية ولكن يجب أن لا ننسى أن التجارب وحدها كفيلة باظهار أوجه النقص والكمال فى استخدامها مستقبلا .

وبما أن هذه الجمالات لن يجهز بها الجيش الا بعد مدة قد تطول أو تقصر أرى أن لا يغفل أمر استخدامها من الآن فى الخطط والمشاريع التكتيكية ويستحسن تمثيلها بعربات خفيفة أو بعساكر تحمل بيارق ملونة حتى يكون ذلك أقرب الى الحقيقة .

اليوزباشى محمد صفوت
بالكلية الحربية الملكية



كتاب جديد

من أنفس الكتب التى نمقتها أقلام رجال الجندية باللغة العربية كتاب "الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا" الكبير الذى صنفه حضرة الكاتب البارع اليوزباشى عبد الرحمن افندى زكى أمين المتحف الحربى بوزارة الدفاع الوطنى . وليس المؤلف بحاجة الى التعريف وليس هـذا بأول مؤلف وضعه .

و يعد هذا السفر تحفة فى هـذا العصر السعيد عصر " الفاروق " الذى لا يفتأ يولى جيشه الباسل من العناية ما هو جدير بشكر الأمة المصرية . وقد أهدى المؤلف مؤلفه النفيس الى أرواح "شهداء وادى النيل" والكتاب يحتوى على عدة فصول منها قوات الدفاع فى مصر قبل محمد على، والوالى محمد على، والأحوال السياسية بعد وصوله الى مصر، واصابة الهدف ، ورأس الجيش، وامبراطورية محمد على ، ومصر المدافعة ، وحديث الأرقام .

وهى تنطوى على الكثير من المعارك التاريخية والحديثة التى أبلى فيها جيش مصر خير بلاء فمنها معارك قادش ، ومجدو ، والمنصورة ، وعين جالوت ، ورشيد ، وكريت، وغيرها الى أن تنتهى بمعركة أم درمان فى حملة استرجاع السودان .

والكتاب غزير المادة متينها سلس الأسلوب ، يستهوى القارئ فما هو الا أن يبدأ بقراءة الكلمة القيمة التى دبجها يراع الأستاذ الكبير شفيق غربال بك وكيل كلية الآداب مقدما الكتاب للقراء حتى لا يرى مناصا من متابعة المطالعة الى آخر صفحاته .

وهو فضلا عن ذلك محلى بمجموعة كبيرة من الصور التاريخية والحديثة يرى فيها القارئ صور الجنود المصرية بمختلف أزيائها وأسلحتها وطائفة من المدافع القديمة وغيرها مما يلذ القارئ وهو ذخيرة نافعة يجدر بمحبى الاطلاع على تطور النظم العسكرية المصرية اقتناؤه وقد أورد المؤلف عددا كبيرا من المراجع العربية والأجنبية التى اقتبس منها مادته كما دون فهرسا أبجديا عاما فى آخر الكتاب تسهيلا للبحث والاستقصاء .

وقصارى القول إن حضرة اليوزباشى عبد الرحمن افندى زكى جدير بالثناء والشكر على هـذا المجهود العظيم الذى بذله حتى أخرج كتابه الأخير فى هذا الثوب القشيب وادارة مجلة الجيش المصرى تتقدم إليه بخالص التهنئة ومزيد الشكر .

ثلاثة كتب يؤلفها ثلاثة ضباط قدماء

الكتاب الأول — خلاصة فنون الحرب

لحضرة اليوزباشى مصطفى حلمى عزت

ما أحوجنا فى الوقت الحاضر بمناسبة ما يبذل من جهد ومال فى سبيل تقوية الجيش المصرى، لكتب كثيرة يؤلفها رجال الحرب فى شتى البحوث العسكرية فالكتب التى كتبت باللغة العربية، فيها قليلة لا تعدو ما ألف منها لأغراض التعليم .

أدرك حضرة اليوزباشى مصطفى افندى حلمى عزت (المدرس سابقا بالمدرسة الحربية) هذا النقص، وفطن إلى رغبة طلبة الجامعات والتدريب العسكرى والضباط الاحتياطيين لتعرف أسرار الفن العسكرى ، فأخرج لهم كتابه النفيس الذى نحن بصدده اليوم، وهو مجهود طيب مشكور يذكرنا بالجهود التى يبذلها المحاربون القدماء فى أوربا .

قسم المؤلف كتابه إلى عشرين بابا، تكلم فى أولها عن النظام العسكرى والقوانين العسكرية، وذكر أهم فقرات انفاقيتى لاهاى وجنيف، ثم تناول عناصر التدريب العسكرى وضرب النار وتقدير المسافات والتعبئة والقيادة العليا ، وما تتطلبه من ضباط أركان الحرب . وتكلم حضرته عن الخدمة السرية وعناصر التكتيك وطبيعة الأرض والاستكشاف وقوة الملاحظة ووقاية الجيش فى الميدان، والوقاية أثناء التحرك وأثناء الوقوف ، والمعركة والهجوم والدفاع وحرب الخنادق والمدافع الرشاشة والاستراتيجية والزحف إلى ميادين القتال ، ورسم الخرائط وقراءتها وتحصينات الميدان السريعة وطعام الجنود .

وقد أرفق المؤلف كتابه بعشرات الصور والرسوم التى تقرب لذهن القارئ فهم محتويات الكتاب . وفى الكتاب كلمة طيبة لحضرة صاحب العزة الأميرالاى حافظ بك صدقى بين فيها رأيه عن أهمية الكتب العسكرية ونشرها فى الوقت الحاضر .

فنحن نشكر المؤلف لهديته الثمينة ونتمنى أن يكون قدوة لزملائه الذين تقدرهم البلاد وهم المحاربون القدماء .

الكتاب الثانى — التربية النظامية

لحضرة البكباشى على افندى حلمى أركان حرب مدرسة البوليس والادارة

ونتحدث الآن عن الكتاب الثانى، وهو ليس أول كتاب يكتبه المؤلف، فقد كتب عدة مؤلفات قبل ذلك ، كان من أهمها كتاب التدريب العسكرى للبوليس والمشاة ونظام البوليس ورسالة أنظمة البوليس الحديثة بألمانيا وما يمكن اقتباسه منها فى مصر. وغيرها .

قسم المؤلف الفاضل كتابه إلى ستة أبواب ، تكلم فى أولها عن النظام وتأثيره فى نهضة الأمم ومزاياه فى جعلها أمما متماسكة، وأهم أسباب سوء النظام والتدريب على النظام، وعلاقة ذلك بنظام الفرد فى بيته وفى عمله وتناول بعض الإرشادات لبث روح النظام فى المجتمع، كما دوّن المؤلف مشاهداته عن النظام فى بعض الدول التى زارها كالنظام بالطريق ونظام المواعيد والحفلات والزيارات والأزياء ونظام السير ونظام المائدة ، الخ ... مما يدخل فى هذا البحث .

ولا يفوتنا أن نذكر أن المؤلف لم ينس دعوة الأديان إلى النظام ، مستشهدا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله (سوّوا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة) وبقوله (وسوّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا الأعناق) . وتكلم المؤلف أيضا عن وسائل غرس روح النظام فى الشعب الايطالى بتنظيم أوقات فراغ العامل الايطالى وترقية معيشته الاجتماعية والصحية وذكر ما للتربية البدنية والعسكرية من أثر عظيم فى نهضة الأمم القديمة والحديثة ، وفى هذا الفصل تحدث المؤلف طويلا عن القرية المصرية وإصلاحها ووسائل تثقيف عامة الشعب ، وإصلاح التعليم الإلزامى وتعميم التجنيد والنهوض بالأناشيد والأغانى .

أما الباب الثانى فكله أحاديث عن سلامة الدولة وعلاقة البوليس بذلك ، فذكر حضرته المزايا والصفات التى يجب أن يتحلى بها رجال البوليس ، والمقصود به رجل الشرطة والخفير والعمدة وشيخ البلد ، وقد دوّن ما رآه من العيوب ووسائل الإصلاح .

وفى الباب الثالث قصر حضرة الأستاذ البكباشى على حلمى حديثه على نصيب الجمهور فى مكافحة الإجرام، فضرب عدّة أمثلة فى حوادث المصادمات والسرقات والنصب مما يقابله رجل الأمن العام .

وتناول الكلام فى الباب الرابع عن نظام المرور وما شاهده المؤلف أثناء رحلاته المتعددة فى البلاد الأوروبية، وعدد اقتراحاته لتنظيم مرور القاهرة، ومن أهم فصول الكتاب التى أقدم على كتابتها المؤلف من ناحية وطنية سامية "الفصل الخامس التدريب العسكرى والتربية البدنية بالمدارس والمعاهد والجامعات" وبين الغرض من هذا التدريب وواجب الطالب وقت التدريب

وواجب المدرس وأسلوب التعليم وأهم وسائل نجاح مشروع التدريب العسكرى ، وأجمل برامج التدريب العسكرى التى قررتها وزارة الدفاع الوطنى ، وخاتمة فصول الكتاب النفيس — مفاخر الجيش المصرى — منذ عهوده القديمة الى اليوم ، فى أيام الفراعنة وبعد الفتح الاسلامى وما كان من أمر النهضة العسكرية فى عهد محمد على الكبير ، والكتاب يحتوى فضلا عن أبحاثه الفنية مجموعة من الصور التاريخية التى لم يسبق نشر كثير منها ولا سيما ما خص منها مفاخر الجيش .

وإننا لنهنىء أستاذنا البكباشى على افندى حلمى على مؤلفه القيم ، ونسأل الله أن يزيده توفيقا لخدمة الوطن .

الكتاب الثالث — سلامة الدولة فى جندها وأمنها والنظام فيها

للقائمقام مرزوق يونس بك

والكتاب الثالث كتبه واحد من ضباط الجيش القدماء الذين يعملون اليوم فى قوات البوليس. خص صفحاته الأولى بمجموعة طيبة من الصور الخاصة بحضرة صاحب الجلالة الملك فى أنحاء القطر المصرى .

وتناول المؤلف فى الباب الأول الحديث عن الجندية فى زمن محمد على باشا والقوة البحرية وما يرجى لها من مستقبل زاهر فى عصر مليكنا المفدى، ورأيه فى نظم الاصلاح والدفاع وإعداد المصانع الحربية والمدارس العسكرية والتجنيد والتدريب العسكرى الاقليمى والتحصينات والمخابرات العسكرية والاستقلال الاقتصادى، وفى الباب الثانى تكلم المؤلف عن ارتباط سلامة الدولة بالأمن والنظام فيها وإصلاح المجرم ونظام العمودية وإصلاح القرى مما يدخل تحت النظم الاجتماعية . ولم يفت المؤلف وهو من رجال البوليس أن يتحدث عن انتخاب وتعليم رجال البوليس ونظام المرور والبحث والتحقيق الجنائى الخ .

والكتاب مذكرة سهلة التناول لمن يريد الاطلاع بسرعة على نظمنا ليقارن بها المتبع فى أوربا .

ونأمل أن يكون هذا الكتاب مقدمة لكتب أخرى ليتحدث المؤلف فيها عن تاريخ الفروسية فى مصر .

عبد الرحمن زكى
أمين المتحف الحربى

اللواء سليم موصلى باشا



(اللواء سليم موصلى باشا)

لقد قضى سليم موصلى باشا ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، مات ذلك الطبيب الماهر والعالم الكبير. فخسرت بموته مهنة الطب رجلا من خيرة رجالها، وفقد العلم نصيرا من كبار أنصاره . وهكذا قضت الضروف والاقدار ، والمنون اذ تخترم الأعمار . فليس بباق على الدهر سوى نقاء الصحيفة وحسن الذكر . وقد ترك الفقيد منهما ما يتمنى كل حى مثقف أن يترك مثله .

كان المغفور له اللواء سليم موصلى باشا طبيبا و جراحا بمهنته . غير أن همته العالية لم تقف عند حد المهنة التى حذقها ونبغ فيها . بل تعدتها الى المساهمة فى مختلف العلوم والفنون فكان له فيها نصيب وافر . وله من محافل العلم ودوائر الأدب ذكر لابد أنه باق على الأيام .

كان — رحمه الله — فى الذروة من الأطباء الذين التحقوا بالجيش المصرى الحديث فى أوائل عهد انشائه . كما كان أول من تولى إدارة مستشفى رئيسى بالجيش المصرى من غير البريطانيين . وهو فوق ذلك ممن حبتهم الطبيعة فطرة الجندى . فكان اداريا حازما فى عدل ، دقيقا فى أعماله ، محبا للبحث ، واسع الاطلاع . ألم بالكثير من فنون الحرب وقوانينه خصوصا ما يتصل عن بعد أو قرب بتنظيم مستشفيات الميدان العسكرية . فكان علما من أعلام الطب العسكرى . كما كان من كبار الجراحين وقد ظهرت مواهبه فى السفر وفى الحضر . فكم من جندى أنقذ الله حياته على يدى موصلى فى حروب السودان وغير السودان .

اشترك الفقيد فى كل وقائع السودان قبل استرجاعه و بعده وقد أنشأ أكثر من مستشفى فى أنحائه وله فى حرب البلقان مآثر أعجب بها كبار رجال العثمانيين ورددتها ألسنة رجال الجند من أبناء الأناضول والروم ايلى . ذلك أنه لما اعتزمت جمعية الهلال الأحمر المصرية الجليلة على أثر تكوينها ، إرسال بعثة طبية عسكرية الى تركيا أثناء حرب البلقان ارتأت أن تختار رجلا تتوافر فيه المؤهلات العلمية والإنسانية التى تخوله تمثيل مصر لدى الحكومة العثمانية فوقع اختيارها الصائب على المرحوم الميرالاى سليم موصلى بك فقام بمهمته خير قيام . وكان يعاونه فى إدارة مستشفى الهلال الأحمر صديقه وزميله العالم الكبير الدكتور أمين المعلوف (الآن الفريق أمين المعلوف باشا ألبسه الله ثوب العافية ومنّ عليه بالشفاء العاجل) .

والى القراء بيانا موجزا عن تاريخ حياة الفقيد .

ولد المرحوم فى بيروت فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٥ ، وتخرج طبيبا فى الجامعة الأمريكية ببيروت .

وفى سنة ١٨٨٠ سافر الى أمريكا لاتمام دراسته ونال شهادة الطب وعاد الى بيروت سنة ١٨٨٠ حيث أقام بضعة أشهر ثم سافر الى القطر المصرى ودخل فى خدمة الجيش بعد الثورة العرابية و بقى فى الخدمة سنوات عديدة .

وفى سنة ١٩١٠ انتدب لمعالجة النجاشى "منليك" و بقى فى أديس أبابا يعالج الامبراطور ويعتنى بشفائه نحو ثمانية أشهر .

وفى سنة ١٩١٢ سافر الى البلقان رئيسا لبعثة الهلال الأحمر المصرية و بقى فى هذه البعثة نحو سنة .

فى سنة ١٩١٩ عين مديرا للصحة فى حكومة الملك "فيصل" بدمشق وبقى هناك نحو تسعة شهور أسس فيها الادارة الصحية .

وقد سافر مرارا الى أوروبا للاطلاع على أحدث المكتشفات الطبية ودرس علاج أمراض خاصة وكان الى آخر أيامه لايفتأ عن الدرس والمطالعة فى الكتب العلمية وأخصها الطب .

وهو يحمل الوسامين العثمانى الرابع والمجيدى الرابع ونجمة أسيوبيا . ومداليات تجريدة النيل سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ وتجريدة استرجاع السودان ابتداء من " الحفير " الى انتهاء الحملة الحربية .

وقد احتفلت وزارة الدفاع الوطنى احتفالا عسكريا بجنازته الى أن ووري التراب مقره الأخير مأسوفا عليه من الجميع والبقاء لله وحده .

ومجلة الجيش المصرى تتقدم بالعزاء لحضرات آل " موصلى " وأصدقاء الفقيد ومعارفه الذين لا يحصيهم العد سائلة للفقيد الرحمة الواسعة والرضوان ولهؤلاء جميل الصبر والسلوان .

المطبعة الأميرية ١٤٧٢٩-١٩٣٨-٣٠٠٠



